

بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

الجزء الثاني

تأليف
العلامة المتنيح
القمص ميخائيل مينا

علم اللاهوت

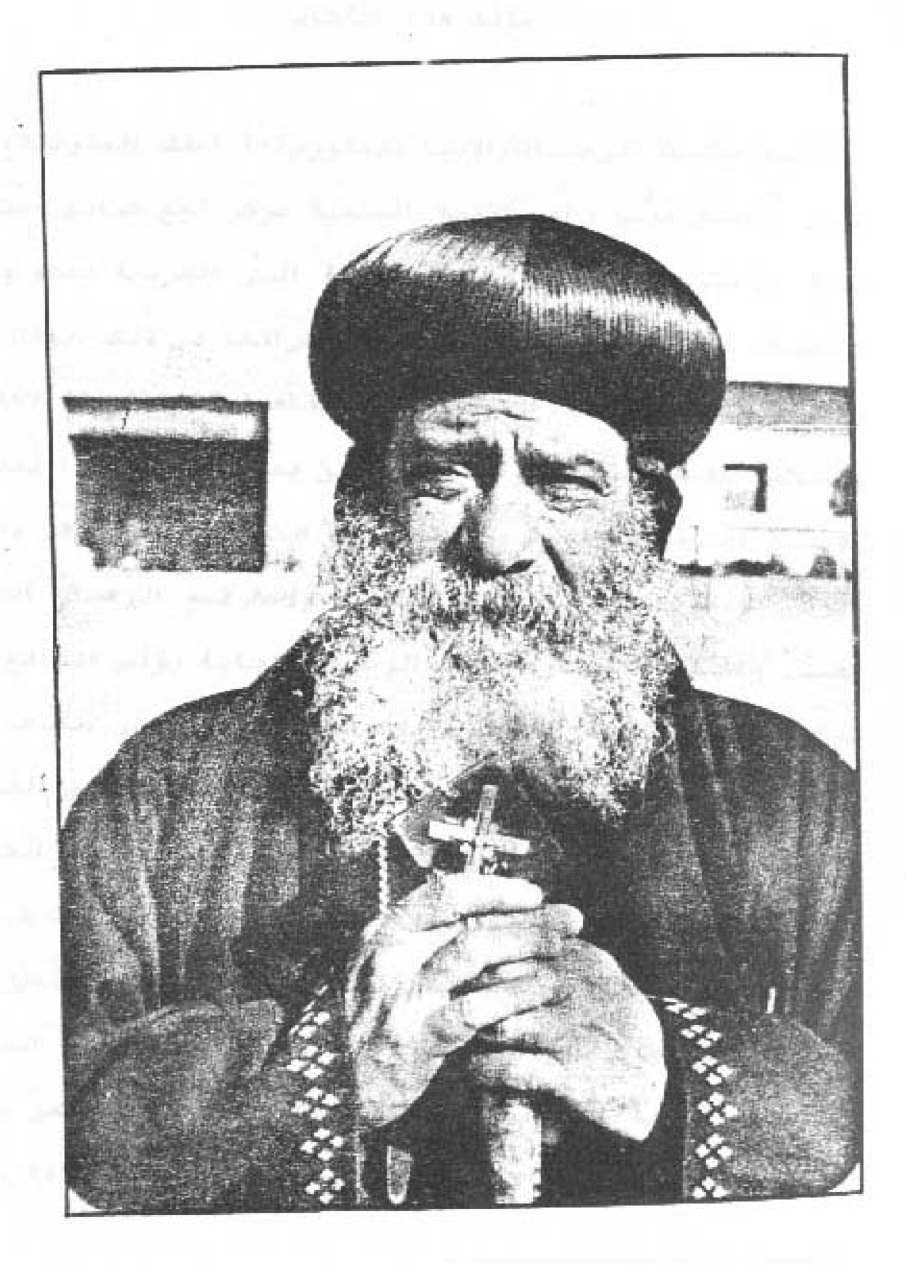
بحسب معتقد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية

الجزء الثانى

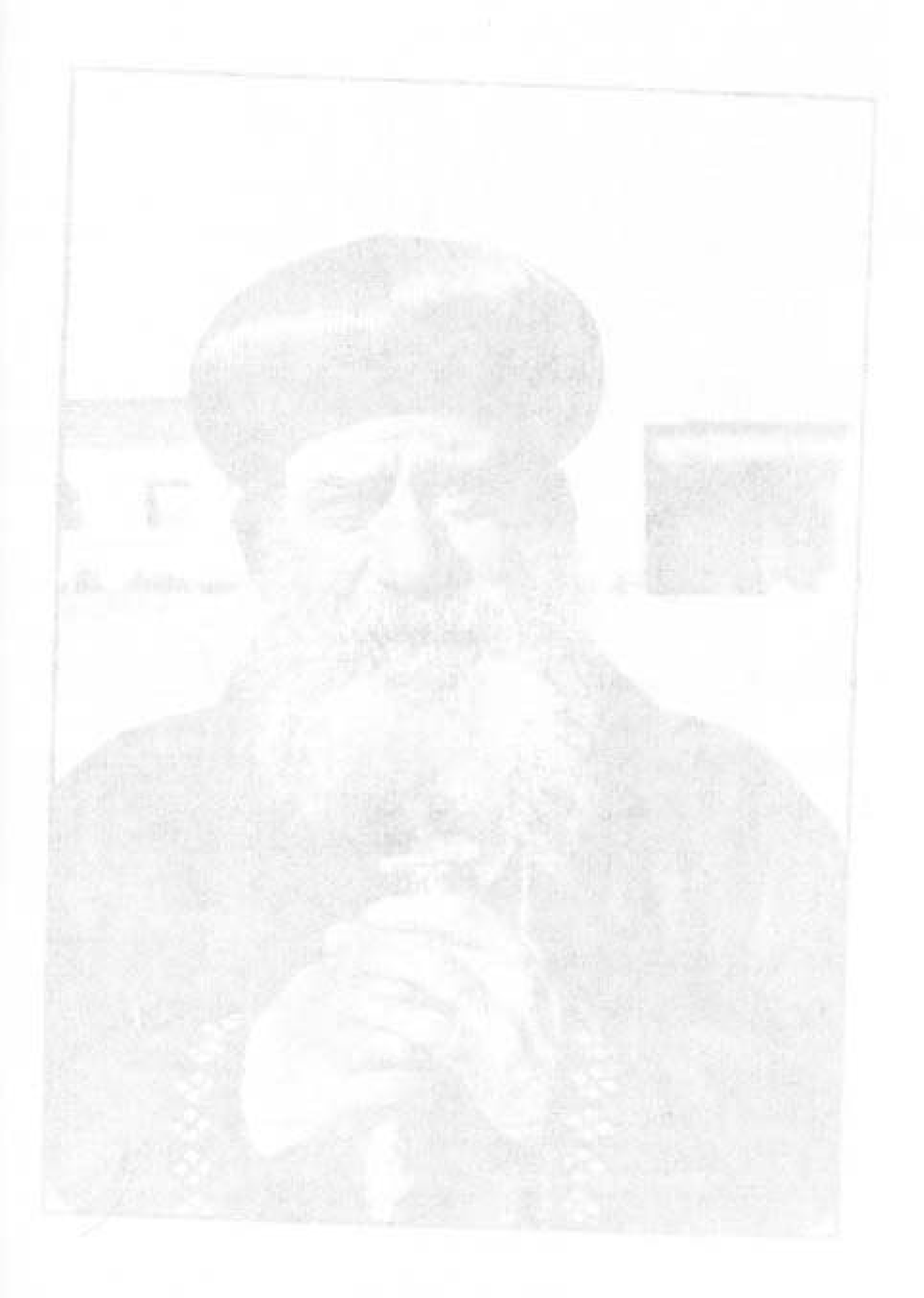
يشمل لاهوت الروح القدس / الملائكة
الأخيار والأشرار / النفس / القيامة
نعيم الأبرار / عذاب الأشرار
مدة الألف سنة / المسيح الدجال

الكنيسة
طقوسها ... أسرارها

تأليف
العلامة المتنيح
القمص ميخائيل مينا



قداسة البابا شنوده الثالث



البابا شنوده الثالث

مؤلف هذا الكتاب

بقلم مثلث الرحمات/الانبا ديسقورس(١) اسقف المنوفية، هو ابن القمص مينا راعي كنيسة السلمية مركز نجع حمادي استطاع مرة ان يترجم انجيلا من القبطية الى العربية لعدم وجود الكتاب العربي وسر به الانبا مرقس مطرانها في ذلك الوقت وحث والده على ادخاله الاكليريكية بالقاهرة فاتاها سنة ١٨٩٧ م واستمر بها خمس سنوات. وقد عين بعد تخرجه ناظرا لمدرسة الانبا انطونيوس ببوش وكانت مدرسة ابتدائية فسارت في مدارج الرقي بهمته حتى صارت مدرسة ثانوية ولاحظ قسم الرهبان الملحق بها. واخيرا اختاره مثلث الرحمات البابا يؤنس التاسع عشر ليكون مديرا لكلية الرهبان اللاهوتية بحلوان التي انشاها سنة ١٦٤٦ ش وكان كاهنا نشيطا مثاليا وعظ في كنائس القاهرة والاسكندرية وجمعياتها وفي عدة بلاد اخرى وكان له قوة التاثير على سامعيه ومن مؤلفاته علم اللاهوت في ثلاث مجلدات في نحو ١٨٠٠ صفحة وتحفة هذا الجيل في شرح التوراة والانجيل وله استفتاءات وردود على الخارجين عن الكنيسة وكتب مئات المقالات الخاصة بدراسة الكتاب المقدس والوعظ والتفسير واستمر يجاهد في خدمة الكنيسة نحو ٥٣ سنة وتنيح في ٧ اغسطس سنة ١٩٥٦م.

---

(١) والانبا ديسقورس اسقف المنوفية رسم اسقفا في ١٩ سبتمبر ١٩٦٥ م وتنيح في ٤ يناير ١٩٧٦ م.

مقدمة

الحمد لله الذى أبدع المخلوقات على حال تنطق بوجوب وجوده. وتصدع بآيات حكمته وعميم جوده. فهداهم بذلك الى محجة الصدق وطريق الرشاد. وقادهم نحو مناهج الحق وسبل السداد.

اما بعد فهذا المجلد الثاني لكتابى (علم اللاهوت) الشامل لبقية الموضوعات اللاهوتية والعقائد الكنسية وهي (لاهوت الروح القدس. الملائكة الأخيار والاشرار. النفس والقيامة العامة. وليمة الألف السنة والمسيح الدجال. الكنيسة واسرارها. اختلافات العقائد بين كنيستنا المرقسية وسائر الكنائس المسيحية).

ولي وطيد الأمل فى فادينا الأعظم الذى وازرنى فى تصنيف هذا الكتاب بعنايته. ومدنى بارشاد حكمته وهدايته. ان يجعله يصيب الغرض المقصود. ويأتي بالثمر المطلوب. فيزحزح ستر الكفر والالحاد عن ذوي الغواية الطغام. ويمزق غيوم الجهالات عن مغار الاحلام وبسطاء العوام. كما انى اضرع اليه تعالى راجيا أن يكفينى معرة العثور. فى هذا العمل المبرور. وأن يفتح له عند ذوى العقول. وجه الرضا والقبول. فهو الموفق إلى الصواب ومحقق المآل فى المبدأ والمآب.

ولفادينا الأعظم ادوم الشكر وابلغه أولا وأخيرا.

المؤلف

القمص ميخائيل مينا

الكلام

على

لاهوت الروح القدس

الباب الاول

فى

الوهية الروح القدس

تمهيد : تؤمن كنيسة الله المقدسة الجامعة الرسولية وتعترف قلبا ولسانا أن الروح القدس هو الاقنوم الثالث من اللاهوت الأقدس. وانه مساو للآب والابن فى الذات والجوهر والطبع وكل فضل اللاهوت. اذ ليس فى هذا الثالوث من هو قبل غيره أو بعده. ولا من هو اصغر او اكبر بل جميع الاقانيم سر مديون معا ومتساوون فى القدرة والمجد والسلطان وضبط الكل منذ الأزل والى الأبد.

وحيث ان الروح القدس له صفات اللاهوت وحقوقه من جهة كونه روح الله وحياة الكون ومصدر الحكمة والبركة ومنبع النظام والقوة فهو يستحق العبادة الآلهية والمحبة والاكرام والثقة مع الآب والابن.

الفصل الاول

فى

اشهر الهرطقات التى قامت ضد الوهية

الروح القدس

لقد وردت فى الكتب الالهية براهين وادلة سديدة اثبتت الوهية الروح القدس ومساواته للآب والابن فى الجوهر. ولجلاء تعليم الكتاب فيه اعتقدت الكنيسة اقنوميته منذ تاسيسها. الا انه بالرغم من ذلك قد قام هراطقة كثيرون فى اجيال مختلفة. ولاسيما فى الاجيال الاولى حيث تحدوا هذه التعاليم الصحيحة والنصوص الصريحة مؤولين إياها حسب آرائهم السقيمة واذهانهم الغير المتحددة .فمنهم من اعتقد أن الروح القدس ليس خالقا بل مخلوقا كأريوس(١) ومكدونيوس.ومنهم من انكر اقنوميته كسبليوس(٢)

---

(١) راجع تاريخ اريوس فى المجلد الاول بالقسم الخاص بلاهوت السيد المسيح.

(٢) نشا سبليوس فى لبية وكان يعتقد أن الثالوث الاقدس هو اقنوم واحد. وان هذا الاقنوم الواحد قد اعطى الناموس فى العهد القديم. وصار انسانا فى العهد الجديد بصفة ابن الله. وحل على الرسل بصفة روح قدس. وقد ابتدا ينشر بدعته فى ابطولمايس فى بطنا بوليس. ومن ثم انتشرت فى مابين النهرين وفى مدن اخرى حتى وصلت رومة. فانعقد ضده مجمعان احدهما فى رومة سنة ٢٥٨م والثانى فى الاسكندرية وفى كلا المجمعين رفضت بدعته محكوما عليها. وكان يسمى اتباعه سباليين وبطرو باثيين لاعتقادهم بتألم الآب اهـ .

ومنهم من قال انه قوة آلهية منتشرة فى الكون كماني واتباعه (١) الذين علموا ان الروح القدس مادة حية براقة منتشرة فى كل الجلد المحيط بارضنا ينعش نفوس البشر ويبهجها.

وهكذا من أمثال هذه الضلالات المنكرة الشنعاء التى اورثت ذويها العطب والهلاك وحرمتهم من نعمة الغفران فى الحياة الحاضرة والعتيده (مت ١٢: ٣٢).

على ان غيوم هذه الأضاليل لم تلبث ان انقشعت بحرارة شمس تلك الحجج القوية التى نطق بها الكلى قدسه على أفواه أولئك العلماء الأعلام والجهابذة العظام، امثال اثناسيوس وباسليوس وأغريغوريوس وغيرهم الذين عاصروا اولئك المبتدعين فأماطوا اللثام عن ضلالهم ومزقوا النقاب عن فاسد آرائهم وأرجعوا الحق الى نصابه. اما أشهر أولئك المبتدعين فهو مكدونيوس.

---

(١) كان مانى عبدا اشترته أرملة أعجمية ذات غنى وثروة وكان اسمه (كوربيك) فتعلم فى بلاد الفرس اللغة الفارسية. ومن كتبهم لفق مبادىء بدعته وكان يقول عن نفسه إنه رسول يسوع المسيح. ويعتقد بوجود مبداين اى الهين احدهما صالح والآخر شرير. وان الصالح ابدع الخير والشرير ابدع الشر وكان ينكر انبعاث الاجساد ويعتقد بالتناسخ اى بانتقال النفس من جسد الى جسد آخر. وقد اتفق فى عمره أن اصيب ابن ملك الفرس بمرض فتعهد ان يشفيه فلم يستطع فالقى فى السجن فهرب منه ثم قبض عليه وسلخ جلده مكشوطا بأمر الملك وهكذا نال جزاءه الحق فى الحياة الحاضرة فضلا عما يناله فى الحياة العتيدة.

كان هذا الخص بطريركا للقسطنطينية فى اواخر الجيل الرابع ولشدة ميله لمعتقد اريوس الكافر قام ضد اصحاب الراى المستقيم الذين يعتقدون بمساواة الاقانيم الثلاثة مجاهرا على رؤس الاشهاد فى الكنائس والمجتمعات بان الروح القدس جل شأنه مخلوق كالملائكة ليكون آلة للابن اى خادما له (١).

غير ان تلك البدعة الجديدة والضلالة الشنيعة لم تلبث أن وصلت مسامع الملك تاودسيوس الكبير حتى أمر بانعقاد مجمع مسكونى لينظر فى تزييفها وتفنيدها . وعليه اجتمع فى مدينة القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية مائة وخمسون اسقفا من سائر انحاء العالم . من بينهم نكتاريوس بطريرك القسطنطينية وكيرلس اسقف اورشليم واغريغوريوس الثاولوغس وغيرهم من آباء الكنيسة الذين كان لهم وقتئذ القدح المعلى فى ميدان العلم والفضيلة ولاسيما تيموثاوس الاول بطريرك الاسكندرية الذى انعقد هذا المجمع تحت رآسته .

وبعد ان انتظم عقد المجمع حضر مكدونيوس واخذ يشرح بدعته

---

(١) كانت رؤس معتقدات هذا الرجل المبتدع ومبادىء تعاليمه هى "١" ان الروح القدس مخلوق وخادم للابن "٢" ان الابن ليس مساويا للاب فى الجوهر بل يشبهه فى كل شىء "٣" ان الانسان مهما اعتقد وقال من جهة الملائكة لا يخطىء .

قائلا: (ان الروح القدس مخلوق وليس باقنوم الهى) مرتكنا فى ذلك على ماورد فى الانجيل عن المسيح له المجد (كل به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان).

ولم يفرغ من اقواله الكفرية هذه حتى أجابه أعضاء المجمع قائلين:"أيها الانسان، لا يوجد لدينا الا روح واحد وهو روح الله، ومن المعلوم أن روح الله ليس شيئا غير حياته. واذا قلنا ان حياته مخلوقة فعلى زعمك انه غير حى. واذا كان غير حى فهنالك الكفر الفظيع والرأى الشنيع. فارجع الآن عن سوء معتقدك وقبح رايك والا وقعت تحت طائلة عقاب الحرم والفرز، وكنت انت الجانى على نفسك" ولكنه ابى ان يرجع مصرا على كفره وعناده. فلم ير المجمع بدا من حرمه وقطعه وانزاله عن درجة البطريركية مع حرم وفرز كل من يقول بقوله ايضا ثم اكملوا قانون الايمان الذى وضعه مجمع نيقية بالنص الآتى :

(نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب، المسجود له مع الآب والابن، الناطق فى الانبياء، وبكنيسة واحدة، جامعة، رسولية، ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا. ونترجى قيامة الاموات وحياة الدهر الآتى).

ثم ظلت الكنيسة محافظة على معتقدها الذى تسلمته من الآباء الاول فى اقنوم الروح القدس طيلة الاجيال الماضية. وندر من انكر وحاد عن هذا المعتقد القويم حتى عصرنا الحاضر، اللهم

الا الكنيسة الرومانية التى خرجت عن نص القانون المقدس وقررت بدعة الانبثاق من الآب والابن رسميا حوالى القرن العاشر. ثم جارتها عامة الكنائس البرتستانتية في ذلك.

وحيث ان هذه هى اهم البدع التى قامت ضد الروح القدس فوجب قصر كلامنا فى هذا الباب على القضايا الآتية وهى :-

(١) اثبات الوهية الروح القدس.

(٢) اقنوميته .

(٣) مساواته للآب والابن.

(٤) الأعمال التى تنسب له .

(٥) انبثاقه .

الفصل الثانى

فى

اثبات الوهية الروح القدس

ان الادلة على الوهية الروح القدس فى كلا العهدين القديم والجديد كثيرة جدا وواضحة للغاية كاعماله العجيبة وصفاته الجليلة واعطائه الكرامة التى تليق لله وحده وما الى ذلك من الامور التى برهنت فى جلاء ووضوح على لاهوته ومساواته للآب والابن فى الجوهر والطبيعة. ولاسيما اسماؤه والقابه البالغة اقصى حدود السمو والرفعة لانها حوت أوصافا وأعمالا آلهية لا يمكن اطلاقها على ملاك من الملائكة ولا على روح من ارواح البشر مهما تسامت فى المجد والكرامة.

(الاسماء والالقاب الدالة على لاهوت الروح القدس)

اما تلك الأسماء والالقاب الكريمة فهى :

(الله)

لقد ورد فى سفر الاعمال أن بطرس الرسول قال لحنانيا : ياحنانيا لماذا ملا الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس انت لم تكذب على الناس بل على الله (أع ٥:٣).

ومن هذه الآية يتضح لاهوت الروح القدس ايضاحا جليا. لان ما دعاه فى بداية الآية الروح القدس عاد فدعاه الله فى نهايتها.

ثم ورد فى هذا السفر ايضا انه : لما راى سيمون انه بوضع أيدى الرسل يعطى الروح القدس قدم لهم دراهم قائلا اعطيانى انا ايضا هذا السلطان حتى أى من وضعت عليه يدى يقبل الروح

القدس (اع ٨:١٨) فقال له بطرس: لتكن فضتك معك للهلاك لانك ظننت ان تقتني موهبة الله بدراهم (اع ٨:٢٠) وقد جاء هذا النص مصداقا لما سبقه لان الذات التي دعاها سيمون الروح القدس دعاها بطرس الله.

(الخالق)

قال ايوب الصديق: روح الله صنعني ونسمة القدير احيتني (أى ٣٣:٤) وقال صاحب المزمور: ترسل روحك فتخلق (مز ١٠٤:٣٠) وقال موسى النبي مشيرا الى اشتراك الروح القدس في خلق العالم: روح الله يرف على وجه المياه (تك ١:٢).

ومعنى ذلك ان الروح القدس كان على وجه الغمر معطيا للخليقة الحياة والنظام والقوة وواضح أن منبع الحياة والنظام والقوة فى العالم انما هو واحد وحيد وهو الله القدير دون غيره. وحيث ان هذه الصفات نسبت للروح القدس كنسبتها لله فهو اله بلا محالة (انظر اى ٢٦:١٣).

(القادر)

قال بولس الرسول: بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله (رو ١٥:١٩) وقال: ليملاكم اله الرجاء كل سرور وسلام فى الايمان لتزدادوا فى الرجاء بقوة الروح القدس (رو ١٥:١٧) وقال ايضا: لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه فى الانسان الباطن (اف ٣:١٦) وقال زكريا النبى: لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود (زك ٤:٥) وقال ميخا النبى: لكن انا ملآن قوة روح الرب وحقا وباسا (مى ٣:٨) وقال ايضا: ايها المسمى بيت يعقوب هل قصرت روح الله (مى ٢:٧) وقال

اشعياء النبي: روح المشورة والقوة (اش ١١: ١) وقال جل شانه لموسى عبده: وآخذ من الروح الذى عليك واضع عليهم فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل انت وحدك(عد١١: ١٧)وقال أيضا لتلاميذه: لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم (اع ١: ٨).

ومن تأمل فى هذه الآيات الصريحة وجدها تصف الروح القدس بالقوة والاقتدار الفائقين ليس فى ذاته فقط بل له السلطان أن يمد بهما لغيره أيضا. ومن له القوة فى ذاته ويستطيع أن يمنحها لغيره يستحيل ان يكون مخلوقا لان ذلك ليس من شأن المخلوقات.

نعم يوجد بعض المخلوقات لهم قوة ممتازةعن غيرهم كالملائكة. الا ان قوتهم ليست ذاتية فيهم بل ممنوحة لهم من الخالق كما انهم ليسوا بقادرين أن يهبوها لغيرهم من تلقاء ذواتهم. أما الروح القدس فقوته فى ذاته وله سلطان ان يعطيها لغيره أيضا. وهذا الوصف لا ينطبق الا على الله القدير وحده الذى يعطى المعيى قدرة ولعديم القوة يكثر شدة (اش ٤٠: ٢٩).

(العليم)

قال بولس الرسول: فاعلنه الله لنا بروحه لان الروح يفحص كل شيء حتى اعماق الله لان مَن من الناس يعرف أمور الانسان الا روح الانسان الذى فيه هكذا ايضا امور الله لا يعرفها الا روح الله (١ كو ٢: ١٠) وقال ايضا: ولكن الروح يقول صريحا انه فى الازمنة الأخيرة يرقد قوم عن الايمان (١ تى ٤: ١) وقال بطرس الرسول: كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقال بفم داود عن يهوذا (اع ١: ١٦) وقال ايضا: لانه لم تأت

نبوة قط بمشيئة انسان بل تكلم اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس (٢ بط ٢١:٢) وقال له المجد: واما المعزى الروح القدس الذى يرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ماقلته لكم (يو ٢٦:١٤).

ومن هذه النصوص الآلهية يتضح ان الروح القدس هو اله حق وله مالله من الجوهر والطبع. لانه (أولا) يعرف جليا كل مافى الله من الاحكام الغامضة والاسرار الخفية. كما أنه يكشف للمؤمنين عن الاسرار التى خصت بهم والمواهب التى تقررت لهم بالمسيح يسوع ربنا (ثانيا) يعلمهم كل شئ ويرشدهم الى جميع الحق ويخبرهم بامور آتية. وواضح أن من يعلم كل شئ ويعرف جميع الحق ويخبر بامور آتية انما هو الاله المخبر منذ البدء بالاخير ومنذ القديم بما لم يفعل (اش ١٠:٤٦).

(موجود فى كل مكان)

قال ربنا له المجد: وانا اطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الابد روح الحق القدس الذى لا يستطيع العالم ان يقبله لانه لا يراه ولا يعرفه واما انتم فتعرفونه لانه ماكث معكم ويكون فيكم (يو ١٦:١٤) وقال حجى النبى: وروحى قائم فى وسطكم لا تخافوا (حجى ٥:٢) وقال بولس الرسول: أم لستم تعلمون ان جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم (١ كو ١٠:٧) وقال اشعيا النبى: من قاس روح الرب (اش ١٣:٤٠) وقال صاحب المزمور: أين أذهب من روحك ومن وجهك اين أختفى (مز ٧:١٣٩).

ومن هذه النصوص الجلية يستدل على عدم محدودية الروح القدس ثم حضوره فى كل مكان بحيث لا يخلو منه موضع فى السماء او على

الارض يهرب اليه الانسان وهنالك مختفى. كما انه لا يمكن حصره فى مكان معين حتى يستطيع كائن من كان ان يقيسه ويعرف مساحة الفضاء الذى يشغله. وواضح أن الحضور فى كل مكان وعدم المحدودية انما هما من اخص صفات الاله الذى لا تسعه السموات ولا سماء السموات (١ مل ٨:٧).

(فاحص القلوب)

قال بطرس الرسول: باحثين اى وقت او ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم اذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والامجاد التى بعدها (١ بط ١:١١) وقال بولس الرسول: فاعلنه الله لنا بروحه لان الروح يفحص كل شئ حتى اعماق الله (١ كو ٢:١٠).

حقا ان ماورد فى هذه الآيات هو بلاشك من اقطع الادلة واقواها على لاهوت الروح القدس لان فحص القلوب ومعرفة ماتكنه الضمائر ممتنع عن عقل المحدود.

(مانح الحياة)

قال بولس الرسول: وان كان روح الذى اقام يسوع من الاموات ساكنا فيكم فالذى اقام المسيح من الاموات سيحيى اجسادكم المائتة ايضا بروحه الساكن فيكم (رو ٨:١١) وقال حزقيال النبى: واجعل روحى فيكم فتحيون (حز ٣٧:١٤) وقال بطرس الرسول: فانه لاجل هذا بشر الموتى ايضا لكى يدانوا حسب الناس بالجسد ولكن ليحيوا حسب الله بالروح (١ بط ٤:٦).

ان من اعمل الفكر فى هذه الآيات الصريحة اتضح له انها تصف الروح القدس بانه منبع الحياة من جهة وله القدرة على منحها

للمخلوقات من جهة أخرى. وحيث أن صدور الحياة ومنحها للمخلوقات من الصفات التي انفرد بها الخالق دون المخلوق (تك ٢:٧) فاذن الروح القدس هو اله بلا محالة.

(ازلي ابدي)

قال بولس الرسول: فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح ازلي(١) قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة (عب ٩:١٤).

لا جدال في ان هذه الصفة اي صفة الازلية لم يصفه بها الوحي الالهي كائنا من الكائنات سوى الذات الآلهية كقول صاحب المزمور: من قبل ان تولد الجبال او أبدأت الأرض والمسكونة منذ الازل الى الابد انت الله (مز ٩٠:٢).

وحيث ان الروح القدس قد وصف بهذه الصفة عينها فهو ولا ريب اله حق.

(ديان)

قال ربنا له المجد: ومتى جاء ذاك (الروح القدس) يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة (يو ١٦:١٠).

حيث أن القدرة على الدينونة تستلزم القوة على فحص قلوب الجميع ومعرفة الأسباب الموجبة لأعمالهم ولا يقدر على ذلك الا الله وحده.

وحيث أن الروح القدس يدين العالم ويبكته وله مع ذلك القوة

---

(١) أي ان الروح القدس كان مشاركا للسيد المسيح في حياته الارضية وحالا فيه لاتمام عمل الفداء العظيم.

على فحص قلوب الجميع فهو اذن اله لان تلك من الصفات الجوهرية الدالة على الالوهية .

(غافر الخطايا)

قال بولس الرسول: لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا (١ كو ٦:١١).

ان مغفرة الخطايا لهى من اكبر الادلة على الوهية الروح القدس لان ترك خطايا الناس من حقوق الله وحده لانه هو الحاكم الادبى وكل خاطئ اليه. فله وحده الحق ان يعفو عنه (لو ٥:٢٠).

(مانح العطايا)

قال السيد المسيح له المجد: لان الروح القدس يعلمكم فى تلك الساعة مايجب أن تقولوه (لو ١٢:١٢) وقال بولس الرسول: فانه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد ولآخر عمل قوات ولآخر نبوة ولآخر تمييز الأرواح ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء (كو ١٢:٥-١٢) انظر ايضا (تك ٤١:٣٨ وخر ٣١:٣ و٣٥:٣١ وقض ٣:١٠و٦:٣٤ و١١:٢٩و١٣:٢٥ و١٤:٢٦).

{ الاعمال الدالة على لاهوت الروح القدس }

وفوق ماتقدم من تلك الاسماء الآلهية الجليلة فانه قد ورد ايضا فى كتاب الله اعمال آلهية متنوعة نسبت للروح القدس كنسبتها لله تماما ولا يمكننا ان نعلل لذلك الا بان الروح القدس هو الله نفسه والا لما صح نسبتها اليه بهذه الكيفية لان الوحي غيور على مجد الله فلا يعطى كرامتة لمخلوق ما.

(اولا) قال السيد له المجد: فاطلبوا من رب الحصاد ان يرسل

فعلة لحصاده (مت ٩: ٣٨) وقيل في أعمال الرسل: فهذان إذ أرسلا من الروح القدس انحدرا الى سلوكية ومن هناك سافرا في البحر الى قبرص (اع ١٣: ٤).

فالروح القدس بارساله الفاعلين المذكورين الى الحصاد الانجيلي أثبت لنا أنه رب الحصاد نفسه الذي يأمر السيد أن نطلب منه ارسال الفعلة الى حصاده.

(ثانيا) لقد أخبر أشعياء النبي عن نفسه بأن السيد رب الجنود قال له: اذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعا ولا تفهموا وابصروا ابصارا ولا تعرفوا (اش ٦: ٨).

أما بولس الرسول فصرح في سفر أعمال الرسل بأن هذا القول نطق به الروح القدس بقوله (حسنا كلم الروح القدس آباءنا بأشعياء النبي قائلا: اذهب الى هذا الشعب وقل تسمعون سمعا ولا تفهمون وتنظرون نظرا ولا تبصرون (اع ٢٨: ٢٦).

ومن هذا يتضح أن الروح القدس هو الله لان مانسبه أشعياء للسيد الرب نسبه كاتب أعمال الرسل للروح القدس.

(ثالثا) قال ربنا يسوع المسيح: ان كنت انا بروح الله اخرج الشياطين (مت ١٢: ٢٨) وقال في موضع آخر: ان كنت باصبع الله أخرج الشياطين (لو ١١: ٢٠).

ان أصبع الله عبارة مجازية تكني عن فاعلية الله الذاتية وقدرته الفائقة. فالقول بأن الشياطين قد أخرجت باصبع الله كالقول بأن الله نفسه أخرجها. وحيث أن هذا العمل نسب الى الروح القدس في الآية الأولى ثم نسب الى الله في الآية الثانية فاذن الروح القدس هو الله نفسه.

(رابعا) لقد اثبت لوقا الانجيلى فى سفر اعمال الرسل أن الروح القدس هو الذى يدعو الناس للوظيفة الكهنوتية بقوله: قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتها اليه (اع ١٣: ٢) اما بولس الرسول فنسب هذا العمل الى الله بقوله: ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون أيضا (عب ٥: ٤).

ومن ذلك يتبرهن على ان الروح القدس هو الله نفسه لانه يعمل العمل المختص بالله وحده.

(خامسا) قال بولس الرسول: كل الكتاب هو موحى به من الله (٢ تى ٣: ١٦) وقال بطرس الرسول: لانه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان بل تكلم اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس (٢ بط ١: ٢١).

ومن هاتين الآيتين يعلم أن ما يعمله الله تصح نسبته للروح القدس أيضا وفى ذلك دليل واضح على أنه هو الله نفسه.

(سادسا) قال بولس الرسول: اما تعلمون انكم هيكل الله (١كو ١٦:٧) ثم عاد فقال: ام لستم تعلمون ان جسدكم هو هيكل للروح القدس(١) الذى فيكم (١ كو ٦: ١٩).

ومن هنا يظهر أن الروح القدس هو الله. والله هو الروح القدس والا كان كلام الرسول مناقضا لبعضه. وهذا باطل.

(سابعا) اعترف صاحب المزمور بحضور الروح القدس فى كل مكان

---

(١) هذه الآية من اقطع الادلة على لاهوت الروح القدس لان ذلك لا يصح نسبته الا للاهوت وحده.

بقوله: أين اذهب من روحك (مز ١٣٩:٧) غير انه يستنتج مما يلى هذا القول انه يقصد بذلك حضور الله نفسه بدليل قوله: "ان صعدت الى السموات فانت هناك" ومن ذلك نستنتج أن حضور الروح القدس فى كل مكان هو بعينه حضور الله.

(ثامنا) قال بولس الرسول: مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح أبو الرأفة واله كل تعزية الذى يعزينا فى كل ضيقتنا (٢ كو ١:٣).

ويؤخذ من هذه الآية ان كل تعزية روحية تفاض من السماء على بنى الانسان انما تصدر من الله وحده. فلو لم يكن الروح القدس احد الاقانيم الثلاثة الكائنة فى وحدانية الله لما سمى (معزيا) وانطبقت عليه تلك التسمية التى اسماه بها ربنا بقوله: ومتى جاء المعزى الذى سارسله انا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى (يو ١٥:٢٦).

ومما تقدم يتضح لاهوت الروح القدس ومساواته للآب والابن فى صفاته ومقامه.

شهادة الكنيسة

لالوهية الروح القدس

(١) قال القديس اثناسيوس الرسولى (هكذا نقر ونعترف ان الابن والروح القدس مساويان للآب. وكل من لا يؤمن ويقر انهم جوهر واحد وطبع واحد بالقول والفعل فليكن محروما).

(٢) قال القديس كيرلس (علمنا آباؤنا القديسون ان نؤمن باله واحد ضابط الكل وهو بلا ابتداء وليس له انقضاء. آب واحد كامل في اقنومه. وابن واحد كامل فى اقنومه. وروح قدس كامل فى اقنومه وصورته. وليس هؤلاء مثل درجات مملكة بل جوهر واحد. سلطان واحد مسرة واحدة. ارادة واحدة. ربوبية واحدة).

(٣) وقال الانبا ساتوتيوس بطريرك الاسكندرية فى رسالة الى الانبا ديونوسيوس بطريرك انطاكية (ليس فى الثالوث المقدس واحد انقص من آخر. ولا واحد تحت طاعة واحد. وليس ايضا اعلى من آخر فى شرف اللاهوت ولا آخر يامر آخر مثل خادم وهو تحت سلطانه. بل هم متساوون فى الكرامة الواحدة من الربوبية واللاهوتية وعلو الضياء والمجد والسبح وضبط الكل).

(٤) وكتب الانبا اخرستقولوا بطريرك الاسكندرية الى الانبا يوحنا بطريرك انطاكية قائلا (اننا نحرم ونرذل امانة ابوليناريوس الذى يجعل فى الطبيعة الآلهية مراتب ومقادير فيقول عظيم. واعظم منه. وافضل عظما. فيسمى الروح القدس عظيما. والابن اعظم. والآب افضل عظما. ثم يهذى ايضا ويقول: ان الاب ليس بمحدود فى القوة والجوهر. والابن محدود بالقوة لا بالجوهر. اما الروح القدس فمحدود فى القوة والجوهر).

(ثم تحرم ايضا سبليوس الذى جمع الثالوث المقدس فى اقنوم واحد وقال (انه يسمى فى زمن العتيقة ابا . وفى زمن تأنس الكلمة ابنا . وفى زمن التلاميذ يسمى الروح القدس) ولم يعط الثالوث المقدس مايجب له من الكرامة . لانهم اقانيم حقيقية . طبيعة واحدة الهية نؤمن بهم ونسجد لهم . ونحرم المضل اريوس ومكدونيوس الكافر بالروح القدس) .

(٥) وقال الانبا قزمان بطريرك الاسكندرية فى رسالة الى الانبا يوحنا بطريرك انطاكية (قال المسيح انى أسأل أبى فيرسل لكم (بارقليط) آخر اى معزيا مثلى. فليخز الذين قد مرضوا بمرض سبليوس ومكدونيوس فينقمون مجد الروح القدس بقولهم انه لم يكن موجودا . ويجب ان نتعجب من ايضاح الرب هذا القول. لانه بقوله آخر. أوضح لنا افتراق الاقانيم . وبقوله (معزيا) مثلى اعلمنا بخاصته الجوهرية . وهذه البراهين السديدة تسد افواه اصحاب سبليوس الدنسة . وتبطل آراء اصحاب اريوس المضادة للثالوث المقدس ذي الجوهر الواحد .

(اما نحن معشر الأرثوذكسيين فاننا نقر ونعترف بمجد الثالوث ونسبحه بقلب نقى بلا مراءاة والذين يعدلون عن هذا فهم محرمون)

(٦) وقال الانبا مينا بطريرك الاسكندرية (ونحن على الايمان المستقيم بالآب والابن والروح القدس الاله الواحد ذي الربوبية والقوة والارادة الواحدة . والسلطان والفعل والاتفاق الواحد فى الذات الواحدة كما علمنا القديس بولس فى رسالته الى اهل كورنثوس قائلا (ليس اله الا الله الواحد وان وجد مايسمى آلهة سواء كان فى السماء ام على الارض اما نحن فلنا آله واحد الله

الآب الـذى منـه كـل شئ ونحن به والروح القدس(١) الواحد الذى منـه كـل شئ (١ كو ٨:٦) الثالوث الطاهر الغير المخلوق ننادى لـه بكرامـة واحـدة . ولاهـوت واحد وسيادة واحدة . هو بارىء كل مـاسـواه وهـو ثلاثة مفترقة فى الاقانيم وواحدة فى جوهرها. غير ممتزجه ولا مفترقة وهى الآب والابن والروح القدس).

(٧) وقال الانبا يوحنا اسقف البرلس فى حرمه الثالث (من قال ان الآب موجـود قبـل الابـن. والابن موجود قبل الروح القدس. او قـال انه كان ثم زمان ليس الابن موجودا مع الاب والروح القدس. فليكن محروما).

(٨)وقال القديس اثناسيوس بطريرك انطاكية (أومن واعترف بالآب والابن والروح القدس.وحدة قدسية متساويةفى الجوهر. مسجود لها معبودة متساوية فى التسبيح غير مخلوقة .متساوية بالفعل.خالقة مدبـرة لسائر الخلائق ومعطية العطايا الحسنة. تفترق بالاقانيم بغير انفصال وتجتمع بجوهر اللاهوت.وهى فوق كل احصاء وانقسام. توحيد بتثليث وتثليث بتوحيد. انقسام مجتمع واجتماع منقسم).

(٩) وقـال الانبـا يوحنا بطريرك انطاكية (واذا قلنا اللاهوت او الله فهو الآب والابن والروح القدس. الكيان الغير المخلوق. الغـير المتحـول. الغـير المنظور. الذى لا ابتداء له. الخالق صانع الكل. القادر على الكل. الناظر للكل. المعروف بالاقانيم بغـير اختلاط ولا امتزاج. هو لاهوت واحد وجوهر واحد لا ينقسم ولا يتجزأ. الواحد ثلاثة والثلاثة واحد. مثلث التوحيد موحد بالتثليث)

---

(١) لم يوجد الجزء الاخير من هذه الآية فى طبعة بيروت.

الفصل الثالث

في

اقنومية الروح القدس

ان الروح القدس الذي وعد به المسيح أن يرسله معزيا وشفيعا والذي هو الفاعل العظيم في تعليمنا وارشادنا وتقديسنا وانارة أذهاننا لمعرفة الحق الالهي لا يمكن ان يكون صفة أو قوة آلهية . بل هو كائن ممتاز في الاقنومية والصفات الذاتية. وذلك بدليل الاعمال التي عملها بنفسه كالامر والنهي والمنح والمنع والارسال والارشاد والخطاب والتوبيخ وما الى ذلك من الافعال التي دلت على انه اقنوم الهي ممتاز ذو مشيئة واختيار وقدرة ومحبة حسبما هو منصوص عنه من أول الكتاب الى آخره (١ كو ١٢:١١ ورو ١٥:٣٠).

(١) قال السيد له المجد لتلاميذه : اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨:١٩) فواو العطف المعطوف على كل واحد من الاقانيم الثلاثة برهان على انهم مميزون في الاقنومية ومتساوون في الجوهر.

(٢) جاء في سفر أعمال الرسل: انه بينما كان وزير كنداكه ملكة الحبشة راجعا الى بلاده وهو يقرا في سفر اشعياء قال الروح القدس لفيلبس: تقدم ورافق المركبة (اع ٨:٢٩).

ومن امعن النظر في هذه الحادثة عينها انه لما صعد فيلبس والخصي من الماء خطف الروح القدس فيلبس ولم يبصره الخصي (اع ٨:٣٩).

ويستنتج من هذه الحادثة أن الروح القدس أمر فيلبس بالمجئ الى ذلك المكان لارشاد الخصى وتعميده. ولما انتهى من عمله الذي انتدب لاجله أمره بالانصراف لمباشرة عمل آخر. وفي ذلك دليل من أوضح الادلة على أن الروح القدس أقنوم خاص ذو أمر وحكمة ومشيئة.

(٣) عندما حضر الرجال الموفدون من قبل كرنيليوس فى طلب بطرس الرسول وتردد بطرس في الذهاب معهم. قال له الروح: هو ذا ثلاثة رجال يطلبونك لكن قم وانزل واذهب معهم غير مرتاب فى شئ لانى انا قد أرسلتهم (اع ١٠:١٩) هذا ولا يخفى ان ربنا له المجد كان قد سبق وأمر تلاميذه على اثر قيامته ان يبشروا بالانجيل للخليقة كلها (مر ١٦:١٥) غير أن التلاميذ لم يفهموا قصده من ذلك وقتئذ ومضى عليهم نحو ثمانى سنين بعد صعوده وهم لم يشرعوا بطريقة رسمية فى تبشير الأمم وانضمامهم الى الكنيسة اسوة باليهود. وظلوا على هذه الحال حتى أمر الروح القدس بطرس الرسول هنا ان ينطلق مع الرجال الموفدين من قبل كرنيليوس ليعمده ويقبله فى الايمان بلا تردد. فقام بطرس اذعانا لأمر الروح القدس ونزولا على ارادته الصالحة وذهب الى بيت كرنيليوس وهناك عمده هو واهل بيته. ومن ذلك الحين فتح باب الكنيسة رسميا لقبول الامم بعد أن كان موصدا امامهم اى ايصاد.

ومن هذه الحادثة يتبين أن الروح القدس هو أقنوم خاص له سلطان عام مطلق واليه ينسب فتح باب الخلاص للامم لان هذه الارسالية كانت من قبله وبامره ونتيجة محبته للانسانية الساقطة.

(٤) بينما كان التلاميذ يخدمون الرب ويصومون: قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه (اع ١٣:٣).

فأمر الروح القدس للتلاميذ ان يفرزوا برنابا وشاول لعمل الكرازة انما هو دليل على مشاركته للآب والابن فى تشييد الكنيسة واهتمامه بتقدمها ونجاحها. وهذا لايصدق الا على اقنوم خاص قائم بذاته.

(٥) اراد بولس الرسول مرة ان يذهب الى آسيا الصغرى للتبشير بالانجيل فلم ياذن له الروح القدس بذلك بل نهاه ومنعه حيث قيل: وبعد ما اجتازوا فى فريجية وكورة غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلموا في آسيا (اع ١٦:٦) فمنع بولس من الذهاب بامر الروح القدس لا يفسر الا بان الروح القدس هو اقنوم خاص يخاطب(١) الناس ويخاطبونه فياتمرون بامره وينتهون بنهيه.

(٦) جاء عن بولس الرسول انه بينما كان يخطب في قسوس كنيسة افسس قال لهم: احترزوا اذن لانفسكم ولجميع الرعية التى اقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه (اع ٢٠:٢٨) وبهذا القول أثبت أن الروح القدس هو اقنوم الهى يدعو الناس لخدمة الكنيسة ورعايتها. وهو الذى

---

(١) ان مخاطبة الروح القدس لرجال الله كانت باحدى الطرق الآتية "١"إما انه كان يكلمهم بصوت مسموع "٢"وإما برؤى وأحلام الهية "٣"وإما يلهمهم بتاثيره فى قلوبهم اى يكلم روحهم رأسا.

يهبهم المواهب التى يقتضيها القيام بما يجب عليهم. كما انه هو الذى يرشد الكنيسة الى انتخاب رعاتها فيرسمون بارشاده وعنايته الالهية.

ومما تقدم يتضح اتضاحا جليا لا لبس فيه ان الروح القدس هو اقنوم الهي خاص مساو لاقنومى الآب والابن وممتاز عنهما (اى قائم بنفسه) لان كل ذى عقل ومشيئة وعواطف وقدرة على العمل هو بالضرورة ذات ممتاز عن غيره.

الفصل الرابع

فى

مساواة الروح القدس للآب والابن

ان ماتقدم من آيات الكتاب الصريحة واقوال آباء الكنيسة الواضحة الجلية كاف لاثبات مساواة الروح القدس للآب والابن فى المقام والصفات. الا انه لبيان تلك العقيدة بوضوح اوفر وجلاء ازيد ناتى بادلة اخرى مؤيدة لذلك فنقول :-

(١) قال ربنا له المجد لتلاميذه : اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨:١٩) ومن هذا النطق الالهى يتبين أن المتعمد يقتبل العماد باسم الروح القدس كما يقتبله باسم الاب والابن. فلو كان الروح القدس انسانا او ملاكا او اى خليقة اخرى لكان المتعمد يقتبل العماد باسم الخالق والمخلوق معا. وذلك لا يتفق وكرامة الخالق جل شانه مزر بمقامه الالهى.

ولو كان الروح القدس صفة من صفات الله لكان المتعمد يعمد باسم الله وباسم صفة من صفاته وهذا قول لا يسلم به عاقل لانه لا معنى له.

قال احد علماء الكتاب (ان الاعتماد باسم الآب والابن والروح القدس اقرار بالوهية كل من الاقانيم الثلاثة. فالاعتماد باسم الآب اقرار بانه خالق. والاعتماد باسم الابن اقرار بانه اله غافر. والاعتماد باسم الروح القدس اقرار بانه اله مقدس (راجع ١ بط ١:٢).

(٢) قال له المجد فى ليلة صلبه المجيد مخاطبا تلاميذه : لكنى اقول لكم الحق انه خير لكم أن انطلق لانه ان لم انطلق لا ياتيكم المعزى (يو ١٦: ٧) وبذلك اثبت ان الروح القدس هو اله حق مساو له وللآب. لانه لو كان الروح القدس مخلوقا لا خالقا لما كان الافضل للتلاميذ انطلاق المسيح وهو اله واتيان الروح القدس إليهم وهو مخلوق وخادم.

(٣) وقال ايضا لتلاميذه : وانا اطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد (يو ١٤: ١٦) ويقصد بالمعزى الأول نفسه والمعزى الآخر الروح القدس. فلو لم يكن الروح القدس اقنوما الهيا لما ساواه بنفسه وقال عنه انه معز آخر. والا تساوى المخلوق بالخالق وذلك باطل بالبداهة.

(٤) قال يوحنا الرسول: فان الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة . الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد (١ يو ٥: ٧) وهذه الآية من اظهر الآيات واقواها ضد سائر المبتدعين لانها تؤيد حقيقة الثالوث وتثبت الوهية المسيح والروح القدس.

(٥) قال له المجد: الحق اقول لكم ان جميع الخطايا تغفر لبنى البشر والتجاديف التى يجدفونها ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة الى الأبد بل هو مستوجب دينونة ابدية

معزى - ترجمة (فارقليط) فى اليونانية ومعناها معز ومعين وشفيع معا . ولما كان لايوجد في اللغة العربية ما يؤدى معنى كلمة (فارقليط) بالضبط لهذا وردت فى اكثر نسخ الانجيل المخطوطة (فارقليط) عوضا عن معز.

(مر ٣:٢٨) وذلك من أخص الادلة على لاهوت الروح القدس. لان هذه الغيرة الفائقة التى بدت من السيد المسيح على مجد الروح القدس وكرامته لا تليق الا بالله وحده ويستحيل ان يفوز بها مخلوق ما معما علت منزلته وسمت درجته.

(٦) قال بولس الرسول مباركا المؤمنين: نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين (٢ كو ١٣:١٤).

وهذا الدعاء من اصدق الادلة على مساواة الروح القدس للآب والابن لانه كما أن الرسول طلب أن نعمة الرب يسوع ومحبة الله الآب تكونان مع المؤمنين هكذا طلب ان تكون شركة الروح القدس معهم أيضا. اى انه طلب من الاقانيم الثلاثة القاء السلم بينهم والرضى عنهم وبذل النعمة لهم. وفى ذلك دليل المساواة بين هؤلاء الاقانيم الثلاثة.

ومن هذه الادلة المتينة والبراهين الصريحة يتحقق أن الروح القدس هو الله نفسه ونحن ملزمون أن نقدم له نفس العبادة والاكرام والمحبة التى نقدمها للآب والابن.

الفصل الخامس

فى

الاعمال التى تنسب للروح القدس

بمافيها نصيبه الخاص من عمل الفداء المجيد

بما ان الاقانيم الالهية الثلاثة هم إله واحد هكذا اعمالهم هى واحدة ايضا نظير خلق العالم وحفظه والعناية به (تك ١:٢ ومز ١٠٤:٣ واى ٢٧:٣).

غير انه كما نسب الاختيار للآب والفداء للابن كذلك نسب التجديد والتقديس للروح القدس. قال بطرس الرسول: المختارين بمقتضى علم الله السابق فى تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح (ابط ١:٢) وفى هذه الآية اسند الرسول الإنتخاب او الاختيار الى الآب والتقديس الى الروح القدس والفداء الى الابن (راجع ايضا ٢ تس ٢:١٣).

(الاعمال التى نسبها الكتاب للروح القدس)

اما الاعمال التى نسبها الكتاب للروح القدس فكثيرة منها:

(١) نصيبه الخاص من عمل الفداء المجيد.

(٢) التبنى لله (اى بالروح القدس صار المؤمنون ابناء الله)

(٣) الارشاد الى الحق. (٤) التجديد والتقديس والتبرير.

(٥) مؤازرة رجال الله الملهمين (٦) التقوية والتنشيط والمعونة فى الصلاة. (٧) اعطاء بعض الناس قوة خاصة (٨) منح الصبر للمؤمنين فى الضيقات (٩) بناء الكنيسة وسياستها ونموها وثباتها واختيار فعلتها وفتح باب الخلاص للامم.

(١) نصيب الروح القدس الخاص

من عمل الفداء العجيب

أما نصيب الروح القدس من عمل الفداء فهو:

(١) صور جسد السيد المسيح ونفسه فى مستودع القديسة مريم كما هو واضح من قول الملاك لها: الروح القدس يحل عليك (لو ٧٥:١) جوابا على سؤالها اياه: كيف يكون لى هذا وانا لست اعرف رجلا (لو ٣٤:١) وقوله ليوسف ايضا: لا تخف ان تاخذ مريم امرأتك لان الذى حل به فيها هو من الروح القدس (مت ٢:١) وبذلك اثبت ان جسد السيد له المجد كونه الروح القدس غير ان الروح القدس لا يمكن أن يدعى ابا لهذا الجسد المقدس لانه لم ياخذ شيئا من جوهره.

(٢) نزل عليه نزولا خاصا يفوق ادراك البشر على اثر معموديته (مت ١٦:٣).

(٣) خرج به الى البرية للتجربة (مت ١:٤).

(٤) شاركه فى حياته الارضية المقدسة لاتمام عمل الفداء المجيد (عب ١٤:٩).

(٥) كان له مدخل عظيم فى قيامته المباركة (رو ١١:٨).

(٦) شهد له بأنه ابن الله الازلى وانه الماسيا المنتظر حسبما حدث فى يوم الخمسين حيث آمن به كثيرون من كل أمة تحت السماء. ومن ذلك الوقت الى الآن وهو يشهد له وستدوم شهادته الى أن تجثو باسم يسوع كل ركبة ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو الاله الحق. قال له المجد: روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى (يو ٢٦:١٥).

(٢) التبنى لله

ان التبنى لله هو الدخول فى نسبة جديدة الى الله بواسطة الولادة الروحية والايمان بالمسيح بحيث نصير أولاد لا من جهة كونه قد خلقنا فقط بل ايضا من جهة كونه قد فدانا وبذلك نصير ورثة الله ووارثين مع المسيح. قال بولس الرسول: لان كل الذين ينقادون بروح الله فاولئك هم ابناء الله. اذ لم تأخذوا روح العبودية ايضا للخوف بل اخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا ابا الآب. الروح نفسه يشهد لأرواحنا اننا أولاد الله (رو ٨:١٤-١٦) وقال ايضا: ثم بما انكم ابناء ارسل الله روح ابنه الى قلوبكم صارخا يا ابا الآب (غل ٤:٦).

(٣) الارشاد الى الحق

ان الروح القدس يدخل أعماق الانسان ويتسلط على عواطفه بما يوافق روحه تمام الموافقة (رو ٨:١٦) ثم يرافقه على الدوام ويرشده ويحرك قلبه للاذعان للحق الالهى وينبه ضميره الغافل ويحقق له خطأه فيشعر به ويتوب الى رشده (اع ٢:٣٧).

ان الانسان باعتبار انه من الجنس الساقط فهو بلا محالة ضال شارد عن الله بل هو ميت موتا روحيا. وهذا يصدق على من هو فى الكنيسة كما يصدق على من هو خارجها ايضا. وعلى ذلك تتوقف هداية كل انسان وارشاده الى الحق ونيله الحياة الجديدة على الروح القدس (يو ٣:٨) ذاك الذى يعمل فى هدايته واعطائه الحياة الروحية على هذا الترتيب بأن يوقفه عن ضلاله ثم يهبه الايمان ثم ينعم عليه بالاتحاد. والخلاصة ان الروح القدس وحده هو مصدر الهداية والحياة الروحية فى الانسان والذى بواسطته

ينمو في ذلك على الدوام إلى ان يصل إلى حالة الكمال عند الموت وينال النصيب الأبدى المعين لأولاد الله.

قال يوحنا فم الذهب: "ان الروح القدس ياخذ مافى الانجيل من مواعيد وانذارات وارشادات ويجعلها مؤثرة فى قلوب الناس ويقدرهم على ان يفهموها ويقبلوها فيرجعوا عن ضلالهم ويؤمنوا وبذلك ينشئ حياة جديدة فى أنفسهم الضالة المائتة بالذنوب والخطايا كأنها جثة ميتة يضع فيها نسمة حياة روحية فتعرف الحق الذي هو ابن الله وتعترف به. قال بولس الرسول: ليس احد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس (١ كو ١٢:٣).

(٤) التجديد والتقديس والتبرير

ان الروح القدس يجدد الخاطئ ويقدسه ويبرره وذلك بان يغير طباعه واخلاقه وميوله فيصبو إلى الصلاح والقداسة والبر والفضيلة والمعرفة والحق والاستقامة بدلا من الشر والرذيلة والجهل والبطل. كما انه يصيره غير مستحق للعقاب الأبدى ايضا. وذلك لأنه كما أن التقديس والتجديد يغيران صفات المؤمن من حال حسنة كذلك التبرير فانه يحتسبه بارا اى ليس عليه شئ للناموس وبالتالى غير مستحق العقاب. ومن ثم يدعى هذا الانسان خليقة جديدة. قال بولس الرسول: إذا ان كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة الاشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديدا (٢ كو ٥:١٧) وقال ايضا: وهكذا كان اناس منكم لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا (١ كو ٦:١١).

قال احد اللاهوتيين: "ان الذى تفعله النار العنصرية بالحديد يفعله الروح القدس في القلب الدنس البارد العديم الليونة.

فكمـا ان النـار العنصرية تنقـى الحديد وترفع عنه البرودة وتصيره لينا للغاية هكذا الروح القدس فانه ينقى القلب الدنس وينتزع عنه برودة الخطية ويضرمه بحرارة العبادة ويصيره لينا جدا لانطباع الالهامات الالهية ".

<u>ملاحظة</u> : ان عمل الروح القدس او بالحرى الولادة الجديدة تكون عادة على كيفية لاتدركها العقول غير ان ذلك لا ينفى حقيقتها وحدوثها كما ان عدم شعور الانسان بتكوينه فى بطن امه وولادته منها لاينفى حدوثهما ولا يجعل للريب والشك مجالا فى صحتهما .

فالخاطئ بينما يكون غارقا فى آثامه ومعاصيه لا يلبث ان يجد نفسه قد تطورت من حال سيئة إلى حال حميدة . اى انها كرهت الخطيئة واحبت القداسة . وتركت الشر واختارت البر. وما هى إلا فترة وجيزة حتى تنتقل من حياة جسدية فاسدة مائتة إلى حياة روحية مقدسة .

وقد اثبت ربنا ذلك بمثل الريح حيث قال: الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها ولكنك لا تعلم من اين تاتى ولا اين تذهب هكذا كل من ولد من الروح (يو ٣:٨) اى انه كما اننا لا نقدر ان نرى الريح أو نخبر بمصدرها او غايتها ومع ذلك لم ننكر وجودها عندما نسمع صوتها هكذا وجود الروح القدس وعمله فى القلب فاننا وان كنا لا نقدر ان نراه ولا نعرف كيفيته ولكننا نستدل عليه من تاثيره ونتائجه كتغيير افكارنا وإصلاح سيرتنا .

غير انه يجب ان نعلم ان تاثير الروح القدس على عقول البشر ليعملوا بارادتهم الحرة مايريده هو لا يتعارض مع حريتهم ولا

ينفى المسئولية الملقاة على عاتقهم.

فالانسان بحسب ماورد فى كتاب الله ملزم ان يؤمن ايمانا صحيحا ويعيش عيشة صالحة مقدسة ويتمم باجتهاده الذاتى الواجبات نفسها التى يحتاج معها لمساعدة الروح القدس مع انه فى الواقع لا يستطيع ان يقوم بهذا العمل الا بمساعدة الروح القدس ومؤازرته. فهذه الامور وان كنا لا نستطيع ان نعلل لها لانها من الاسرار التى وضعها الله تحت سلطانه ولا يمكن لعقل بشرى ان يدركها الا اننا مضطرون ان نقبلها ونسلم بصحتها وعدالتها.

(٥) التقوية والتنشيط والمعونة فى الصلاة

ان الروح القدس يعين ويقوى وينشط ضعفات المؤمنين ثم يشفع فيهم اى يقدم صلواتهم فى محضر الثالوث المقدس لانهم لا يعلمون ماينفعهم طلبه فى كل احوال الحياة المختلفة. ولا مايحسن بالله ان يهبه لهم. ولا مايجب ان يصلوا به من الرغبة والايمان والاستمرار بل كثيرا مايظنون انهم يطلبون لانفسهم أمورا مفيدة جيدة بينما تكون ضارة سيئة. ولهذا قال بولس الرسول: وكذلك الروح أيضا يعين ضعفاتنا لاننا لسنا نعلم مانصلى لاجله كما ينبغى ولكن الروح نفسه يشفع فينا بانات لا ينطق بها ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ماهو اهتمام الروح لانه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين (رو ٨:٢٦) اى أن الروح القدس يعلمنا كيف نرغب فى رضوان الله. وكيف يكون الله وحده هو موضوع سرورنا ورضانا ومحبتنا وغاية اشواقنا فى سائر طلباتنا التى لم تخرج عن واحدة من هذه الامور الثلاثة وهى خيرات الروح

وخيرات الجسد والحياة الدائمة في العالم العتيد.

(٦) مؤازرة رجال الله الملهمين

ان الروح القدس يؤازر الكتبة الملهمين بامداده وارشاده ويقودهم بغزارة حكمته لمعرفة مقاصد الله السامية فى وضع الكتب الالهية للبشر ثم يعممهم بقوته وسلطانه ليكتبوا مايمليه عليهم بالدقة والضبط دون ان يخطئوا فيه او يتركوا منه شيئا. ومن ثم قال بطرس الرسول: لانه لم تات نبوة قط بمشيئة انسان بل تكلم اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس (٢ بط ١: ٢٠).

(٧) منح بعض الناس قوة خاصة

ان الروح القدس يمنح بعض الناس قوة خاصة (قض ٣:١٠) ومهارة عجيبة ومعرفة فائقة الطبيعة (خر ٣١:٣) وانباء بما فى المستقبل وقدرة على بيانه (٢ صم ٢٣:٢ و١ اى ٢٨:١١) ثم يكشف لهم ايضا غوامض حكمة الله واسرار الايمان السامية فيستطيعون ادراكها واحتمالها. قال له المجد لتلاميذه: ان لى امورا كثيرة ايضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الآن واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق (يو ١٦:١٢).

(٨) اعطاء الصبر فى الضيقات

ان الروح القدس يعطى المؤمنين صبرا فى الضيقات. جلدا فى المصائب. تعزية فى الاحزان حتى لا ينقص ايمانهم ويعتريه الضعف والوهن. لان البلايا والتجارب التى تنتاب المؤمن فى هذه الحياة كثيرا ماتكون قاسية وذات آلام شديدة موجعة فائقة الوصف بحيث لو عدم المبتلى بها تعزيات الروح القدس فى تلك

الظروف الحرجة لمات حزنا واسى او حاد عن جادة الايمان القويم (لو ٢٢:٣٢).

نعم يوجد معزون كثيرون من البشر ولكن تعزياتهم باطلة ولا تجدى نفعا بل ربما كانت ضارة ايضا (اى ١:١٦) لان التعزية الحقة ليست الا فى مستطاع الروح القدس ذاك الذى فوق كونه خبيرا باحوال المبتلى فهو قادر ومستعد ان يرثى لضعفاته ويعينه على الدوام ولهذا قال ربنا له المجد: وانا اطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الابد (يو ١٤:١٦) انظر ايضا (اع ٩:٣١).

(٩) بناء الكنيسة وسياستها ونموها وثباتها واختيار فعلتها وفتح باب الخلاص للامم الخ (راجع ماقيل عن ذلك فى الفصل الرابع فى اقنومية الروح القدس).

الفصل السادس

فى

انبثاق(١) الروح القدس من الآب

لقد تكلمنا عن هذه العقيدة باسهاب مستفيض فى باب التثليث والتوحيد (المجلد الاول ص ١٨١) ورددنا على اشهر اعتراضات من يعتقدون بانبثاق الروح القدس من الآب والابن خلافا للحقيقة.

وهنا نزيد على تلك الردود شهادات بعض آباء الكنيسة المعتمد على رأيهم فى مثل هذه القضايا اللاهوتية الخطيرة فنقول: انه فضلا عن تعليم السيد المسيح له المجد لرسله الكرام بان الروح القدس ينبثق من الآب وحده (يو ١٥:٢٦) فقد وافق على هذا التعليم الصحيح سائر الآباء القدماء معلمى الكنيسة.

(١) قال القديس باسليوس الكبير: "كما ان الكلمة الخالق شيد السماء هكذا الروح القدس الصادر من الله الذى من الآب ينبثق" وقال أيضا: كما أن الروح القدس ليس له الولادة بحالة ما. هكذا والابن ليس له الانبثاق. وكما أن الابن ليس هو من الروح القدس هكذا والروح القدس ليس هو من الابن. وكما أن الابن مولود من الآب وحده هكذا والروح القدس ينبثق من الآب وحده.

(٢) قال القديس غريغوريوس الثاولوغوس: "ان الروح فى الحقيقة هو الروح القدس الصادر من الآب لا كالابن بالمولودية بل بالانبثاق".

(٣) قال القديس يوحنا فم الذهب "ان الذين تشابهوا

---

(١) الانبثاق معناه الخروج او الصدور.

لمكدونيوس لم يؤمنوا ان الروح القدس المنبثق من الآب بطريقة لا تدرك. كان الله". وقال ايضا فى ميمره على البنديكستى: "ان الاب علة واحدة للابن والروح القدس".

(٤) قال القديس افرام السريانى: "أما الروح القدس فاذ لم يولد صدر من جوهر الآب غير ناقص ولا ممزوج لأنه اى الروح القدس ليس طورا ابا وتارة ابنا بل روح قدس حاو ملء الملاح".

(٥) قال القديس يوحنا الدمشقى: "ان الابن يولد من الآب. اما الروح القدس فهو ايضا من الآب. لكن ليس بالمولودية بل بالانبثاق على اننا قد عرفنا مابين المولودية والانبثاق من الفرق لكننا لا نستطيع ان نعلم طريقة الفرق ونوعيه. فان فى وقت واحد كانت مولودية الابن وانبثاق الروح القدس. فكلما هو للابن فهو للروح القدس ايضا من الآب".

(٦) قال القديس غريغوريوس نيصص: "ان الخامة الانبثاقية هى موجودة فى الآب فقط".

(٧) قال القديس اثناسيوس: "ان لنا إلها واحدا وهو الآب الذى لا بداءة له وهو مبدأ الأشياء كلها لان منه الكلمة يولد والروح القدس ينبثق".

ولم يشهد بصحة هذه العقيدة وهى انبثاق الروح القدس من الآب وحده آباء الكنيسة السالفو الذكر فقط بل شهد بها ايضا باباوات رومة المستقيمو الراى. فقد جاء فى التاريخ الكنسى عن البابا بنديكتوس(١) مايأتى :

---

(١) تاريخ الانشقاق ص ٣٥٨

"ولما كانت بدعة الانبثاق آخذة فى الامتداد بين الشعوب الغربية كتب (هذا البابا) دستور الايمان بحروف لاتينية خاليا من الزيادة وسن قانونا بوجوب تعليمه لكل واحد من الشعب الايطالى منعا لدخول الهرطقة وكتب رسائل بطاركة الشرق بأن رؤساء كهنة رومية لا يقبلون الشركة مع احد مالم يكن محافظا على دستور الايمان سالما كما سلمته المجامع المسكونية وحددت المحافظة عليه بان الروح القدس ينبثق من الآب فقط لا من الابن كما علم ابناء الفساد. وقد حافظ أكثر خلفاء هذا البابا على سلامة دستور الايمان الى ايام استفانوس الخامس نحو سنة ٨٩٥ م وعندما اراد نيقولاوس خليفة البابا باندكتوس سنة ٨٥٨ م أن يدخل الزيادة فى بلاد البلغار قاومه فوتيوس بطريرك القسطنطينية فى مجمع عقد بهذه العاصمة وقع عليه نواب الاسقف الرومانى بهذه العبارة (انه يجب ان لا يسن قانون جديد بل أن يصدق على دستور الايمان النيقاوى) وبعد ان توفى نيقولاوس المذكور واخلفه يوحنا الثامن سنة ٨٧٢ م قرر حرم كل من يعترف بالزيادة وكتب لفوتيوس يدافع عن كنيسته بقوله: "اننا نحن فضلا عن كوننا لا نقول ذلك. "اى للمنبثق من الآب والابن" نحكم بان الذين تجاسروا من الاصل أن يعلموا هذا التعليم فهم مخالفون للوصايا الآلهية ومغيرون للاقوال اللاهوتية، اقوال السيد المسيح والرسل وسائر الآباء الذين التأموا مجمعا وسلموا الدستور المقدس ونحسبهم مع يهوذا لانهم ارتكبوا ما ارتكبه لا لانهم دفعوا جسد الرب للموت بل لانهم شقوا وفصلوا المؤمنين اعضاء جسده بعضهم عن بعض ودفعوهم بذلك للموت الابدى

او بالحرى خنقوا انفسهم كما فعل التلميذ الملتوى الذكر".

هذا وقد فاتنا ان نذكر فيما سبق ان الذين يعتقدون بانبثاق الروح القدس من (الابن) يؤيدون زعمهم الفاسد بقولهم: ان الروح القدس دعى روح المسيح (١ بط ١:١١) ودعى روح ابنه (غل ٤:٦) كما دعى روح الآب وذلك دليل على انبثاقه من كليهما. فردا على ذلك نقول: ان وصف الكتاب للروح القدس بانه روح المسيح لا يدل على انه منبثق منه ولكن ليدل فقط على أنه متحد به كما انه متحد بالآب وانه ليس غريبا عن جوهرهما ولا سيما أن مواهب الروح القدس لم تظهر فى العالم ظهورا جليا وتفاض على الناس بغزارة فائقة الا بعد تجسد الابن جل شانه وظهوره فى العالم.

نعم أن الله هو فى ثلاثة اقانيم منذ الازل غير أن معرفة ذلك اعلنت للبشر بالتدريج وبلغت نهايتها فى عهد النعمة الذى هو عهد التجسد المجيد. قال القديس كيرلس الكبير: "ان بولس المطوب سمى الروح القدس روح المسيح ليبين انه ليس غريبا عن طبيعة اقنوم الكلمة بل هو متحد به وانه قائم باقنوم خاص" وقال القديس غريغوريوس الثاولوغس: "ان الروح القدس يسمى روح الله وروح المسيح وروح الحق واصبع الله لبيان المساواة فى الجوهر"

وفضلا عما تقدم فان اقطع برهان يقام دليلا على صحة هذه العقيدة بعد شهادة الانجيل هو اقرار آباء المجمع المسكونى الثانى الذى ذيل به الدستور النيقاوى وهو: "نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب الذى هو مع الآب والابن مسجود له"

وفى ذلك من الاقناع مايكفى لقوم يرغبون عن المماحكة ويتوخون الحق والصواب. (راجع المجلد الاول باب التثليث والتوحيد)

الفصل السابع

فى

اعتقاد الكنائس المسيحية عامة فى الروح القدس

(اولا) من جهة الوهيته - (ثانيا) من جهة انبثاقه .

(١) (الوهيته)

اما من جهة الوهيته فقد اجمع عليها كل الكنائس المسيحية فى سائر بقاع الارض. فما من كنيسة الا وتقر وتعترف بأن الروح القدس هو الاقنوم الثالث من اللاهوت الأقدس المساوى للآب و الابن فى الازلية والابدية والقداسة والحكمة والقدرة وجميع الصفات الآلهية .

(٢) (انبثاقه)

اما من جهة انبثاقه فقد اختلفوا فيه .

فالكنيسة القبطية المصرية الارثوذكسية ، والكنيسة الحبشية المتفرعة منها ، والكنيسة السريانية الانطاكية الاملية ، والكنيسة الارمنية الاملية ، والكنيسة اليونانية ، كل هذه الكنائس تقر وتعترف بأن الروح القدس منبثق من الآب وحده .

اما الكنائس الآتية وهى: الكنيسة الرومانية (الكاثوليكية)

والكنائس البروتستانتية عامة كاللوثرية (١) والمصلحية (٢)، فتعتقد بان الروح القدس منبثق من الآب والابن.

غير ان الكنائس البروتستانتية وان كانت تعتقد بانبثاق الروح القدس من الآب والابن كالكنيسة الرومانية الا ان علماءها لم تسترح ضمائرهم على هذه الزيادة ومازالوا يعتقدون حتى الآن انها فى غير محلها كما يظهر مما جاء فى كتاب علم اللاهوت للقس جمس ص ١١٣ حيث قال "اننا نتفق على أن ادراج لفظة "والابن" فى القانون النيقاوى كان على اسلوب غير قانونى ويليق لاجل السلام والوحدة في المستقبل ان الكنيسة تنظر فى هذه المسألة قصد الحكم فى امكان ارجاع القانون النيقاوى الى صورته الاصلية "اى يترك لفظة والابن".

---

(١) الكنائس اللوثرية هي التى اتبعت تعاليم لوثر وملانكتون وتوجد فى جرمانيا وهنكاريا (المجر) وولايات روسيا الواقعة على بحر البلطيك والدنيمارك واسوج ونروج وامريكا.

(٢) الكنائس المصلحية هى التى اتبعت تعاليم كلفينوس ورفقائه. وتوجد فى امريكا وانكلترا وايرلندا وسويسرا وفرنسا وهولاندا.

الفصل الثامن

فى

صورتى قانون الايمان المعمول بهما فى الكنائس الشرقية والغربية

(١) صورة قانون الايمان المعمول به فى الكنيسة القبطية وسائر الكنائس الشرقية .

(نؤمن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب المسجود له مع الآب والابن الناطق فى الانبياء وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية ونعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا ونترجى قيامة الاموات وحياة الدهر الآتى آمين) .

(٢) صورة قانون الايمان المعمول بها فى الكنيسة الغربية والكنائس البروتستانتية .

(وأومن بالروح القدس الرب المحيى المنبثق من الآب والابن المسجود له والممجد مع الآب والابن معا الناطق بالانبياء . وأومن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية وأعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وانتظر قيامة الاموات وحياة الدهر الآتى آمين) .

(صلاة ختامية)

ايها الروح الكلى قدسه يامن تعلم الناس وترشدهم وتكشف لهم غوامض الحكمة الآلهية واسرارها السامية، تفضل على انا عبدك وابن أمتك وانر عيني قلبي حتى ادخل خزانة كتابك الالهى واستخرج منه تلك الادلة الصحيحة والحجج الصادقة التى تقنع الناس فيؤمنون إنك انت هو الاله الحق.

ايها المرشد الحقيقي الذى ينبه الضمائر الغافلة ويوقظ العقول الضالة انى اتضرع الى ملاحك الا تحرم عبيدك بني الانسان من تلك النعمة الجزيل سموها بل اسكب عليهم بغزارة من فيض مراحمك العظيمة وطهرهم من ادران الاثم والمعصية واقبل بهم الى الندامة والتوبة والايمان والرجاء. كما إني اتوسل اليك انا عبدك الخاطى أن تغسلنى من خطيئتى وتطهرنى من اثمى وتشد ازرى وتقوى ضعفى وتحكم جهلى وتهبنى قوة من لدنك حتى أقوى على انجاز هذا العمل الجليل الذى ارجو أن يكون احدى الوسائط العاملة على تمجيد اسمك فى العالم آمين.

الكلام

على

الملائكة الأخيار والأشرار

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

الباب الثانى

في

الملائكة

وفيه مبحثان احدهما في الملائكة الاخيار

والآخر في الملائكة الاشرار

تمهيد: الملائكة هم خلائق روحية عاقلة متوسطة بين الانسان والله . اى اعلا من الانسان وادنى من الله، مخلوقون منه تعالى منذ ابتداء العالم متحفون بالنعمة والفضل والارادة والعواطف وسائر المواهب اللازمة لهم ليثبتوا في محبة خالقهم ويصلوا الى السعادة المؤبدة القائمة بالنظر الى وجهه تعالى.

وهم نوعان ملائكة مختارون او مقدسون وهم الذين ثبتوا في النعمة . وملائكة أشرار أو ساقطون وهم الذين لم يثبتوا على امانتهم لله والحق فسقطوا من رتبتهم وهلكوا هلاكا ابديا (راجع ١ تى ٥:٢١ ومت ٢٥:٢٢ ويه ١:٢٦ ومز ٧٨:٤٩).

المبحث الاول

في

الملائكة المختارين او المقدسين

(١) معنى كلمة ملاك (٢) زمن خلقة الملائكة (٣) طبيعتهم وخلودهم وعدم تناسلهم (٤) طغماتهم او مراتبهم (٥) وظائفهم

(٦) عددهم (٧) قوتهم وعلمهم وقداستهم وعدم حزنهم (٨) تفضيلهم على البشر من وجه وتفضيل البشر عليهم من وجه آخر (٩) واجبات المؤمنين من نحوهم.

(١) كلمة ملاك معناها رسول أى المرسل للتبليغ. ومن ثم دعى ملاكا كل من يستخدمه الله لاتمام ارادته الآلهية. نبيا كان ذلك المرسل او كاهنا.

فقد دعى يوحنا المعمدان ملاكا بقوله: ها أنا أرسل امام وجهك ملاكى الذي يهيئ طريقك قدامك (مل ٣:١) ودعى كل من اساقفة الكنائس السبع ملاكا بقوله: اكتب الى ملاك كنيسة افسس (رؤ ٢:١) كما دعى راعى كل كنيسة ملاكها أيضا كقول بولس الرسول: لهذا ينبغى للمراة أن يكون لها سلطان على راسها من أجل الملائكة - اى الرعاة - (١ كو ١١:١٠).

غير أن لفظة ملاك قد اشتهر استعمالها بنوع أخص للارواح السمائيين الذين يستخدمهم الله لاجراء ارادته الصالحة، ومن ثم امتازوا باسم ملائكة الله (مت ٢٥:٣١) اما البشر الذين دعوا بهذا الاسم فهم يشابهون الملائكة فى الخدمة والوظيفة ويختلفون عنهم فى الطبيعة.

(٢) زمن خلقة الملائكة

لقد اتفق كل علماء الكتاب المقدس على أن الملائكة خلقوا فى اليوم الذى خلقت فيه السموات. اى فى اليوم الأول ولا مانع من ان يكونوا قد خلقوا قبل تكوين العالم إما بوقت او بعيد كما يؤخذ من محادثة الخالق جل شانه مع عبده ايوب عن تاسيس الأرض حيث قال: فانى اسالك فتعلمنى اين كنت حين اسست الارض اخبر ان

كان عندك فهم من وضع قياسها لانك تعلم او من مد عليها مطمارا على اى شئ قرت قواعدها او من وضع حجر زاويتها عندما ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بنى الله (أى ٣٨:٣-٧).

وحيث ان المراد ببني الله هم الملائكة كما يستدل على ذلك من مواضع شتى فى الكتاب المقدس فلا يبعد أن يكون الملائكة موجودين قبل أن توضع أسس الارض.

وهذا الراى يطابق ما ارتاه صاحب كتاب الخلاصة اللاهوتية ص ١١٢ حيث قال (ان للائمة القديسين فى هذه المسالة "اى خلقة الملائكة" قولين اصحهما فى ما يظهر أن الملائكة خلقوا مع الخليقة الجسمانية لانهم جزء من العالم وليسوا بانفسهم عالما على حياله. بل هم والخليقة الجسمانية مقومون بالاشتراك لعالم واحد كما يظهر من نسبة الخلائق بعضها الى بعض. وليس جزء كامل منفكا عن كله. فاذن ليس يحتمل أن يكون الله الكامل الصنيع قد خلق الخليقة الملكية على حيالها قبل جميع المخلوقات الاخر. وليس ينبغي مع ذلك أن يعتبر القول المضاد بدعة. ولاسيما لكونه مذهب غريغوريوس الترينزى).

اما علة عدم تعيين الكتاب المقدس يوم خلقة الملائكة أسوة بغيرهم من سائر الكائنات فلئلا يفضى ذلك ببنى اسرائيل الى العبادة الوثنية التى كانوا منصبين عليها والتى كان قصد موسى ابعادهم عنها. لانه لو ذكر الكتاب خلقة الملائكة فى اليوم الاول لظن بنو اسرائيل أن الضمير فى قوله تعالى (هوذا الانسان قد صار كواحد منا) لا يعود على الاقانيم الالهية لعدم معرفتهم تلك العقيدة وقتئذ بل يعود على الملائكة فيعبدونهم.

غير ان الكتاب وان كان لم يذكر خلقة الملائكة بنص صريح فانه ذكرها بطريقة التضمن فى قوله : فى البدء خلق الله السموات (تك ١:٢) وهى عبارة تشمل خلقة الملائكة وما فى السموات من الكائنات.

(٣) طبيعة الملائكة وعدم تناسلهم وخلودهم

طبيعة الملائكة

ان الملائكة هم أرواح، اى جواهر روحية غير هيولية كما يصفهم الوحي الالهى بقوله : الصانع ملائكته ارواحا وخدامه لهيب نار (عب ١:٧ ومز ١٠٤:٤).

اما قوله (ارواحا) فيراد به بيان طبيعتهم انها روح غير هيولية . اى مجردة من الاجسام الكثيفة . وقوله (لهيب نار) عبارة عن استنارة عقولهم واضطرام محبتهم وشدة نشاطهم وهمتهم فى الخدمة .

غير ان كلمة روح التى يصف بها الوحى الملائكة تتضمن معنى غير المعنى الذى يصف به الخالق جل شانه فى قوله : الله روح (يو ٤:٢٤) فمعنى كون الملائكة أرواحا اى انهم مجردون من الاجسام الكثيفة مثل اجسادنا فقط. ولكن متى استعملت هذه الكلمة لوصف الله تعالى اريد بها الدلالة على جوهره البسيط المنزه كل التنزيه عن المادة . وفرق كلى بين المعنيين، لان الملائكة وان كانوا أرواحا الا انهم ليسوا مجردين من سائر الاجسام ولا من اخلاط المادة الكثيفة بل هم ذوو اجسام حقيقية غير أن اجسادهم هوائية لطيفة جدا لا نقدر ان نراها كالهواء الذى نستنشقه فانه جسم ولكنه غير منظور باعيننا . ولا نحسب

ذلك امرا غير ممكن. لانه كما يوجد جسم حيوانى هكذا يوجد جسم روحانى ايضا (١ كو ١٥:٤٤).

ويؤيد هذه الحقيقة قول ربنا يسوع المسيح فى ابناء القيامة انهم يصيرون مثل الملائكة (لو ٢٠:٣٦) وبما اننا نعلم أن ابناء القيامة يكون لهم اجسام روحية فنستنتج أن الملائكة هم ايضا كذلك.

اما الاجساد التى كانوا يظهرون بها للناس فهى ليست حقيقية ولكنها اجسام مستعارة الى حين ليتمكن المرسلون اليهم من رؤيتهم ومحادثتهم. وليستانسوا بهم ولا يخافوا منهم لان الملائكة ارواح لا تدركهم الابصار الا بلبسهم صورا مرئية مماثلة لصور البشر (انظر مت ٢٨:١٢ ولو ١:٢٦ و٢:٩).

<u>عدم تناسل الملائكة وخلودهم</u>

ان الملائكة ليسوا معرضين للزيادة والنقصان كالبشر لانهم لا ينسلون ولا يموتون كما يستنتج من قول ربنا عن الصالحين فى الحياة العتيدة: انهم لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء (مت ٢٢:٣) ومن ثم ذكروا فى الكتاب المقدس بلفظ المذكر فقط ولم يرد ذكرهم مؤنثا مطلقا. كما انهم لا يشيخون البتة ولا يصيبهم فناء بل هم خالدون. غير أن خلودهم ليس ذاتيا بل هو ناتج عن مجرد ارادة الله فقط. لان الخلود الذاتى تفرد به الخالق وحده دون غيره.

(٤) طغمات الملائكة ورئيسهم

<u>طغمات الملائكة</u>: تنقسم الملائكة لا من حيث الطبيعة لانهم فيها متساوون. بل من حيث المقام والعمل الى ثلاث طغمات او رتب:

عليا - ووسطي - وسفلى - أو اولى - وثانية - وثالثة.

ففى الطغمة الأولى - السرافيم والكروبيم والكراسى.

وفى الطغمة الثانية - الأرباب والاجناد والسلاطين والقوات.

وفى الطغمة الثالثة - رؤساء الملائكة والملائكة.

(تك ٣: ٢٤ واش ٦: ٢ وكو ١: ١٦ و١ بط ٣: ٢٢).

أما اختلاف هذه الرتب فصادر عن جلال خلق البعض منهم وارتفاعهم على غيرهم. اى من حيث جلال انوارهم وقوتهم التى يتسامون بها فضلا عن الآخرين. ومن ثم عندما تشاهد الملائكة الذين هم أدنى رتبة سمو انوار الملائكة الذين هم أعلا رتبة منهم وجلال قوتهم فيخضعون لهم اختيارا وطوعا ويقدمون لهم الطاعة والاحترام الواجب.

(ملاحظة) كما ان رتب خدام الله فى السماء ثلاث هكذا رتب خدامه الدينيين فى الأرض ثلاث ايضا - أساقفة وقسوس وشمامسة.

(السرافيم)

سرافيم لفظ عبرى. معناه المتوهج الذى منظره كلهيب نار متقدة - وهو جمع مفرده سروف. والرافيم خلائق عاقلة فى أعلى رتب خدام الله وهم من جنس الكروبيم وقد ورد اسمهم فى الكتاب المقدس مرتين (اش ٦: ٢-٦).

(الكروبيم او الشاروبيم)

كروبيم لفظ عبرى. معناه ذو الحكمة والمعرفة وهو جمع مفرده كروب او شاروب.

والكروبيم ملائكة معينون فليس كل ملاك كروبا. بل هم قسم مختار من الملائكة يقتربون من الله اكثر من سواهم من الجنود

العلوية. ويعرفون بملائكة الحضرة والملائكة المقربين.

وقد رجح اكثر اللاهوتيين ان الملائكة يرسلون لخدمة ورثة الخلاص. أما الكروبيم والسرافيم فيخدمون يهوه العظيم. ومن ثم يلبثون في مجد حضرته وحول عرشه كما يستدل من قول الملاك لزكريا: انا جبرائيل الواقف أمام الله (لو ١:١٩) كما انهم يفوقون سائر الملائكة قوة واقتدارا فكانوا اهلا للمحافظة والحراسة. فهم الذين عينوا لحراسة الفردوس يوم أخرج منه آدم وحواء لئلا يرجعا اليه (تك ٣:٢٤) ولعل هذا علة اختيار وضع تماثيلهم على غطاء التابوت اشارة الى حراسة مافيه بدليل ان وجهيهما كانا نحو الغطاء اى منحرفين الى الغطاء ناظرين اليه. كما وصف الله وضعهما على التابوت لموسى بقوله: ويكون الكروبان باسطين اجنحتهما الى فوق مظللين باجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد الى الآخر نحو الغطاء يكون وجها الكروبين (خر ٢٥:٢٠).

(الكراسى أو العروش)

هؤلاء هم النوع الثالث من الطغمة الاولى ومنهم الأربعة الحيوانات الذين قال عنهم صاحب الرؤيا: وفى وسط العرش وحول العرش اربعة حيوانات مملوءة عيونا من قدام ومن وراء والحيوان الاول شبه اسد. والحيوان الثانى شبه عجل. والحيوان الثالث له وجه مثل وجه انسان والحيوان الرابع شبه نسر طائر (رؤ ٤:٦).

أما كون هؤلاء الملائكة يشبه أحدهم الاسد فدليل القوة المنفذة. والثاني يشبه العجل فدليل البر على مشاق الأعمال.

والثالث يشبه الانسان فدليل الادراك والتمييز والرابع يشبه النسر الطائر فدليل السرعة فى العمل وبعد النظر.

وهذا الرأى يطابق ماارتآه صاحب كتاب علم اللاهوت البروتستانتى حيث قال (ان لتلك الهيئات معانى رمزيه تشير الى ان الخليقة اجمع موضوعة لخدمة الله. وان للعلى السلطان الفائق على كل الخلائق الحية. وان كل تلك الخلائق مستعدة على الدوام لاتمام ارادته بصبر الثور وشجاعة الأسد وسرعة النسر وتعقل الانسان).

وقال غيره من علماء اللاهوت (أما الأربعة الملائكة هؤلاء فمن عظماء الملائكة المندوبين من الله الى تدبير الكنيسة والى الاعتناء بكل البشر فى شان خلاصهم. وشبهوا بهذه الحيوانات الأربعة من باب الكتابة ليرونا صفات الله القاهرة لدينا أكثر، لان الأسد يدلنا على قدرة الله وقوته. والعجل يدلنا على صبره وعدله. والانسان يدلنا على جوده وعلمه. أما النسر فيدلنا على جلاله وحكمته.

وقال آخر (لما كان كل جنس من المخلوقات يميل طبيعيا الى جنسه ويسر لان يراه فى ارقى حالة من المجد والسعادة. لهذا منح الله كل واحد من هؤلاء الملائكة شكلا من أشكال مخلوقاته التى تكاد تنحصر فى هذه الانواع الأربعة ليكون ذلك باعثا ومحركا لها فى الطلب المتواتر الى الله عمن يحاكيه شكلا وإن اختلف عنه طبعا ومقاما. فذو الشكل الانسانى يطلب عن بنى الانسان وذو الشكل العجلى يطلب عن الداجن من الحيوانات. وذو الشكل الأسدى يطلب عن الوحش المفترس. اما ذو الشكل النسرى

فيطلب عن الطائر بانواعه .

(رئيس الملائكة)

يعتقد معظم اللاهوتيين ان للملائكة رئيسا واحد وهو(ميخائيل) استنادا على ماجاء عن ذلك فى النصوص الآلهية حيث قيل فى رسالة يهوذا: واما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم ابليس محاجا عن جسد موسى لم يجسر ان يورد حكم افتراء (يه ١:٩) وقيل فى نبوة دانيال: ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبنى شعبك (دا ١٢:١) وقيل فى سفر الرؤيا: وحدثت حرب فى السماء ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وملائكته (رؤ ١٢:٧).

ويعتقد بعضهم أن ميخائيل ليس هو الرئيس الوحيد بل هناك رؤساء غيره اعتمادا على ماجاء فى سفر دانيال عن ميخائيل بانه احد الرؤساء الاولين (دا ١٠:١٣) غير ان الرأى الأول اسد واقرب للصواب لان رآسه ميخائيل عامة واما رآسة غيره فخاصة .

(ملاحظة) يزعم بعض علماء الكتاب أن ميخائيل[١] رئيس الملائكة هو نفسه ابن الله ولكن هذا الزعم مردود بقول دانيال النبى: هو ذا ميخائيل واحد من الرؤساء الاولين (دا ١٠:١٣) وواضح ان الله لا مثيل له ولا نظير فيستحيل أن يكون واحدا من الرؤساء الاولين.

(٥) وظائف الملائكة

ان للملائكة وظائف شتى وخدما متنوعة عينها لهم الخالق جل

---

(١) لم يرد فى الكتاب المقدس من أسماء الملائكة سوى ثلاثة وهم: ميخائيل . وجبرائيل . وروفائيل.

شانه ليقوموا بها منذ خلقتهم كالسجود والعبادة لجلاله الأقدس. ثم حراسة المؤمنين. وخدمة القديسين. والصلاة عن المتضايقين. وحمل ارواح الموتى ومحاربة الشياطين وغلبتهم. وما إلى غير ذلك من الخدم الكثيرة والاحسانات الجليلة.

السجود والعبادة للجلال الالهى :-

ان الملائكة لا يفترون من السجود لله وعبادته واجراء ارادته المقدسة بلا انقطاع. ومن ثم قال عنهم صاحب الرؤيا: ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات والوف الوف قائلين بصوت عظيم مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة (رؤ ٥:١١) وقال اشعياء النبى: رايت السيد جالسا على كرسى عال ومرتفع واذياله تملأ الهيكل السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة اجنحة باثنين يغطى وجهه وباثنين يغطى رجليه وباثنين يطير وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الارض (اش ٦:٢).

حراسة الملائكة للمؤمنين :-

(أولا) يحرسون الافراد لان لكل واحد من المسيحيين ملاكا خاصا متوكلا على حراسته وتدبيره منذ ولادته وذلك يتضح (١) من قول ربنا يسوع المسيح عن المؤمنين: انظروا لا تحتقروا احد هؤلاء الصغار لانى اقول لكم ان ملائكتهم كل حين ينظرون وجه ابى الذى فى السموات (مت ١٨:١٠ ومز ٣٤:٧) (٢) من قول يعقوب اسرائيل اثناء مباركته ولدى يوسف: الملاك الذى خلصنى من كل شر يبارك الغلامين (تك ٤٨:١٦) وبذلك أوضح انه كان له ملاك خصوصى

لحراسته كل أيام حياته (٣) من قول صاحب الجامعة: لا تدع فمك يجعل جسدك يخطئ ولا تقل امام الملاك انه سهو (جا ٥:٦) (٤) من الرأى السائد بين اليهود قبل مجئ السيد المسيح حيث قيل عن القديس بطرس إذ اطلقه الملاك من السجن واتى ليلا وقرع باب المنزل الذى كان التلاميذ مجتمعين فيه: ان القارع ليس هو بطرس بل هو ملاكه (اع ١٢:١٥).

قال القديس ايرونيموس (ان النفوس البشرية لهى ذات شرف عظيم بحيث ان لكل منها ملاكا موكلا بحراستها منذ ولادتها).

وقد اتفق اشهر اللاهوتيين على انه ليس لكل واحد من المسيحين فقط ملاك خصوصى لحراسته بل جميع الناس مختارين ومرذولين لكل منهم ملاكا معين لحراسته منذ مولده. وقالوا أيضا أن لكل شخص من البشر ملاكا صالحا حارسا وملاكا شريرا مجربا. واثبتوا ذلك بطريق القياس التمثيلى انه مصدق عند العقل أن ابليس رئيس هذا العالم يماثل الله بتدبير ملكه. فاذا كما انه تعالى وكل بكل واحد من البشر ملاكا من ملائكة النور لحراسته هكذا ابليس وكل بكل واحد من البشر ملاكا من ملائكة الظلمة لاغوائه وتجربته. ومن ثم عندما ابتعد الملاك الصالح عن يهوذا الاسخريوطي دخل فيه الشيطان وتسلط عليه (يو ١٣:٢٧).

(ملاحظة) زعم بعض اللاهوتيين أن الملاك يتولى حراسة الانسان وهو جنين فى بطن أمه. والصواب انه يتولى حراسته بعد ولادته. اما وهو جنين فيتولى حراسته الملاك المعين لحراسة والدته لان الجنين ووالدته يكونان حينئذ متصلين ببعضهما اتصالا تاما.

(ثانيا) يحرس الملائكة الممالك والولايات. حيث أقام الله لكل مملكة وولاية ملاكا حارسا كما هو واضح من سفر دانيال النبي حيث قيل: لانه من اليوم الأول الذى فيه جعلت قلبك للفهم ولاذلال نفسك قدام إلهك سمع كلامك وانا اتيت لأجل كلامك. ورئيس مملكة فارس وقف مقابلي واحدا وعشرين يوما وهو ذا ميخائيل واحد من الرؤساء الاولين جاء لاعانتى وانا ابقيت هناك عند ملوك فارس (دا ١٠:١٢).

اما رئيس مملكة فارس فهو الملاك الموكل بحراسة هذه المملكة التى كان بنو اسرائيل خاضعين لها وقتئذ وقد اثبت القديسون باسليوس واغريغوريوس واكلميندس ان هذا الملاك هو ملاك صالح موكل من قبل الله على هذه المملكة.

واذا قال قائل (اذا كان رئيس مملكة فارس ملاكا صالحا فكيف قاومه جبرائيل الملاك. قلنا لان اثنينهما لم تتبين لهما الارادة الآلهية المطلقة. وكلا منهما كانت له دلائل بليغة مختلفة كافية لان تصيره مخالفا فى رأيه لرفيقه. فالملاك جبرائيل كان يرغب ويسأل ان يطلق الباقين من اليهود من سبيهم سريعا حسب طلبة دانيال النبي ويرجعوا مع أخوتهم الى بلادهم وان يبنى هيكل أورشليم عاجلا متجددا حسب امر كورش ملك فارس ويعود جميع اليهود الى بلادهم لئلا يفسدوا بمعاشرة الوثنيين.

واما ملاك مملكة فارس فكان يرى ان الانفع والأصلح أن يمكث اليهود بين الوثنيين لفائدة الوثنيين وخلاصهم. لان كثيرين منهم كانوا يتعلمون من اليهود الديانة الحقيقية وينتقلون من خدمة الاوثان الى خدمة الله. وعلى هذا كان الملاك جبرائيل

ورئيس مملكة فارس يتجادلان ويقاوم أحدهما الآخر. على أن ذلك لا يؤخذ دليلا على مضادة الملائكة ومقاومتهم لبعضهم. كلا. فهم متفقون على وجوب تنفيذ الاحكام الالهية غير انهم مفتقرون الى وحى الهى لاستطلاع الارادة الربانية فى شان مايؤمرون به.

نعم لقد قال بعض علماء الكتاب ان رئيس مملكة فارس هو ملاك القلمة الذى كان موكلا على هذه المملكة ولم يكن يرغب فى انطلاق اسرائيل ورجوعه الى بلاده ومن ثم وقف مقابله جبرائيل الملاك يقاومه وينازعه مدة ٢١ يوما اى المدة التى كان فيها دانيال صائما حتى اتى ميخائيل رئيس الملائكة وساعده ضد ملاك فارس واثر على ملوك فارس حتى ارتضوا برجوع اسرائيل. غير ان الراى الاول أسد وأرجح.

(ثالثا) يحرسون الكنائس ويدبرونها. حيث اقام الله لكل كنيسة من الكنائس ملاكا خصيصا ليديرها ويسوسها كما كان ميخائيل يسوس كنيسة اليهود معتنيا بها وناصرا لها ومدافعا عنها (انظر يش ٥:١٤) مع مقابلة (دا ١٠:١٣).

محل إقامة الملائكة الحراس :-

أما إقامة الملائكة الحراس ففى السماء. غير انهم وان كانوا يمكثون فى السماء إلا انهم لا يتركون النفس التى توكلوا بحراستها مطلقا لانهم من السماء يشعرون بكل ما يصيبها. ولا يفتقرون بحركتهم المكانية إلى طول زمن بل بلحظة واحدة يستطيعون أن ينحدروا كلمحة برق لاغاثتها وعونها.

خدمة القديسين :-

أن الملائكة يرسلون لخدمة القديسين العتيدين أن يرثوا

الحياة الابدية (عب ١:١٤) وأن اول من علم أن الملائكة هم ارواح وخدام لله تعالى وللعتيدين ان يرثوا الحياة الابدية هو داود النبى بقوله: الصانع ملائكته أرواحا وخدامه لهيب نار (مز ١٠٣:٤).

ومن هذا القول اتخذ بولس الرسول برهانا على أن الملائكة هم ارواح اى جواهر غير جسمانية وغير هيولية وانهم خدام الله يرسلون لخدمة مشيئته الآلهية لكى ينيروا ويساعدوا الناس الذين لاجل ايمانهم وفضيلتهم يرثون الخلاص ويتمتعون بالحياة الابدية . وذلك بتحريك عقولهم لعمل الخير باستعمال الوسائط المناسبة .

وانك لو طالعت الكتاب المقدس لرايت فى كلا العهدين العتيق والحديث امثلة عديدة لارسال الملائكة فى خدمات متنوعة .

ففى العهد القديم نرى ملاكا امر هاجر ان ترجع الى مولاتها (تك ١٦:٩) وملائكة أعلموا لوطا بقضاء الله على اهل سدوم وحفظوه مع امراته وبنتيه من الحريق (تك ١٩:١٦) وملاكا انقذ يعقوب من جميع الشدائد التى أصابته (تك ٤٨:١٦) وملاكا كان يسير أمام محلة اسرائيل (خر ١٤:١٩) وملاكا بسط يده على اورشليم ليهلكها (٢ صم ٢٤:١٦) كما أن ميخائيل رئيس الملائكة ارسل الى دانيال (دا١٠:١٣) ورفائيل أرسل الى طوبيا(طو ١٤).

اما فى العهد الجديد فارسل الملاك جبرائيل لبشارة زكريا والقديسة مريم (لو ١:١١و٢٦) وملائكة أرشدوا يوسف وبشروا الرعاة بميلاد الفادي . ورتلوا قائلين: المجد لله فى الأعالى وعلى الارض السلام وفى الناس المسرة (لو ٢:١٤) وملائكة اخبروا

النساء حاملات الطيب بقيامة السيد (مت ٢٨:٥) وكرزوا وقت مجيئه بمجيئه الثاني (اع ١٠:١) واخرجوا الرسل من السجن (اع ١٩:٥) وحلوا القيود من ايدى بطرس (اع ١٢:٧) وخطفوا فيلبس (اع ٢٦:٨) وعلموا كرنيليوس (اع ١٠:٣) والى غير ذلك من الخدم الكثيرة والاحسانات الملائكية الجليلة التي قاموا ويقومون بها من حين لآخر ولاسيما ما يتعلق بعمل الفداء منذ بداءته على الأرض الى نهايته في الدينونة الاخيرة .

الصلاة عن المتضايقين :-

ان الملائكة يصلون ويشفعون في البشر امام عرش الله حيث شوهد أحد الملائكة مصليا عن شعب ومدينة أورشليم قائلا : يارب الجنود الى متى انت لا ترحم اورشليم ومدن يهوذا التي غضبت عليها هذه السبعين سنة (زك ١٢:١) وقد قبل الله شفاعته واستجاب صلاته بقوله : قد رجعت الى أورشليم بالمراحم فبيتي يبنى فيها يقول رب الجنود ويمد المطمار على اورشليم ، ناد ايضا وقل هكذا قال رب الجنود ان مدني تفيض بعد خيرا والرب يعزى صهيون بعد ويختار بعد أورشليم (زك ١٦:١) ثم ورد في سفر الرؤيا ان الملائكة تقدم صلوات شعب الله الذين على الأرض امام الحضرة الآلهية حيث قيل : وجاء ملاك آخر ووقف عند المذبح ومعه مبخرة من ذهب وأعطى بخورا لكي يقدمه مع صلوات القديسين جميعهم (رؤ ٣:٨) .

حمل ارواح الموتى :-

من الخدم التي تؤديها الملائكة انهم يحملون أرواح الموتى الصالحين الى دار الخلود كما قيل في انجيل لوقا : فمات

المسكين وحملته الملائكة الى حضن ابراهيم (لو ١١:٢٢).

وقد قال بعض علماء الكتاب كما ان الملائكة تحمل الى الخلود انفس الابرار هكذا الشياطين تحمل الى محل العذاب انفس الاشرار. وقد خالفهم البعض الآخر بقوله: ان الملائكة الصالحين وحدهم يحملون انفس الابرار والاشرار تلك الى النعيم وهذه الى الجحيم.

محاربة الشياطين :-

لقد ثبت من اقوال الوحي الآلهى انه من واجبات الملائكة ان يحاربوا الشياطين ويطاردوهم ومن ثم قيل فى سفر الرؤيا: وحدثت حرب فى السماء ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك فى السماء (رؤ ١٢:٧).

(٦) عدد الملائكة

يستدل من النصوص الآلهية ان كمية الملائكة لا يحصيها العد ولا يحيط بها الحساب بل يزيدون عددا على كافة الخليقة الجسدية. فيؤلفون طغمات ومراتب متنوعة وكل طغمة ربوات ربوات والوف الوف لا يحصيها إلا بادئها الذى لا نهاية لقدرته وحكمته. وقد رتبهم جل شأنه صفوفا منتظمة وأقامهم فى وظائف معينة كما هو واضح من سائر اجزاء الكتاب المقدس.

قال دانيال النبى: كنت ارى انه وضعت عروش وجلس القديم الايام لباسه ابيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة نهر نار جرى وخرج من قدامه الوف الوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه (دا ٧:٢٩) وقال لوقا

الانجيلي: وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السموى (لو ١٢:٢) وقال بولس الرسول: وإلى ربوات هم محفل ملائكة (عب ٢٢:١٢) وقال صاحب الرؤيا: ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات والوف الوف (رؤ ١١:٥) وقال ربنا له المجد لبطرس عندما تهيأ للدفاع عنه: أتظن انى لا استطيع الآن أن اطلب إلى أبى فيقدم لى اكثر من اثنى عشر جيشا من الملائكة (مت ٥٣:٢٦) راجع أيضا (١ مل ١٩:٢٢ و٢ أى ١٨:١٨ ومز ٢١:١٠٣). ومن هذه النصوص الجلية الصريحة يتضح ان الملائكة يفوقون العد والحصر ولا يمكن أن يحصيهم إلا بارئهم الذى يفوقهم قدرة وحكمة.

غير أن عدد الملائكة الابرار كثير جدا بالنسبة لعدد الملائكة الاشرار كما هو واضح من اقوال الكتاب المقدس ولاسيما سفر الرؤيا الذى يقول: وظهرت آية أخرى فى السماء هوذا تنين عظيم احمر له سبعة رؤوس وعشرة قرون وعلى رؤوسه سبعة تيجان وذنبه جر ثلث نجوم السماء فطرحها على الارض (رؤ ٣:١٢).

وقد قال المفسرون فى شرح هذه الآية (ان التنين العظيم) هو ابليس المضل للعالم كله (وذنبه) رمز على رأيه واختياره، لأن الرأى لاحق بصاحبه لحوق الذنب لصاحبه (ونجوم السماء) رمز على الملائكة. اما ثلثهم فعبارة عن ثلث طغمة الملائكة الذين تبعوا رأيه فسقطوا بسقوطه.

(٧) قوة الملائكة. علمهم. قداستهم. عدم حزنهم

<u>قوة الملائكة</u> - لاشك أن قوة الملائكة عظيمة للغاية وفائقة بهذا المقدار بحيث ان ملاكا واحدا يقوم مقام جيش عظيم كامل

العدد والعدة. فقد قتل ملاك كل ابكار المصريين في ليلة واحدة (خر ١٢:٣) وقتل ملاك آخر من جيش أشور مائة الف وخمسة وثمانين الفا (٢ مل ١٩:٣٥) كما أن ملاكا ثالثا كان في استطاعته أن يهلك اورشليم كلها بمجرد رفع يده عليها لولا مراحم الله الغزيرة التي ادركتها فحالت دون ذلك (٢ صم ٢٤:١٥).

ولقد وصفهم صاحب المزمور بالقوة الممتازة بقوله: باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين امره عند سماع صوت كلمته (مز ١٠٣:٢٠) وهكذا ايضا وصفهم بهذه الصفة عينها صاحب الرؤيا بقوله: ورأيت ملاكا قويا ينادى بصوت عظيم (رؤ ٥:٢).

على أن قوة الملائكة وان كانت عظيمة وفائقة فهي مخلوقة ومحدودة ومستفادة من الله وخاضعة لأمره وليست مستقلة عنه كما أنها ليست على مستوى واحد في جميعهم بل يمتاز بعضهم عن بعض امتيازا بينا.

علم الملائكة - اما علم الملائكة فمحدود كقوتهم لانهم مخلوقون. والعلم الغير المحدود مختص بالخالق وحده. غير انهم يفوقون البشر في علمهم وان كانوا لا يعلمون كل شئ بدليل قوله تعالى: واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلم يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات (مت ٢٤:٣٦) وكما انهم يمتازون عن بعضهم في القوة هكذا يمتازون في العلم أيضا. الا أن جميعهم مفتقرون الى وحى من الله لنفاذ قضائه تعالى.

قداسة الملائكة - لا ريب أن الملائكة متصفون بالقداسة الكاملة غير ان قداستهم ليست طبيعية فيهم بل هى هبة ونعمة مكتسبة من قداسة الله كالبشر. وامتيازهم في ذلك انه لا يمكن

ان ينخدعوا ويميلوا للشر مطلقا وذلك لشدة ادراكهم القداسة والصلاح ادراكا تاما ولاختيارهم الكلى ماوصلت اليه من التعاسة حالة الملائكة الاخرين الذين لم يثبتوا فى الصلاح بل اخطأوا وتمردوا ولم يحفظوا رآستهم فسقطوا (يه ١:٦).

عدم حزن الملائكة - لقد يتبادر لذهن الكثيرين بالنسبة لزلل الناس المتواتر ان حزن الملائكة لا ينقطع لانهم توكلوا بحراستهم والحارس من شانه ان يحزن لعدم استقامة من توكلوا بحراسته. فاذن الملائكة لا ينقطع حزنهم أبدا. فنجيبهم ان الملائكة لا يحزنون لاجل خطايا الذين توكلوا بحراستهم ولا لاجل هلاكهم. وذلك (أولا) لانه لايوجد حزن حيث توجد سعادة كاملة والملائكة متصفون بالسعادة الكاملة فاذن لا يمكن أن يحزنوا (ثانيا) أن الحزن لا يصدر إلا مما يحدث بخلاف الارادة. وواضح انه لا يحدث شئ فى العالم بخلاف إرادة الملائكة. فاذن لا يلم بهم حزن أصلا. قلت: انه لا يحدث شئ فى العالم بخلاف إرادة الملائكة لانه لا يحدث شئ فى العالم إلا بمقتضى إرادة الله. إما بمقتضى عدله وإما بسماحه. وإرادة الملائكة طبعا مطابقة للارادة الآلهية بكمال المطابقة فاذن لا يصدر شئ فى العالم بخلاف إرادتهم ومن ثم لا يحزنون مطلقا.

(٨) تفضيل الملائكة على البشر من وجه وتفضيل البشر عليهم من وجه آخر

لقد ذكر العلامة صاحب كتاب أصول الدين رايين لعلماء الكتاب المقدس. احدهما يفضل الملائكة على البشر والآخر يفضل البشر على الملائكة. فآثرنا اثباتهما هنا بنصهما.

قال فى الرأى الاول: تفضيل الملائكة على البشر -

(١) عبادات الملائكة اقدم فوجب ان تكون افضل. (٢) افضل العبادات عبادة من طال عمره وحسن عمله. والملائكة أطول من بنى آدم عمرا واحسن عملا بالتسبيح والتقديس فتميزوا بذلك على البشر (٣) الملائكة رسل الله الى الانبياء. والرسل افضل من الأمة. لان الرسول البشرى افضل من أمته كما كان موسى النبى افضل من قومه الذين أرسله الله اليهم (٤) الملائكة ابقى واتقى وانقى من بنى آدم لانهم منزهون عن الادناس العالمية والخطايا البدنية. وليس عندهم ميل ولا حسد ولا بغض ولا شر ولا يلحق بهم لاحق ردىء من لواحق البشر الردية ولا يشوبهم عيب من العيوب الآدمية. فظهر بذلك وبامثاله فضيلة الملائكة وتفضيلهم على البشر (٥) الملاك أعلم بالأمور السمائية من البشر والمشاهد للمناظر الآلهية التى لا يطلع عليها الآدميون فتعين بذلك تفضيل الملائكة عليهم (٦) لاشك ان كمال حال الاحياء لا يحصل الا عند اتصال الارواح بها والملائكة ارواح محض. والجسد جسم كثيف استنار بنور الأرواح فهى افضل (٧) الملائكة مبرأون من الشهوة والغضب والخيال والوهم. وهذه الصفات هى الحجب القوية عن تجلى نور الله. ولا كمال الا لحصول هذا التجلى ورفع تلك الحجب. فلا نسبة لكمالهم الى كمال البشر (٨) الروحانيات لهم قدرة على تغيير الأجساد وتقليب الاجرام والقدرة التى لهم ليست من القوة المزاجية حتى يعرض لها كلال ولغوب كالبشر (٩) الملائكة اعمالهم أتم لانهم دائمون مواظبون على التسبيح والتقديس فى الليل والنهار بغير فتور ولا يلحقهم نوم العيون.

ولا سهو العقول ولا غفلة الأبدان غذاهم تمجيد الله وتعظيمه وتقديسه وتحميده. وانسهم يذكر الله وخدمته. متجردون عن العلائق البدنية مبرأون عن الحجب الشهوية والغضبية.

وبهذه المزايا وامثالها ومايضاهيها يفضلون على البشر.

الرأى الثانى - تفضيل البشر على الملائكة -

(١) ان الملائكة ليس فيهم قوات شهوية ولا غضبية كالبشر تجذبهم الى ارتكاب المعاصى والآثام لان الشهوة والغضب من اعظم الموانع عن الطاعات وهاتان موجودتان فى البشر ومفقودتان فى الملائكة. والفعل مع المانع افضل من غير المانع (٢) ان الملائكة لم يكلفوا عبادات جسدانية شاقة عليهم ولا توعدوا بالعقوبة على تركها ولا جعلت حياتهم مقرونة بالكد والتعب وعرق الجبين. والبشر كلفوا بهذا جميعه واكثر منه فطاعتهم اشق والأشق افضل (٣) ان البشر مبتلون بقتال الشياطين ومجاهدتهم وتحسين القبيح لهم. وتحيلاتهم على إفساد سيرتهم من غير شعورهم. وهذه البلوى العظمى قد سلم الله الملائكة منها. ولا مساواة فى تحصيل الفضيلة بين المبتلى والمستريح (٤) ان الملائكة لهم عقل بلا شهوة والبهائم لها شهوة بلا عقل. والبشر لهم عقل وشهوة تجاذبهم وتدعوهم إلى المعاصى حتى انها تستخدم العقل فى فعلها وامضائها. فالذى يرجح فيه عقله على شهوته الدنيئة وإطلاق أسبابها البدنية واستخدامها فى مراده فله المميزة على من لا شهوة له تدعوه إلى ذلك (٥) ان الله يستخدم الملائكة فى مصالح البشر ومنافعهم. ولم يستخدم البشر فى امر من امور الملائكة. وبين الخادم والمخدوم تفاوت كثير فى

البركة والرتبة (٦) ان الملائكة آمنون من الضربات المؤلمة المضروب بها البشر في كل زمان ومكان مثل الوباء والغلاء والجلاء والحرق والغرق والفقر وإلى غير ذلك من الآفات المكلمة. ومن كان مبتلى بهذه المصائب والمصاعب وهو طائع خاضع كانت طاعته افضل من طاعة من عافاه الله من هذه الحوادث المهلكة واعفاه (٧) ان محل الملائكة على مايفهمه اكثر الناس هي السموات حيث لا يشوبهم فيها هم ولا حزن ولا مرض ولا عرض يوجب ذلك جميعه عدم الاحتمال له فلا صعوبة عليهم في طاعتهم. اما البشر فمساكنهم الارض التي هي محل الحوادث والاعراض الصعبة. والفرق ظاهر بين من يطيع مع حلول الشدائد به ومن يطيع وهو سالم منها (٨) ان الملائكة لا يتعبون من التسبيح والتقديس والبشر يتعبون في الصوم والصلاة وجميع العبادات العملية على اختلاف طرقها. وطاعة التعبين افضل من طاعة المستريحين (٩) ان الملائكة لهم التمتع بالقرب من الاله والالتذاذ بالمناظر الالهية. والبشر راحتهم في حياتهم دفع الم الجوع بالشبع والعطش بشرب الماء والمرض بالانتقال منه الى الصحة وما اشبه ذلك. وبرق عظيم بين الوجهين المذكورين (١٠) ان الملائكة عالمون بخلود حياتهم. آمنون من الموت وماتقدمه من الامراض والاعلال وما يأتي بعده من المقاصصة والمجازاة. والبشر ممتحنون بهذا جميعه وبأكثر منه. وطاعة الخائف الوجل افضل من طاعة الآمن من كل من يخاف ذاك ويخشاه (١١) ان الله لم يتخذ من الملائكة نبيا ولا نال أحد منهم الشهادة واتخذ الانبياء والشهداء من بني آدم فلهم عليهم هذه الميزة (١٢) ان الباري

تعالى اتحد بطبيعة البشر ولم يتحد بطبيعة الملائكة مع قربهم منه سبحانه وتعالى. وهذا أعظم دليل على تفضيل بني ادم الابرار على سائر الملائكة الأخيار.

(٩) واجبات المؤمنين من نحو الملائكة

حيث ان الملائكة يعسكرون حول المؤمنين دائما ويحمونهم من الاعداء والأخطار المحدقة بهم. فهم ملتزمون باحترامهم واكرامهم واجلالهم لحضورهم عندهم ولفضلهم عليهم وان يثقوا كل الثقة في حراستهم لهم.

قال أحد القديسين (كن على حذر من الملائكة الذين كلفوا حراستك في جميع طرقك وفي كل مكان وكل ناحية. واحترم محضر ملاكك حتى لا تأتي في حضرته مالا تأتيه بمر آى بشر).

نعم لقد ورد عن يوحنا الرسول انه عندما اراد ان يقدم الاكرام للملاك الذي كان يريه تلك المناظر بسجوده أمامه منعه بقوله: انظر لا تفعل انا عبد معك ومع اخوتك الذين عندهم شهادة يسوع اسجد لله (رؤ ١٩:١٠).

غير ان ذلك لا يؤخذ دليلا على وجوب عدم اكرام الملائكة لان منع الملاك يوحنا عن اتيان ذلك كان لامرين: إما لمكانة يوحنا ومنزلته عند الله التي وان لم تزد عن منزلة الملاك الذي كان يريه تلك المناظر فهي مساوية لها ومن ثم منعه عن ذلك. وإما لان يوحنا ظن الملاك انه المسيح لما رآه عليه من الاجلال والشرف والبهاء فاراد ان يسجد له كانه اله معبود فاستشعر الملاك بظنه فمنعه عن ذلك. اما سجود الاكرام والاحترام للملائكة فليس هنالك ما يمنعه ويحرمه (عد ٢٢:٣١).

المبحث الثانى

في

الملائكة الأشرار (الشياطين)

(١) علة خطيئة الملائكة الأشرار أو الشياطين (٢) سقوطهم (٣) سبب عدم خلاصهم (٤) قوتهم وعملهم (٥) تفاوتهم فى الشر (٦) طريقة إضلالهم الناس (٧) علة سعيهم فى إضلال الناس (٨) معنى كون المؤمنين تحرروا من الشياطين وهم مازالوا يضلونهم (٩) مقرهم الآن وفى اليوم الآخر (١٠) أسماؤهم والقابهم.

---

(١) علة خطيئة الملائكة الأشرار

لقد يدهش الناس اذ يرون الشيطان وملائكته خلقوا بحالة فائقة من الطهر والقداسة ومع ذلك انغمسوا فى أسفل دركات الشر والنجاسة. وفاتهم أن الله جل شأنه لم يخلق الملائكة صالحين بالطبع بل جعل طبيعتهم قابلة للصلاح والشر ومنحهم الحرية الكاملة والإرادة الذاتية ومن ثم كان سقوطهم أمرا ممكنا.

قال العلامة صاحب منارة الأقداس (إن كل شئ إما أن يكون صالحا بكليته. أو طالحا بكليته. وإما ان يكون الصلاح فيه غالبا للشر. أو الشر غالبا للصلاح. أو أن يكون خيره وشره متساويين.

فالاول هو الله جل شأنه. والثانى غير موجود لان الله لم

يخلق شيئا هو شر محض. والثالث هم الملائكة. والرابع الشياطين. والخامس هو الانسان).

اما علة خطيئة الملائكة الاشرار فهى الكبرياء كما يستدل على ذلك من قول بولس الرسول فى الاسقف انه يجب ان لا يكون حديث الايمان لئلا يتصلف (اى يتكبر) فيسقط فى دينونة إبليس (١ تى ٦:٣) كما انه يرجح ان الكلام الموجه الى ملوك بابل فى سفر اشعياء والدال على تكبرهم يشير ايضا الى الشيطان حيث قيل: كيف سقطت من السماء يازهرة بنت الصبح كيف قطعت الى الارض ياقاهر الأمم وانت قلت فى قلبك اصعد الى السموات أرفع كرسى فوق كواكب الله واجلس على جبل الاجتماع فى أقاصى الشمال اصعد فوق مرتفعات السحاب اصير مثل العلى لكنك انحدرت الى الهاوية الى اسفل الجب (اش ١٤:١٢).

وبما انه لا يوجد نص صريح فى الكتاب المقدس عن كبرياء الشيطان فقد زعم بعض العلماء ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الانسان أعلن للملائكة ان ابنه سوف يتخذ طبيعة هذا الانسان ويظهر فى العالم فيسجد له البشر والملائكة معا. فعز على رئيس هذه الطغمة ان يسجد لانسان له طبيعة أدنى من طبيعته فتمرد على الله وجذب جمهورا معه من الملائكة.

وزعم البعض الآخر ان الشيطان حسد الطبيعة البشرية حين اطلع بالوحى على ان الكلمة الأزلى يتأنس منها. فاشتهى هذا لذاته واراد ان يكون الها لا بالذات لانه كان عالما ان ذلك محال. بل أراد ان يكون الها بالاتحاد. واذ لم يحصل على بغيته عصى وتمرد هو ومن يتبعه. ولما راى الله ذلك منه وانه لم يقتنع

بما كان متصفا به من جلال خلقته وامتيازه عن غيره من جهة الانوار والقوة بل طمع فى الوهية ايضا لهذا حكم عليه بتجرده من سلطته وتراسه على الملائكة الآخرين.

قال القديس غريغوريوس نازنيزو (ان رئيس الابالسة كان متصفا من حيث خلقته بانوار عجب وقوة افضل مما كانت متصفة به بقية الملائكة ومن ثم كان يتراس متسلطا على سائر السمائيين الا انه بمعصيته فقد هذا التفضيل الذى كان له من حيث الانوار والقوة وعدم تسلطه ورآسته على الملائكة الآخرين وهكذا اصحابه الاشرار فانهم فقدوا معه جميع تشرفهم وتعروا من كل تفضلهم الذى يدعوه يهوذا الرسول رآستهم بقوله: والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود ابدية تحت الظلام (يه ١:٦) ويقول بطرس الرسول: الله لم يشفق على ملائكة قد اخطأوا بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم وسلمهم محروسين للقضاء (٢ بط ٢:٤) أى انهم لما فقدوا رآستهم التى كانت قائمة بعظمة النور المنسوب لعقلهم وسمو القدرة المنسوبة لارادتهم استحالوا من خلائق روحية الى ملائكة جهنمية.

(٢) سقوط الملائكة الأشرار

يعتقد اكثر علماء الكتاب المقدس أن الملائكة الاشرار سقطوا دفعة واحدة. اما العلامة ابن كاتب قيصر فيعتقد انهم لم يسقطوا دفعة واحدة بل دفعات. وقد اثبت ذلك فى شرح الاصحاح الثاني عشر من سفر الرؤيا حيث قال:

(١) أن السقطة الاولى هى سقوطهم من الرتبة الملائكية ومن الاقامة فى السماء. والدليل على هذين المعنيين كليهما قول

يهوذا الرسول فى رسالته : ان الله القى الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مراتبهم فى الظلمة القصوى (يه ١ :٦) فالالقاء معناه السقوط. ولانهم فى الظلمة القصوى يدل على عدم الاقامة فى السماء. لكن الشيطان وجنوده لم يمنعوا من التردد إلى السماء ولا منع الشيطان من الوقوف امام العظمة بدليل ماتضمنه سفر أيوب الصديق ونبوة زكريا. حيث قال أحدهما : وكان ذات يوم انه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان ايضا فى وسطهم (اى ١ :٦) وقال الآخر : وارانى يهوشع الكاهن العظيم قائما قدام ملاك الرب والشيطان قائم عن يمينه ليقاومه (زك ٣ :١) وهذا تصريح بصعود الشيطان وبوقوفه أمام العظمة (بعد سقطته الاولى).

(٢) والسقطة الثانية. عندما أرسل ربنا يسوع المسيح له المجد تلاميذه السبعين واعطاهم سلطانا على الأرواح النجسة ثم عادوا واخبروه بطاعة تلك الأرواح وخضوعها قال لهم : رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء (لو ١٠ :١٧) وهذا هو السقوط الثانى من الوصول إلى ذلك الموقف المقدس.

(٣) اما السقطة الثالثة. فسوف تكون قبل الدولة الدجالية كما يخبرنا بذلك سفر الرؤيا بقوله : وحدثت حرب فى السماء ميخائيل وملائكته حاربوا التنين وحارب التنين وملائكته ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك فى السماء فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو ابليس والشيطان الذى يضل العالم كله طرح إلى الارض وطرحت معه ملائكته (رؤ ١٢ :٧).

فهذا الرأى وإن كان حسنا ومحتملا ايضا إلا انه لا يتفق ورأى

مشاهير علماء الكتاب كيوحنا فم الذهب الذى قال (ان المسيح بقوله لتلاميذه "رايت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء" يشير بهذا الكلام إلى سقوط الشيطان وملائكته الأملى حينما طردوا من السماء وطرحوا إلى الهاوية السفلى).

وقال غيره (ان سقوط الشيطان من السماء الذي ذكره ربنا لتلاميذه السبعين لم يشر إلى طرده من السماء بل هو كناية عن هدم كل مملكة الشر وهبوط الشيطان من مقام الكرامة والسلطان إلى هاوية الهلاك والهوان.

(٣) سبب عدم خلاص الملائكة الأشرار. يتساءل الكثيرون عن سبب منع مراحم الله عن الشيطان وانسكابها بغزارة على الانسان. فالاول عوقب بمنتهى العدل فأوصدت فى وجهه ابواب العطف والشفقة بينما الثانى عومل بأقصى حدود المراحم والاحسان فتوفرت لديه اسباب التوبة والغفران. وجوابا على ذلك نقول:-

ان الله سبحانه وتعالى لم يمد الملائكة الاشرار بنعمة التوبة لارتكابهم الاثم عمدا وإصرارهم وعنادهم فى ذنبهم فكانوا لذلك عنده غير اهل للرحمة والعفو ولم يكن لهم من عذر فى خطيئتهم.

وقد اورد احد علماء اللاهوت ثلاثة أوجه لعفو الله عن الانسان إذ اخطا وعدم عفوه عن الملاك.

(١) كون الانسان اخطأ عن ضعف طبعه فكان اهلا للرحمة بخلاف الملاك فانه غير ضعيف لانه روح شديد قوى.

(٢) كون الانسان اخطا عن خداع الشيطان واما الملاك فلم يخدعه احد بل اخطا عمدا وعن معرفة كاملة.

(٣) كون جنس البشر كله سقط بسقوط آدم. ولما كان أولاد آدم غير عارفين بمعصية أبيهم كانوا جديرين بأن يرحموا بخلاف جنس الملائكة فانه لم يسقط منهم الا الذين أخطاوا. ومع ذلك فقد كانت لهم فرصة ولو قصيرة للتوبة. وهذه الفرصة كانت الى حين هبوطهم من السماء فكان يمكنهم أن يتوبوا فيها لو شاءوا ولكنهم لم يشاءوا فسقطوا كلهم وهكذا هلكوا هلاكا ابديا وانقطع رجاؤهم فى الرجوع والتوبة.

(٤) قوة الملائكة الأشرار وعملهم

لا جدال فى ان الشيطان ذو قوة عظيمة وفائقة للغاية حتى لا توجد أى قوة فى الكون تضارعها وتماثلها فيستطيع أن يتشكل بأى شكل اراده من أشكال الانسان والحيوان والجماد حتى ملائكة النور (تك ٣:١ و ٢ كو ١١:١٤) وله قوة أن يدخل فى الانسان والحيوان ويتصل بسائر أعضائه واعصابه (مت ٩:٢٨) وفى استطاعته ان يحرك الرياح ويثير العواصف ويقلع الأشجار ويهدم البيوت ويزلزل الجبال وينتقل من أقصى المسكونة الى أقصائها بأسرع ما يمكن ليرى ويعرف ما يحدث فيها (أى ١:١٩) كما أن فى مقدوره أن يهيج الحسد والخصومات والفتن ويغرى على اختراع البدع والأضاليل وتعلم الزور والكفر وبالجملة هو أصل وينبوع كل شر وفساد فى الأرض ومن ثم دعاه ربنا رئيس هذا العالم (يو ١٤:٣٠) وشبهه بطرس الرسول بأسد مفترس (١ بط ٥:٨).

غير انه لا يستطيع ان يعمل عملا او يوقع بأحد ضررا الا اذا سمحت له عناية الله بذلك لحكمة تعلو على أفهام البشر كسماحه له بتجربة أيوب التى قصد بها اظهار بر هذا الرجل الصالح

وانخذال ذلك الخصم العنيد. وكاذنه له بدخول قطيع الخنازير ليحول شره خيرا كما يفعل بأعمال الناس الأشرار ولعله اذن له فى ذلك ليوضح رداءته أعظم ايضاح ويظهر عظمة نجاة المجنون منه (راجع اى ١:٧ ومت ٣١:٨).

(اعمال الشيطان المخيفة والضارة)

أما اهم اعمال الشيطان المخيفة والضارة فهى:-

(١) ينصب الفخاخ والأشراك المتنوعة لبنى الانسان ليرهقهم فى الخطيئة ويفرسهم فى الشرور والمعاصى بغية هلاكهم وحرمانهم من الحياة الأبدية. كما فعل مع جدهم آدم الاول حيث دخل جوف الحية واغراه وخدعه وساقه الى المعصية ومخالفة ربه (تك ١:٣).

وقد هجم بكل قواه وخداعه وحيله بنفس هذا القصد الخبيث على آدم الثانى أيضا غير انه لم يفلح بل ارتد على اعقابه خاسرا اذ سمع ذلك الصوت الالهى الرهيب (اذهب ياشيطان مت ١٠:٤).

(٢) يمتحن المؤمنين بتجارب وبلايا محرقة قاصدا بذلك تنغيص حياتهم وتكدير صفوها كما فعل مع أيوب البار وتلاميذ السيد له المجد (اى ٦:١ ولو ٣١:٢٢).

(٣) يدخل فى أجسام بعض الناس ليوقع بهم الضرر والأذى كما فعل بجسم شاول الملك وغيره من بنى الانسان (١ صم ١٤:١٦ ومت ١٥:١٧).

(٤) يساعد الذين يشتغلون فى صناعة السحر والعرافة والكهانة ليجروا اعمالا مدهشة يخيل للناظرين اليها أنها معجزات وماهى الا خدع شيطانية وخزعبلات وهمية قد تنطلى على عقول البسطاء والعامة فتستهويهم الى الافك والضلال الذى طالما

طوح بالمخدوعين الى مهاوى العطب والهلاك. كما فعل سحرة مصر الذين قاوموا موسى وهرون امام فرعون الملك (خر ٧ :١١) وكما فعل سيمون الساحر الذى كان يدهش اهل السامرة بحيله وخداعه (اع ٨ :٩) وكما كانت تفعل الجارية التى كان بها روح عرافة (اع ١٦ :١٦) وكما يفعل الدجال أخيرا الذى ذكر له صاحب الرؤيا ثلاث عجائب تصنع بقوة ذلك المحتال الكذوب وهى:

(أولا) يشفى احد اتباعه(١) من الملوك من جرح قاتل (رؤ ١٣ :٣).

(ثانيا) ينزل نارا من السماء(٢) (رؤ ١٣ :١٣).

(ثالثا) يجعل تمثال الدجال أن ينطق ويتكلم(٣) (رؤ ١٣ :١٥).

(السحر والعرافة والكهانة)

لقد اعتاد كثيرون من الناس أن يلتجئوا إلى السحرة والمشعوذين لاستطلاع رايهم فى أمور حياتهم. ولما كان ذلك مما

---

(١) هذه المعجزة انما هى على ظاهر الأمر. لان هذا الجرح لا يكون كذلك فى الحقيقة ولا يفوت شفاؤه القوة الشيطانية لان الشيطان أعلم بعلاج جسدنا منا فمن ثم لا تكون اعجوبة حقيقية.

(٢) ان نزول النار من السماء هو ايضا فى طاقة الشيطان لانه قادر ان ينزل من الجو صواعق ويثير رعودا وبروقا.

(٣) وهذه كذلك من أعمال الشيطان المعهودة فانه كثيرا ماتكلم فى الانصاب والتماثيل. ولهذا قال بولس الرسول "الذى مجيئه -اى الدجال- يعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الاثم فى الهالكين (٢ تس ٢ :٢٧).

يحرمه الدين تحريما باتا لهذا ارى لزاما على ان أتكلم بما قد يفي بالحاجة عن هذه الرذائل محذرا من استعمالها ومن الوثوق باقوال المشتغلين بها ولو صادقة .

(اولا) السحر

هو عمل امور عجيبة قد تفوق طاقة البشر لا يستطيع ان يفعلها الانسان الا بمعاونة الشيطان او ربما كان من يدعي قوة السحر على جانب عظيم من خفة اليد فيظهر انه يعمل معجزات والواقع ليس كذلك.

وقد ادعى كثيرون من الكلدانيين والمصريين قوة السحر. وادعى ذلك اليهود ايضا وقالوا انهم يستطيعون ذلك باستعانة ارواح الموتى او استخدام الارواح الشريرة وقالوا إنهم يقدرون ان يحموا الناس بالاحراز والتعاويذ ويعرفون ما في المستقبل ويفسرون الاحلام ويكتشفون الدفائن والمسروقات وغيرها أو يخرجون الباطل بصورة الحق (خر ٧:١١).

(ثانيا) العرافة

هي استطلاع معرفة الغيب وحوادث المستقبل. وهذا إما باطل بجملته . وإما حق في بعض الامور، لان الشيطان يساعد على اعلان بعض ما لم يستطع البشر معرفته .

والعرافة نوعان صريحة ومقدرة فالصريحة ماتتم باستدعاء الشيطان صريحا والمقدرة ماتتم باستدعائه بوسائل أخرى.

(ثالثا) الكهانة

وهي نوع من العرافة . وكل هذه الرذائل المفسدة للديانة حرمها الله جل شانه تحريما باتا بقوله : لا يوجد فيك من يجيز

ابنه أو ابنته فى النار ولا من يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحرة ولا من يرقى رقية ولا من يسال جانا او تابعة ولا من يستشير الموتى لان كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب (مت ١٨ :١٠ - ١٢).

فالعائف هو من يزجر الطير للتفاؤل او التشاؤم.

المتفائل هو الميمن ببعض الامور وذلك كان يسمع المريض احدا يقول ياسالم فيسر بذلك متوقعا السلامة.

من يرقى رقية هو الذي يقول كلاما يدعى انه يقى به من الضير او يدفعه. وقال بعضهم ان معنى الأصل العبرانى (يعقد عقدا) وذلك أن سحرة الاقدمين كانوا يأخذون خيوطا يعقدونها وينفثون فى العقد مدعين انهم يؤثرون بذلك فى من يريدون الاضرار به.

جانا الجان فى العربية اسم جمع للجن. والجن خلاف الانس. او كل ما استتر عن الحواس من الملائكة او الشياطين.

تابعة قيل ان التابعة جنية تتبع الانسان اين ذهب وان لبعضهم قدرة على أن يسالها ما اراد فتنبئه به. او يامرها بما شاء لتفعله. وقيل ان من يسالها يعرف منها امور العالم غير المنظور.

يستشير الموتى اى يستنبئ ارواح الموتى.

(استنباء الارواح ودوران الطاولة)

ان استنباء الارواح او سؤال أنفس الموتى هو بلا محالة فعل شيطانى محض. لانه لا يعقل ان تكون ارواح البشر ولاسيما الصالحين منهم تحت إمرة اناس قد يكونون من أردأ البشر واكثرهم شرا.

وقد يتدخل الشيطان فى ذلك لكى يفسد عقيدة الناس من جهة
ابدية عذاب جهنم. لانه متى سئل أحد الموتى فى اى حال هو.
اجاب بانه صار من زمرة الصالحين وانه عما قليل ينجو من عذاب
الجحيم بينما يكون الشخص المراد الاستفهام عنه من الخطاة
الذين لا رجاء لهم.

وقد عزز راينا هذا احد علماء الانجليز الذى جاء عنه فى
احدى الجرائد اليومية بتاريخ ١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٤ تحت عنوان
راى فى مناجاة الارواح.

(خطب عالم انجليزى فى أحد المعاهد العلمية بلندن اخيرا
خطبة دحض فيها آراء العلماء فى فن مناجاة الارواح ومما قاله.
إن هذا الفن نوع من مخاطبة الارواح الشريرة او الشياطين وان
تاريخه كذب وخداع حيثما كان. ففن الارواح الحديث تدعمه ثلاث
قوى خفية وهى الارواح الشريرة. وقوة غير بشرية تاتى كل عمل لا
فائدة منه للانسان وقوة ترمى إلى الكسب بالكذب والغش والنصب)

ولا يعترض على قولنا بان ارواح القديسين لا يمكن ان تكون
تحت إمرة العرافين ولا سلطان الشياطين بحادثة عرافة عين دور
(١ صم ٢٨:٧) لانه وان اعتقد بعض العلماء ان الشياطين قبل موت
السيد له المجد كان لهم بعض السلطان على ارواح الموتى وان
العرافة فتنت بسحرها روح صموئيل فحضرتها غير ان ذلك عار عن
الصواب. وان الحق الذى لا مرية فيه هو ان صموئيل ظهر بامر
الله غير منقاد لسحر العرافة لكى يعلن لشاول الملك مقاصد
الله المحتومة من جهته والدليل على ذلك أن صموئيل ظهر قبل
ان تشرع العرافة فى اعمالها السحرية. ثم ان العرافة لم تلبث

ان رات صموئيل حتى ذعرت وصرخت بصوت عظيم (١ صم ١٢:٢٨) ومن ذلك يستنتج أن الذى ظهر هو صموئيل نفسه. وظهوره كان خلافا لما كانت تتوقعه العرافة.

اما ذلك النبأ المؤلم الذى فوجئ به شاول وهو مفارقة الله له وشق المملكة منه واعطاؤها لداود عدوه وموته هو واولاده فى الحرب (١ صم ١٦:٢٨-٢١) فمن أكبر الادلة على أن الذى ظهر هو صموئيل نفسه لانه لو كان الذى ظهر هو الشيطان حيث تمثل لشاول بشرا بهيئة صموئيل كما يزعم البعض لما تجرات المراة ان تخبر شاول بمثل هذه الامور التى تعرضها لخطر الموت الساحق.

دوران الطاولة

اخترع دوران الطاولة سنة ١٨٥٢ م. وقد ظهر اولا فى امريكا ومنها انتقل الى اوربا ثم فشا فى العالم كله.

ويتلخص هذا العمل فى أن الطاولة تاخذ بالدوران بمجرد لمس أطارف اصبع المجتمعين حولها ثم بعد قليل تجيب السائلين عما يسالونها عنه بأن ترفع إحدى قوائمها وتشير الى الجواب بضربها فى الارض او تكتب بقلم معلق على إحدى قوائمها. وهذا لا يصدر طبعا من مادة مجردة عن الحس والادراك بل من كائنات عاقلة مدركة اذ لا يعقل ان الطاولة وهى من الخشب او مادة اخرى تجيب سائلها اذا سئلت عن شئ الا اذا كانت هذه الاجابة صادرة عن ارواح تحرك هذه الطاولة. وتلك الارواح بلا محالة هى أرواح شيطانية لان الملائكة والقديسين لا يتدخلون فى هذه الالاعيب الكاذبة.

اما وقد ثبت مما تقدم ان للشيطان حيلا وخدعا متنوعة لا يقصد

بها سوى ابتعاد الانسان عن ربه فى هذه الحياة وحرمانه من مشاهدة جلاله الالهى فى الحياة العتيدة . لهذا حذرنا الكتاب المقدس منه تحذيرا رهيبا بقوله : اصحوا واسهروا لان ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو (١ بط ٥:٨) ولم يكتف بذلك التحذير الرهيب بل حثنا على مقاومته بقوة الله وسلاحه الكامل الذى شرحه شرحا مستفيضا بقوله : البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا ان تثبتوا ضد مكائد ابليس فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع اجناد الشر الروحية فى السماويات من اجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا ان تقاوموا فى اليوم الشرير وبعد ان تتمموا كل شئ ان تثبتوا ممنطقين احقاءكم بالحق ولابسين درع البر وحاذين ارجلكم باستعداد انجيل السلام حاملين فوق الكل ترس الايمان الذى به تقدرون ان تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذى هو كلمة الله (اف ٦:١١-١٧).

(٥) تفاوت الملائكة الأشرار فى القوة

بما أن الشياطين ليسوا في رتبة واحدة بل لكل رتبة خاصة كما ان بينهم رؤساء ومرؤسين ايضا (اف ٢:٢ ومت ٩:٣٤) فطبيعيا يكونون متفاوتين فى القوة مختلفين فى الاحتيال والمخادعة .

قال بولس الرسول: فان مصارعتنا ليست مع لحم ودم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع اجناد الشر الروحية فى السماويات (اف ٦:١٢) وفى ذلك دليل صريح على تفاوت الأرواح الشريرة فى الدرجات تتفاوت معها

قوتهم ومقدرتهم فى عمل الشر والخديعة فضلا عن دقة معرفتهم بوهن وضعف الطبيعة البشرية وفسادها ولقد اثبت ربنا له المجد هذا التفاوت بين الأرواح الشريرة بقوله: ثم يذهب (أى الشيطان) ويأخذ معه سبعة أرواح أخر اشر منه (لو ١١:٢٦) وبذلك اوضح أن بين الشياطين من هو شرير واكثر شرا. وقال ايضا: ان هذا الجنس لا يخرج الا بالصلاة والصوم (مت ١٧:٢١) ويرجح كثيرا انه يراد بذلك الجنس جنسا خاصا من الشياطين لا يقوى المؤمن على اخراجه الا بالأصوام والصلوات المتواترة لشدة خبثه وشره المتفاقم. وإن كان فى الواقع لا يمكن الانتصار على اى نوع من أنواع الشياطين إلا بهذين السلاحين الماضيين.

غير أن الشياطين وان كانوا كثيرى العدد متفاوتى القوة ذوى دهاء وخداع لا يملون من القتال والنضال ولا توهنهم شدة الكفاح والصراع الا ان قوتهم معطاة من الله محدودة فلا يقدرون ان يغتصبوا احدا رغما عنه بل كل من حاول خلع نيرهم وردعهم عنه مستغيثا بالله القدير متحصنا بسلاحه الكامل فانه يقهرهم ويغلبهم بلا محالة. ومن ثم شبه فم الذهب الشيطان بكلب لا يبرح محاذيا لمائدة صاحبه مادام صاحبه يرمى اليه بشئ منها. حتى إذا ما انقطع الامل منه باصابة شئ ولى قصيا من دون أن يطرده أحد. قال الكتاب: قاوموا ابليس فيهرب منكم (يع ٤:٧).

(٦) طريقة إضلال الشياطين الناس

يجب ان نعلم تمام العلم أن للشيطان قدرة تامة ان يتصل بعقل الانسان اتصالا كليا ومن ثم يستطيع ان يضع فيه مايريد أن يفعله. فيضله ويغويه ويهيجه على ارتكاب افظع الشرور واقبح

الاثام. وذلك بمراعاة اميال الانسان وما يركن اليه فى طباعه فمن كان من الناس ميالا لجمع المال وادخاره حرك فيه هذا الميل ونشطه. ومن كان مشغفا بالمآكل والمشارب وتنعم الجسد بمختلف ضروب الشهوات والملذات قوى فيه هذه الرغبات وأزكى نارها ومن كان محبا للسلب والنهب والظلم والاستبداد والكبرياء والكذب زين له هاتيك الرذائل وشجعه على الادمان عليها والامعان فيها (تك ٣: ١-٦ و١ مل ٢٢: ٢٠ واع ٥: ٣) وبالاجمال ان الشيطان متى اتصل بعقل الانسان وعرض عليه ماكان ميالا اليه بفطرته تحركت قواه العقلية والجسدية ونشطت فسعى لنفاذ مآربه واشباع شهواته بما فى وسعه وبكل وسيلة ممكنة. واذا ما تم له ذلك بلغ الشيطان غرضه وقضى وطره اللهم الا اذ كان ذلك الانسان ممن ادركتهم نعمة الله فطلب المدد والمساعدة من ربه فقدر له الفوز والانتصار على عدوه (يع ٤: ٧).

ومما يؤيد رأينا هذا ماجاء فى الكتاب عن آخاب الملك الشرير ويهوذا التلميذ الخائن حيث قيل عن احدهما وهو آخاب: رأيت الرب جالسا على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره فقال الرب من يغوى آخاب فقال الروح (الشيطان) انا اغويه واكون روح كذب فى افواه جميع انبيائه فقال انك تغويه وتقتدر (١ مل ٢٢: ١٩).

وقد قدر النجاح للشيطان فى غواية هذا الانسان لميله الطبيعى لتصديق الافك والباطل كما هو واضح من قول الرسول الذى ذهب ليستدعى ميخا النبى ليقول كلمته التى توافق كلام الانبياء الذين ارضوا آخاب باقوالهم الكاذبة حيث قال له: هو

ذا كلام جميع الانبياء بفم واحد خير للملك فليكن كلامك مثل كلام واحد منهم وتكلم بخير (١ مل ١٣:٢٢) وكانى به يقول له اجتهد ان يكون كلامك مما يرضى الملك ويسره ولو على غير الحقيقة لانه هذه ميوله وتلك رغباته.

وقيل عن الثانى وهو يهوذا الاسخريوطى: فحين كان العشاء وقد القى الشيطان فى قلب يهوذا سمعان الاسخريوطى ان يسلمه (يو ١٣:٢٠و٢٧) اى هيجه وساعده على اتمام ماكان يشتهيه ويميل اليه بفطرته وهو خيانة سيده وبيعه بثلاثين من الفضة كما يؤخذ من قول الوحى الآلهى الذى عند ماأراد ان يبين علة ذلك قال: لانه كان سارقا وكان الصندوق عنده وكان يحمل ماكان يلقى فيه (يو ١٢:٦).

(ملاحظة) يتساءل الكثيرون قائلين اذا كان الله هو الذى سمح للشيطان ان يغوى آخاب كما انه سمح بدخوله فى يهوذا أيضا لاتمام عمل الفداء فلم يلوم هذا وذاك على مافعلاه اذا كانا بفعلهما هذا انما إرادته تعالى ومسرته فنجيب: ان الله تعالى لم يكن مطلقا مصدر هذه الاعمال وانما هو يعرف ارادة الانسان واميالــه فيتخذ ذلك الميل سبيلا لنفاذ مقاصده ومن ثم لما عرف اميال يهوذا للخيانة ومحبته للفضه أستعمل ذلك الميل لنفاذ مقاصده وهى تسليم سيده لاعدائه كما انه لما عرف ارادة شمعى الرديئة استعملها لتاديب داود الملك. وهذا هو معنى قول الكتاب (ان الله امر شمعى ان يشتم داود).

(٧) علة سعى الشيطان فى إضلال الناس

لا يخفى ان الشيطان يسعى فى إضلال الناس وهلاكهم لأسباب شتى

اشهرها ثلاثة :

(الاول) غيظه من الله. وهذا يحمله على اتلاف كل ما به مجد الله تعالى.

(الثاني) الحسد. ولذلك يبغضنا ويحاول هلاكنا لئلا نكون في المكان الذى كان فيه في السماء.

(الثالث) الكبرياء. وهذه تسوقه أن يصير جميع الناس مثله خطاة وأبناء المعصية.

(٨) معنى كون المؤمنين تحرروا من
الشيطان وهو مازال يقلهم

ليس من ينكر ان الشيطان مازال يقل المؤمنين ويجربهم حتى ان ربنا له المجد اوصانا ان نصلى بلا فتور قائلين (لكن نجنا من الشرير) غير انه ونحن على هذه الحال نعتبر انفسنا اننا قد تحررنا من عبودية الشيطان تحريرا كاملا.

ولكي نفهم ذلك يجب ان نعلم أن التحرير من عبودية الشيطان نوعان احدهما تحرير بالفعل والآخر تحرير بالقوة ففادينا له المجد حررنا من عبودية الشيطان بالقوة ولم يحررنا بالفعل. ومعنى كونه حررنا بالقوة اى انه ارانا طريق الدين القويم الذى به نحارب هذا الشيطان لندفعه عن الاستيلاء على عقولنا ومنحنا القوة الكاملة التى بها نستطيع أن نستمسك بشرائع هذا الدين فنتحرر من تلك العبودية وننجو منها.

اما العلل التى لأجلها حررنا فادينا من عبودية الشيطان بالقوة ولم يحررنا بالفعل. اى انه شاء أن نتحارب مع الشيطان ثم يمنحنا قوة لنقهره ولم ينزع عنا كل أسباب السقوط فى

تجاربه فهي :-

(١) مشيئته الصالحة التى رتبت هكذا. ومن المحقق ان الله جل شانه لم يرتب ذلك الا بمقتضى حكمته الغير المتناهية. نعم نحن لا نستطيع ان ندرك ذلك وربما اعتقدنا بحسب معرفتنا المحدودة أن ذلك لم يكن لازما غير ان جهلنا بالحقائق لا يقدح فى حكمة الله السامية وبالتالى لايبرر رأينا هذا.

(٢) لنظفر بالسعادة الدائمة باعظم مجد لاننا بهذا السبيل ننالها كاكليل العدل والانتصار.

(٣) إنه بهذا السبيل يظهر فضل نعمة المسيح وعظمتها لاننا بواسطتها نغلب ارواح الجحيم الاقوياء ونحن بشر ضعفاء. وواضح انه لولا هذه المحاربة لما ظهر ذلك الفضل العظيم وتجلت تلك النعمة الجليلة باكمل معانيها.

اما ماجاء فى سفر الرؤيا عن القبض على الشيطان وتقييده حتى لايضل العالم فى ما بعد (رؤ ٢٠:٢) فلا يراد به سوى منع الشيطان عن ان يضر الناس جميعهم بمقدار ما يرغب أو عن ان يجرب المختارين ويحاربهم بمقدار مايكفى لخداعهم وسقوطهم فى الهلاك.

(٩) مقر الملائكة الأشرار الآن وفى اليوم الاخير

قال الكتاب المقدس: لانه ان كان الله لم يشفق على ملائكة قد اخطأوا بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم وسلمهم محروسين للقضاء (٢ بط ٢:٤) وقال أيضا: والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم

بقيود ابدية تحت الظلام (يه ١:٦).

ومن هذه الأقوال الالهية اثبت علماء الكتاب ان الملائكة العصاة باجمعهم طرحوا في الاول حين اخطاوا في دركات جهنم في الظلام الدامس ولكن بعد ذلك رخص لفئة منهم ان تخرج الى الارض وهي على ماكانت عليه من العذاب لاجل امتحان الناس كما قال بولس الرسول: حسب رئيس سلطان الهواء الروح الذى يعمل الآن فى ابناء المعصية (١ ف ٢:٢).

غير انهم وان كانوا يعذبون الآن فى جهنم بدون نجاة ولكن سوف يكون عذابهم فى يوم الدينونة أشد وأعظم اذ قد يدينهم ربنا اسوة بالاثمة والفجار من بنى البشر حيث قال صاحب الرؤيا: وابليس الذى كان يضلهم طرح فى بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبى الكذاب وستعذبون نهارا وليلا إلى ابد الآبدين (رؤ ٢٠ :١٠).

ومن هنا يتضح ان ابليس وملائكته محفوظون للقضاء فى دينونة اليوم العظيم وان المكان الذى يكون فيه نصيب الاشرار من البشر هو نفسه المكان المعد لابليس وملائكته . ومن ثم يكون للبشر غير التائبين والملائكة الساقطين قصاص متشابه ومكان مشترك.

اما قول بولس الرسول: الستم تعلمون اننا سندين ملائكة (٢ كو ٦:٣) فمعناه أن عقاب الشياطين يزداد علاوة على دينونة ربنا يسوع المسيح لهم من جهة مجد القديسين فان القديسين غلبوا الشياطين وقهروهم فيفتخرون عليهم يومئذ افتخار الغالب على المغلوب ويسخرون منهم لانهم وهم اناس لابسو الوهن والضعف

انتصروا عليهم واقاموا على الحق وهم اى الشياطين مع كونهم ارواحا قوية غلبوا وسقطوا. فهذا الافتخار يكون على هؤلاء المتكبرين عذابا اليما وعارا مهينا.

(١٠) أسماء الملائكة الاشرار والقابهم

إعلم أن افراد الملائكة لم توضع لهم اعلام تميزهم عن بعضهم ولكن وضع لبعضهم اعلام لوحظ فيها اشتقاقها من خدمة كانوا باشروها بامر ربهم وكذلك الشياطين أيضا.

اما أشهر الاسماء والالقاب التى عرف بها رئيس الملائكة الاشرار فهى :_

الشيطان - ابليس - رئيس هذا العالم - التنين - الحية - المضل - اله هذا العالم - سلطان الظلمة - رئيس سلطان هذا الهواء - شرير - بعلزبول - بليعال - أسد.

شيطان : اى عدو معاند لانه يعاند الله والقديسين وهى كلمة عبرانيه مشتقة من الفعل شطن بمعنى كمن أو ضاد او خاصم.

ابليس : كلمة يونانية معربة اصلها (ذيابولوس) أى المفترى ظلما او القاذف او المجرب.

رئيس هذا العالم : سمى الشيطان رئيس هذا العالم لانه اذ نفى من ملك السماء خلوا من رجاء العودة إليها اجتهد أن يحرج الله تعالى من تملك الارض وينزع ذكره وخدمته من عقول البشر ويتخذ لنفسه مركز الجلال الآلهى ليكون هو الاله الاعظم مع كل الشياطين المشتركين معه فى معصيته وعقابه وذلك بتنصيب الأوثان والتماثيل فى كل مكان التى هى خطا جنس البشر الأخص واعظم الاشنع واصل دينونتهم وسببة

التنين : سمى الشيطان تنينا لعظم قساوته وهيبته المرعبة التى تنفر منها الطباع.

الحية : سمى الشيطان حية لاوجه كثيرة (١) لخبث هذا الوحش لان التوراة تقول (وكانت الحية أحيل من جميع الحيوانات (٢) للعداوة التى بين هذا الوحش وبين البشر فانها كالعداوة التى بين الشيطان وبينهم لان الله يقول: واجعل عداوة بينك وبينها وبين نسلك ونسلها (تك ٣:١٥) (٣) لان الحية قاتلة بسمها والشيطان قاتل بفعله. ولهذا قال عنه ربنا له المجد: ذاك كان قتالا للناس منذ البدء (يو ٨:٤٤).

المضل : سمى الشيطان مضلا لأنه يجاهد بكل قوته فى أن يضل البشر كلهم لكى يبقوا فى الجهالة ويعوج قضاءهم لكى يقودهم الى الضلال ويدخل فى عقولهم افكارا شريرة ليهيج فيهم الشهوات الخبيثة ويحاول كل المحاولة أن يثبت الاديان الباطلة.

اله هذا العالم : اى اله العالميين الذين يتسلط عليهم مستوليا بواسطة الشهوات الثلاث المتصف بها العالم المرذول اعنى بها شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة.

سلطان الظلمة : لانه هناك فى الظلمة القصوى يتصرف بتسلطه على الناس ولانه يطلق هذه السفليات ويثير رياحا عاصفة ويولد امراضا مختلفة والى غير ذلك مما يضر البشر ويؤذيهم.

رئيس سلطان الهواء : سمى الشيطان بذلك لان هذا الهواء او الجو المحيط بنا ملآن من الأرواح الشريرة. وعمل هذه الارواح امتحان البشر وتجربتهم. وكما انه يوجد فى الجو أو الهواء ملائكة أشرار وعليهم رئيس هكذا يوجد على سطح الارض ايضا.

شرير : يدعى الشيطان شريرا خبيثا لكونه هو أصل الخطية ومجرب الانسان. ولسبب ارادته الرديئة المضادة لارادة الله.

بعلزبول : أو بعلزبوب هو اله الذبان. عبده الفلسطينيون لاعتقادهم أنه وقاهم من ضربة الذباب والهوام الضارة. او لان تمثاله كان كهيئة الذبابة. ثم بدل اليهود الباء في آخر اسمه باللام للاهانة ولقبوا به الشيطان لاحتقارهم اياه.

بليعال : معنى بليعال (بلانفع) ويطلق هذا الاسم على البطالين والاشرار والخبثاء واللؤماء. وكان كتبة الأسفار المقدسة يكنون ببنى بليعال كل المذمومين الذين لا يخافون الله وسمى الشيطان بهذا الاسم اخبارا بصفاته المذمومة.

اسد : سمى الشيطان اسدا لقوته ولفرط تلهفه وتشوقه الى افتراس المؤمنين.

وعدا ذلك فقد سمى سطانايل وليسفوروس والى غير ذلك من الاسماء والألقاب التى دلت على صفاته المذمومة واعماله المرذولة.

(صلاة ختامية)

أيها الرب يسوع المسيح رب السماء والارض تفضل واقهر سمو قدرتك الآلهية بواسطة اسلحتك الروحية التى لا تفل وهلم محاربا أعداءك الأبالسة الماردين وانجح بحربك العادلة منتصرا على رئيس هذا العالم مقوضا دعائم ملكه الظالم لتقيم على خربه ملكك الروحى العادل الذى به تملك فى قلوب البشر بالأمانة والمحبة آمين.

الكلام

على

النفس أو الروح الانسانية

الباب الثالث

فى

النفس او الروح الانسانية

وفيه ثلاث مباحث

(١) اثبات حقيقة الروح الانسانية (٢) خلود النفس (٣) قيامة الاجساد للدينونة .

تمهيد : اذا نظرنا الى الكائنات الأرضية لوجدناها نوعين احدهما يتحرك ويتغذى ويتوالد ويموت. والآخر لا يطرأ عليه شئ من هذه الطوارىء. ويدعى النوع الاول حيا والآخر جامدا. فما هذه الحياة ! اهى شئ قائم بذاته يحل بالمادة فيحييها ثم تموت اذا تركها أم هى حالة تطرأ على بعض المركبات تقتضيها النواميس الطبيعية عندما تكون تلك الكائنات قائمة على تركيب خاص ! تلك امور ليس من اختصاص البشر الفصل فيها ومن ثم فصل فيها كتاب الله واوضحها ايضاحا وافيا ولم يدع للريب فيها سبيلا .

وحيث انه لا يهمنا سوى البحث فى الحياة البشرية دون غيرها حسبنا ان نتوج هذا المبحث بما فيه فصل الخطاب وهو قول الوحى الالهى: وجبل الرب الاله آدم من تراب الأرض ونفخ فى انفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية (تك ٢ :٧) ومن هذا القول الالهى الذى هو أول نبا ورد عن النفس او الروح فى كتاب

الله يستدل على أن الحياة البشرية لم تنشأ عن تركيب الانسان الجسدى ولا عن الارتقاء من حيوان أدنى منه بل ابدعها الله مباشرة وصدرت من السماء راسا لتحل بتلك المادة فتحركها وتحييها. ومن ثم لا يدعى الله خالقا فقط بل: أبا الأرواح أيضا (عب ١٢: ٩).

غير ان الماديين ارتكانا على النظريات العلمية تجرأوا على نكران الارواح السمائية والارواح الجهنمية وأرواح البشر أيضا ولم يثبتوا للمخلوق سوى المادة فقط. لزعمهم أنه لا يوجد فى العالم الا حقيقة واحدة لا يجوز فيها النزاع وهى الأشياء الخارجية او المادة أعنى الشئ الذى يرى ويلمس ويخضع لتقدير الحواس. أما ماعدا ذلك فيعتبرونه أوهاما وأباطيل لا قيمة لها. على انهم قد ضلوا فى ذلك ضلالا شنيعا لان تركيبنا الجسمانى الطبيعى لا يعرفنا بحقيقة الواقع وان حواسنا تكاد تخدعنا فى كل شئ. كما أن أعضاءنا الادراكية لا تكشف لنا كل ماهو موجود بل كثيرا ما تجعلنا نشعر شعورا كاذبا وضالا ليس فيما يتعلق مما هو وراء الطبيعة فقط بل فيما يختص بهذا الكون المحيط بنا أيضا. ولهذا كان الاعتماد فى معرفة هذه الحقيقة على النظريات العلمية وحدها دون كلمة الله ضالا وناقصا وغير واف كما انه ليس فى وسعه ان يقيم الأدلة الصحيحة على ذلك.

وحيث ان الايمان بوجود الروح وخلودها هو الاساس الذى بنيت عليه العقيدة المسيحية تلك العقيدة التى عظمت الإنسانية ورفعت قدرها وحالت بينها وبين التصرف فى أمورها تصرف

البهائم الدنيئة ثم غذت جذور التهذيب بغذائها المحيي وغرست في العالم أشجار المحبة والسلام والتضحية وسائر انواع الفضيلة والصلاح. لهذا نأتي بالادلة القاطعة الصحيحة التي تسند هذه الحقيقة الراهنة وتؤيدها حاصرين إياها في الدليل الكتابي والعقلي وشهادة العلماء الباحثين عن صحتها لان هذا المبحث بلغ من التمحيص اضعاف مالقيته سائر المعارف الطبيعية. وقد كان الباحثون فيه يزاولون عملهم لا بقصد استيثاقه وتأييده كما هو الشأن في بقية العلوم بل بقصد تكذيبه وتفنيده غير انه والمنة لله وحده كان ذلك من اقوى الأسباب الداعية لايضاحه واثباته كما ترى فيما يلي :

المبحث الاول

في

إثبات حقيقة الروح الانسانية

الفصل الأول

في

البراهين الكتابية

قال الله جل شانه عن خلقه الانسان الأول: نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا (تك ٢٦:٢) وبهذا القول الصريح اعلن أن الانسان لم يكن قوامه من الهيولى فقط بل ومن الروح الناطقة التي افاضها على بدنه وبها صار حقا على صورة ومثال مبدعه الحكيم الذى هو روح أزلي منزه عن المادة والتركيب.

وقال: لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها (مت ١٠:٢٨) وقال ايضا: لأنه ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه او ماذا يعطى فداء عن نفسه (مت ١٦:٢٦) ثم قال لتلاميذه في ليلة تسليمه: اما الروح فنشيط واما الجسد فضعيف (مت ٢٦:٤١) وجاء عنه له المجد أنه في نهاية يوم صلبه المجيد: نادى بصوت عظيم وقال يا ابتاه في يديك أستودع روحى واذ قال هذا أسلم الروح (لو ٢٣:٤٦) كما ان القديس اسطفانوس في ساعة احتضاره قال: أيها الرب يسوع اقبل روحى (اع ٧:٦٠) وقال موسى وهرون استعطافا لله جل شأنه عندما

اراد ان يهلك بنى اسرائيل بسبب خطيئة قورح وقومه: اللهم إله ارواح جميع البشر هل يخطئ رجل واحد فتسخط على كل الجماعة (عد ١٦: ٢٢) وقال صاحب المزمور: تنزع ارواحها فتموت وإلى ترابها تعود (مز ١٠٤: ٢٩) وقال أشعياء النبى: لأنه هكذا قال العلى المرتفع ساكن الأبد القدوس اسمه فى الموضع المرتفع المقدس اسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح لأحيى روح المتواضعين ولأحيي قلب المنسحقين (اش ٥٧: ١٥) وقال زكريا النبي: يقول الرب باسط السموات ومؤسس الارض وجابل روح الانسان فى داخله (زك ١٢: ١) وقال بولس الرسول: وانما اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد لان الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد (غل ٥: ١٦) وقال أيضا: لان من من الناس يعرف امور الانسان الا روح الانسان الذى فيه (١ كو ٢: ١١) وقال صاحب سفر الجامعة: فيرجع التراب الى الارض كما كان وترجع الروح الى الله الذى أعطاها (جا ١٢: ٧).

ومن هذه النصوص العديدة الصريحة يتضح ان للانسان روحا خالدة لا يعتورها تلاش ولا يلحقها فناء.

الفصل الثاني

فى

البراهين العقلية

إن البراهين العقلية الدالة على وجود النفس او روح الانسان كثيرة واشهرها ماياتى:

أولا - العقل

ثانيا - القوة المفكرة

ثالثا - صفات الانسان الأدبية

رابعا - وجود قوتين متفاوتتين فى الانسان

خامسا - رؤية الحوادث المقبلة بالاحلام

(أولا) العقل

لاريب أن اقوى البراهين واسدها على وجود النفس الناطقة فى الانسان هى عقله ذو الامتياز البارز والكمال الكلي بالنسبة لعقول بقية الحيوان.

وانك لو وازنت بين عقل الانسان وبين عقل أعظم حيوان لوجدت تفاوتا سحيقا بينهما. وليس هناك من سبب صحيح لهذا التفاوت العظيم إلا لكون عقل الانسان نتج من مصدر لا وجود له فى الحيوان وذلك المصدر لا يمكن أن يكون سوى النفس العاقلة. فهى وحدها دون غيرها التى منحته ذلك التمييز الكلى الذى رفعه عن مستوى سائر الحيوان. وإلا لو كان عقله نتج من غير هذا المصدر الروحى لكانت نسبة عقله إلى نسبة الأدنى منه من الحيوان تعادل على نوع ما نسبة هذا الاخير الى الادنى منه بسلسلة التنازل الحيواني. والحال ان نسبة عقل أعظم حيوان بعد

الانسـان الـى ادنى حيوان لا تذكر بالنظر الى نسبة عقل الانسان الـى ذلـك الحـيوان الأعظـم. مـع انه لا يوجد فى تركيب الانسان ووظائفـه الحيويـة نسبة كهـذه بعيـدة عـن تركيب وظائف بقية الحيوانات.

ومما دل ايضا عـلى ان العقل الانسانى نتج من مصدر روحى لا مـادى هـو قبولـه الصور المختلفـة بحيث يكون مهندسا ونجارا وبنـاء فـى وقت واحد دون أن تمحو الصورة الثانية الأولى ولا الثالثة تلاشى الثانيـة. بيـد أن المـادة اذا قبلـت صورة لا يمكنهـا أن تقبـل غيرهـا الا بمحو الأولى. هذا فضلا عن ان الذى يتصوره منذ طفولته من تلك العلوم والصنائع يبقى معه الى أن يصير شيخا. فلو كان ذلك الشئ الذى نقش فيه ذلك العلم جسما لكـان قـد ذهـب مـع مـا تحلل من جسمه من عهد الطفولة الى حد الشيخوخة.

(ثانيا) القوة المفكرة

اذا شرحنا الطرف فى بدنـا ومـادة دماغنـا وبـاقى الاعصاب والعضلات والأضلاع لمـا رأينـا فيهـا مـا يفتكر ويتصور ويامر وينهـى. والحـال أننـا لـو تاملنـا في أعمال الانسان وتصرفاته لرأينـا له افكارا وأحكاما وتصورات عقلية عجيبة: فيستطيع أن يتذكـر الماضيات ويتفكر فى الحاضرات ويتصور المستقبلات بسرعة فائقـة مدهشـة بحيث ان ما يستحضره الى عقله من التصورات فى أقل مـن لمـح البصر يستغرق وقتا طويلا فى ايضاحه وبيانه لو أراد التعبير عنه بقلمه او لسانه.

ناهيك بالسرور والاكتئاب الذى يستولى عليه أحيانا بسبب تلك

التصورات فاذا كانت سارة فاض على قلبه الفرح والسرور واذا كانت محزنة علته الكآبة والهموم وذلك لا يمكن أن يكون منبعثا الا من نفس روحية عاقلة حكيمة. لان المادة الجاهلة الضعيفة الساقطة لا تستطيع أن تعطى منحة فوق طورها ولا أن تهب الانسان هبة لا علاقة لها بالحواس مطلقا.

ومما هو أدعى الى الذكر أن الانسان بتلك القوة العاقلة المفكرة يستطيع أن يتفكر ويتروى فى قضايا خفية لم تظهر بالفعل ويميزها ويحكم على نتائجها قبل وقوعها وغالبا يحدث ذلك بضبط دقيق مع أن المادة جامدة ساكنة لا تفكر ولا تتصور. كما انه بهذه القوة عينها يمكنه ان يخترع ويكتشف ويستنبط امورا هى فى منتهى الغرابة والدهشة بينما الحيوان لا يستطيع ان يتصور او يدرك من ذلك شيئا.

نعم ليس من ينكر انه قد تصدر من بعض الحيوانات أمور تدل على انها ذات تفكير وتصور كالاعمال التى تصدر من القردة والكلاب والجرذان وامثالها.

فالجرذ مثلا إذا كان جائعا ورأى قنينة زيت ضيقة الفوهة فانه يدخل ذنبه فيها عوضا عن رأسه ويلحسه. وبعمله هذا يقوم بثلاثة أمور تدل فى ظاهرها على منتهى التصور والتفكير (فاولا) دل بهذه المحاولة على انه مفتقر للزيت (ثانيا) فطن أن رأسه لكبره لا يمكن أن يدخل فى القنينة لضيق فوهتها فأملى عليه إلهامه ان يدخل ذنبه لدقته (ثالثا) أيقن أنه بهذا التدبير يحصل على رغبته وهى إشباع جوعه.

غير أن ذلك لا يمكن ان يؤخذ دليلا على تصوره لانه لم يكن فعلا

إراديا ولم ينتج من تصورات عقلية كالتى للانسان. وإنما هى امور طبيعية نتجت عن قوى حيوية اودعها الخالق الحكيم فى طبيعته لأجل حفظها من التلف والفساد فقط.

وما مثل الحيوانات فى ذلك إلا كمثل الجمادات التى تعمل عملها لا لحكمة عندها بل بقوة طبيعية اودعت فيها كجذب المغنطيس للحديد والتحام احدهما بالآخر حيثما وجدا بيد انه لا فضل لهما او لاحدهما فى ذلك بل الفضل كله عائد على من خصهما بهذا الميل الغريزى. وكارتفاع اليد إلى العين لحمايتها عند حدوث مؤثر فجائى مع ان ذلك العمل من اليد لم يكن مسوقا بتصور قصدى أدبى بل ناشئا عن طلب الطبيعة لدفع ذلك الضرر.

اجل لقد ذهب درون وامثاله إلى أن الغرائز العجيبة التى فطرت عليها الحيوانات من التحايل على استجلاب اغذيتها وتنمية انواعها ليست بالهمات من قوة مدبرة ولكنها عادات موروثة الهمتها إياها الضرورات الطبيعية وطبعتها فيها الحاجات الحيوية غير أن رأيهم هذا ليس من الحقيقة فى شئ لانه لم يقم عليه اقل دليل يستريح له الضمير. إذ لو كان صحيحا لورث الانسان عادات والده بان يولد عالما بصناعته كما هى عادة الحيوان مع أن الواقع يكذب ذلك تكذيبا باتا فقد يكون الوالد من أكبر العلماء واشهرهم بينما يكون ابنه من اجهل الناس واغباهم. وذلك على عكس مانراه فى الحيوان الذى يولد مزودا بكل مزايا وخصائص والديه بلا زيادة ولا نقصان.

(ثالثا) صفات الانسان الأدبية

إن للانسان صفات ادبية عجيبة تدل فى صدورها على أنها ليست

من مادة ساقطة جاهلة عمياء بل من نفس روحية ذات عقل وضمير وإرادة وعواطف كحب الخير وكره الشر. وتفضيل الحياة الباقية على الحياة الفانية. واصلاح السيرة والسريرة. والندم على اتيان الشرور والمنكرات. وتوقع القصاص لارتكاب الجرائم والمحرمات. والمكافاة دنيا وأخرى لعمل الفضائل والمحللات. والاخلاص الكامل للاغراض الشريفة. والتضحية والبطولة ونكران الذات. ناهيك بالتجرد للدعوة الدينية والعلمية وتحمل الآلام والتعذيب لنصرة الحق وازهاق الباطل. واحتقار الآلام فى سبيل مرضاة الله والوطن. وما الى ذلك من الصفات والمزايا الجليلة التى لا يمكن أن تكون جسدية البتة. لانها لو كانت جسدية لاقتضى أن تشاهد دلائلها فى الحيوانات. وبما اننا لم نشاهد ذلك فى حيوان قط. فاذن هذه الصفات من أقطع الأدلة على وجود النفس الخالدة التى امتاز بها الانسان على الحيوان.

(رابعا) وجود قوتين متضادتين فى الانسان

من المسلم به أن كل انسان يشعر ويحس بأن فى داخله قوتين متضادتين تقاوم إحداهما الأخرى. فالاولى تستهويه الى فعل الصلاح والبر. والأخرى تعانده وتقاومه وتضطره الى ركوب متن الزلل والخطأ جبرا وقسرا لا طوعا واختيارا.

فكثيرا ما يريد الانسان أن يكون حارا فى صلاته حليما مسامحا لاخوته لكنه يجد نفسه على عكس ذلك. اى يكون فاترا دنيويا سريع الغضب. ويريد أن يحب الله اكثر من كل شئ وقريبه كنفسه ولكنه يجد محبة الذات اقوى من تلك الارادة. ولا يمكننا أن نعلل لهذه الامور وامثالها الا بوجود قوتين لجوهرين مختلفين

فى تركيب الانسان إحداهما من عنصر والثانية من عنصر آخر. فالقوة الثانية معروفة ومسلم بها وهى الجسد المادى. اما القوة الأولى فلا يمكن ان تكون الا ذلك الشئ الذى نسميه روحا عاقلة ناطقة. والا لو كان الانسان مركبا من عنصر واحد وهو المادة لما استطاع أن يقاوم اهواءه الجسدية مع قوتها ويعمل بما تمليه عليه القوة الأولى مع ضعفها واستسلامها. ولما حدثت تلك الحرب الشعواء فى داخل الانسان باستمرار وبلا انقطاع. ولما اضطر الجسد مع عناده وشدة ملابته ان يقوم باعباء امور ثقيلة الوطأة عليه ومضادة لسائر رغباته وميوله نزولا على إرادة القوة الأولى وانصياعا لها. كالأصوام والصلوات والكف عن ضروب الملاذ والشهوات. ناهيك بالتضحية الغالية حتى الموت بمنتهى الفرح والسرور تلك التى يكرهها الجسد كرها طبيعيا وينفر منها نفورا كليا.

(خامسا) رؤية الحوادث المقبلة بالأحلام (١)

إن الأحلام وان كانت من أغمض الأمور واعقدها والبحث فيها من اعسر المباحث وادقها. الا انها تكاد تنحصر فى نوعين أحدهما

---

(١) لقد حصر بعض العلماء الأحلام فى اربعة انواع. "١" احلام طبيعية وهى ما تتولد من علل طبيعية كتعاطى الأشغال والمزاج "٢" احلام اتفاقية وهى ماتتولد عن تزاحم عدة تصورات تخيلية فى الذهن "٣" أحلام شيطانية وهى ماتصدر عن تحريك الشيطان للمخيلة والقائه فيها احلاما منوعة "٤" أحلام الهية وهى ماتصدر من الله ويجب تصديقها دون سواها.

طبيعي والآخر الهي.

فالاحلام الطبيعية تنشأ غالبا من صور الخيال من تعب الذهن بوفرة الاشغال (جا ٥:٣).

أما الاحلام الالهية الأصل فهي أحلام نبوية يشاهد فيها النائم امورا مستقبلة وحوادث آتية بضبط تفصيلي دقيق كأحلام الانبياء ورجال الله الصالحين اولئك الذين كانت احلامهم إحدى الطرق المستدرك وقوعها رسميا لابلاغهم مشيئة الله الصالحة (عد ١٢:٦).

وانه فضلا عن الأحلام النبوية الصحيحة الصادقة الواردة فى الكتاب المقدس كأحلام يوسف وفرعون وبختنصر وامرأة بيلاطس وبولس الرسول وغيرهم (تك ٣٧:٥ و٤١:١ مت ٢٧:١٩ واع ١٦:٩) فان ما يراه الكثيرون الآن من الرؤى الصادقة والأحلام الصحيحة التى تسمح لهم برؤية الحوادث المستقبلة قبل وقوعها بضبط عظيم لهى من اكبر الادلة على أن فى الانسان املا روحيا متمتعا بخصائص ذاتية مستقلة عن المادة اى ان له روحا مخالفا لجسمانه وليس مستفادا منه.

ليت شعري الم يمت الجسد حين يرقد وتكف حواسه وتبطل ! فكيف يستطيع وهو على هذه الحال أن يرى أمورا خفية مكنونة مجهولة لديه كل الجهل ! أليس فى ذلك برهان لا يكذب على ان هناك روحا مستيقظة لم يلحقها ما لحق جسمها من النوم والغفلة !

الفصل الثالث

فى

شهادة العلماء للروح الانسانية

لقد انكر الماديون وجود الروح الانسانية نكرانا تاما. بل إلى سنة ١٨٥٠ ميلادية كان الذى يقول بوجود عقل عام مدبر للكون او روح مستقلة عن الانسان يعد من البله الذين يستوجبون الرحمة على قصر نظرهم وانحطاط عقلهم. وذلك لنظريات فاسدة هى وليدة الجهل المطبق ونتيجة البعد عن ضوء الهداية السماوية كانوا يزعمون انها هادمة لأقوال الكتب الالهية عن هذه الحقيقة الراهنة. غير ان البحث الدقيق الذى قام به اشهر علماء العالم فى هذا الموضوع الحيوى ابطل هذا الزعم الفاسد واثبت لهم أن النفس ليست مادية بل هى روحانية صادرة من الله رأسا وانها قائمة بنفسها. وبالتالى لا تفسد بفساد جسدها. وأما تلك النظريات التى كانوا يحنون أمامها رؤسهم إكبارا وإعظاما فنبذوها وطرحوها ظهريا لانهم راوا انها قد قامت على غير أساس. ودونك تلك الشهادات.

(١) اديسون : قال اديسون المخترع الشهير (نعم أن الانسان قلما يجاوز المائة ولكن إذا توافرت له وسائل الحياة عاش اكثر. ولاشك أن الذى يفنى منه انما هو هذه المادة التى نسميها جسدا. ولكن الجسد ليس سوى غلاف النفس والنفس خالدة لا محالة) وقال ايضا (ان علماء الدين يحسنون صنعا لو وجهوا همهم إلى جمع الادلة على خلود النفس اكثر من توجههم إلى

إثبات المعتقدات الطائفية فأساس الدين القويم هو الايمان بوجود الخالق وخلود النفس).

(٢) جورج : قال جورج الفيسيلوجى المعروف (إن مطالعاتي الجديدة بخصوص المجموع العصبى وظواهر التنويم لا تسمح لى أن أرتاب فيما بعد بوجود قوى روحية وعقلية داخلنا. واعتقادى هذا الأخير يستند على حوادث هامة لا رد لها).

(٣) جوستاف لوبون : قال العلامة جوستاف لوبون فى مقال مسهب عن حقيقة الروح ما ياتى (ومما ننبه اليه هنا ان البحث فى المشاهدات الروحية ليس بوقف على العلماء بل تناولته جميع الطبقات من اطباء ومهندسين وأصوليين ومحفيين وماليين وغيرهم ممن يعدون بالملايين. تألبت كل هذه العقول البريئة على تحقيق حوادثها فلم تزدد الا وضوحا حتى صارت اليوم فى عداد الحسية التى تمتحن بالآلات المعدنية فثبت من مجموع هذه الابحاث ان وراء هذه المادة المحسوسة عالماً أعلى منه عامرا بالكائنات العاقلة وان الانسان متى اتم العمر المقدر له هنا انتقل الى ذلك العالم بما حمله من علم واختبار وتابع فيه طريق ترقيه حاملا جسدا اثيريا لا يعدو عليه التحول والفناء).

(٤) ألفرد رسل : قال العلامة ألفرد رسل واللس مكتشف مذهب النشوء والارتقاء هو ودرون ماياتى (لقد كنت ملحدا بحتا مقتنعا بمذهبى تمام الاقتناع ولم يكن فى ذهنى محل للتصديق بحياة روحية ولا بوجود عامل فى هذا الكون كله غير المادة وقوتها ولكنى رايت ان المشاهدات الحسية لا تغالب فانها قهرتنى واجبرتنى على اعتبارها حقائق مثبتة قبل ان اعتقد

نسبتها الى الارواح بمدة طويلة . ثم اخذت هذه المشاهدات مكانا من عقلى شيئا فشيئا ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية ولكن بتأثير المشاهدات التى كان يحلو بعضها بعضا على صورة لا يمكن تحليلها بوسيلة اخرى).

(٥) السر اوليفر لودج : قال العلامة الكبير السر اوليفر لودج عن النفس فى خطاب ممتع مانصه (صحيح أن الجنس البشرى قد انشق من الطين ولكن الجسم ليس هو كل الانسان. وسوف يعود الطين إلى الأرض ولكن هنالك الروح. وهذه مسألة أخرى هى نحن وليس ثمة رجوع إلى الوراء فى هذا ان لا نمت بنسب إلى الحيوان فقط بل لنا نسب سماوى).

الفصل الرابع

فى

مباحث منوعة خاصة بالنفس

(١) ماهية النفس (٢) ما المراد بالنفس وهل هناك فرق بين كلمتي روح ونفس (٣) علام تطلق كلمة نفس في الكتاب (٤) الفرق بين نفس الانسان ونفس الحيوان (٥) الفرق بين نفس الانسان والملاك (٦) ايهما يخلق أولا النفس أم الجسد؟ (٧) كيف تتولد النفس فى الجسد (٨) اين مقر النفس فى الجسد (٩) الم يؤخذ من قول الكتاب عن آدم (ان الله نفخ فى انفه) أن روح آدم من جوهر الله!

(١) ماهية النفس

لقد حد أحد الفلاسفة النفس بقوله (النفس جوهر حي غير جسم عالم منير لطيف متحرك بذاته خلق من بارئه ليرتبط بالجسم ويكمل به ويكمله).

وقال غيره (النفس فعل اول لجسد طبيعى ذى حياة بالقوة. فقوله (فعل اول) يعنى به أن النفس صورة الجسد الجوهرية. وقوله (لجسد طبيعى) يعنى به ان النفس هى التى تعطى الجسد صفاته وخواصه وقوله (لجسد ذى حياة بالقوة) يعنى به ان الجسد المرشح يقبل حياته من النفس. وقال آخر (ان النفس: مابه نحيا ونحس وندرك).

(٢) ما المراد بالنفس

ما المراد بالنفس وهل هناك فرق بين كلمتى روح ونفس ؟

إن للفظة نفس مرادين الاعم فى معانيها والاخص فالمراد بالاول هى المختصة بالبهائم العجم وهى ماتقوم به حياتها. ومن خواصها الحس والتمييز بالجسد البهيمى اتحادا تاما فانها تموت بموته وتفنى.

اما المراد باخص معانى النفس فهى الروح الخالدة القائمة بذاتها المجردة عن المادة القائم بها وجود بنى البشر عموما. وهى ذات قوى وصفات سامية كالعقلية والادبية والدينية تلك الصفات التي لا وجود لها الا في البشر وباتحادها بالجسد تنشئ حياة حيوانية فى الانسان أى حياة ناتجة عن اتحاد النفس البشرية بلحم الجسد ودمه.

(٣) علام تطلق كلمة نفس فى الكتاب؟

وتطلق كلمة نفس فى الكتاب بنوع اخص على النفس الناطقة (١) الخالدة التى تدبر جسم الانسان وتقبل الأوامر الربانية وتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح. ولها قدرة كاملة على اكتساب العلوم والمعارف واستنباط الصناعات والاختراعات.

وتطلق بنوع عام على جملة الانسان كقوله تعالى: تقطع تلك النفس من شعبها (تك ١٧: ٤).

---

(١) ان للانسان نطقين. أحدهما متلد من عقله دائم الحركة (الفكر) والثانى هو الذى تخدمه الآلة الجسمانية من الحنجرة وقصبة الرئة وسما الحلق وآلة التنفس واشياء اخرى يتم بها خدمة الصوت. وهذا هو اللفظ فقط. اما ذلك النطق الداخلى فهو دائم ذاتى لا فتور له.

ويراد بالنفس هنا الانسان الذي يعاقب بالقتل لمخالفته وصية ربه .

وتطلق ايضا على دم الحيوان كقوله تعالى: نفس كل جسد دمه (لا ١٧:١٤) لان الدم يشتمل على المبدأ الحيوى غير المادى في الحيوان. لان حياة كل بهيمة فى دمها ما دام الدم يدور فى الجسم . ومتى سفك وجف فارقته الحياة .

(٤) الفرق بين نفس الانسان ونفس الحيوان

إن الفرق بين نفس الانسان ونفس الحيوان هو أن نفس الانسان ليس منفيا عنها المادة فقط بل هى روحانية ايضا صادرة من الله راسا قائمة بنفسها فلا تفسد بفساد جسدها. واما نفس الحيوان وإن كانت غير مادية إلا انها ليست روحانية لانها صادرة بقوة جسمية ومستغرقة فى مادة الجسم استغراقا يجعلها عاجزة عن مباينة وجودها من دونه فتفسد بفساده . او بعبارة أوضح أن نفس الانسان لا تموت مع الجسد بل تصعد إلى فوق للمحاسبة وتقرير المصير إلى حاله لا تتغير (جا ٣:٢١) أما روح البهيمة فتنزل إلى أسفل الارض فتموت مع الجسد وتتلاشى عند الموت (جا ٣:٢١) ومن ثم شبه العلماء نفس البهيمة عند الموت بالشمعة إن انطفأت اما نفس الانسان فشبهوها عند الموت بشمعة رفعت من مصباح مظلم فتركته عديم الفائدة أما هى فازدادت نورا واشتعالا.

ويقال لنفس الحيوان (النفس الحساسة) أما نفس الانسان فيقال لها (النفس العاقلة) وهذا هو الفرق بين روح الانسان وروح البهيمة .

(٥) الفرق بين نفس الانسان و الملاك

لقد ذهب الفريق الاكبر من علماء اللاهوت إلى ان ارواح البشر والملائكة متحدة فى النوع. واثبتوا ذلك بان للملاك والروح البشرية غاية واحدة وهى الحصول على السعادة الأبدية. وان الفرق الحاصل بين الملاك والانسان ليس هو إلا من قبيل جسده لا من قبيل نفسه لان الملاك هو خليقة روحية مخلوقة لتكون عديمة الجسد. والنفس الناطقة هى خليقة روحية مخلوقة للاتحاد مع الجسد. فاذن لا فرق بين الملاك والانسان إلا من قبل الجسد.

وذهب الفريق الآخر إلى ان النفس احط من الملاك لاحتياجها إلى الجسم. قال القديس توما اللاهوتى (ان احتياج النفس إلى البدن إنما هو برهان على انها فى الوجود العقلى احط مرتبة من الملاك الذى لا يحتمل بجسم).

(٦) أيهما يخلق اولا النفس ام الجسد؟

زعم بعض العلماء أن النفس تخلق بعد البدن باربعين يوما. وقال غيرهم ان النفس والجسد يوجدان معا. اى متى صار الجسم صالحا للصورة الانسانية اضيفت اليه النفس واتحدا معا.

(ملاحظة) لقد اعتقدت فئة قليلة من العلماء ان النفوس ابدعت معا منذ بدء العالم اعتمادا على قول الكتاب: فاستراح الله فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمله الذى عمل (تك ٢:٢) وهو رأى باطل لان الله جل شانه مازال يعمل دائما باستمرار (يو ٥:١٧) ولم يكف فى اليوم السابع عن كل عمل بل كف عن ابداع أنواع جديدة فقط. اما النفوس التى تبدع الآن فقد وجدت بشبهها النوعى فى الاعمال الاولى التى فيها ابدعت نفس آدم.

(٧) كيف تتولد النفس في الجسد؟

نحن نعلم ان الله خلقنا واعطانا هذه الانفس ولكننا لا نعلم كيف دخلت اجسامنا واتحدت معها وكيف تحييها وتؤثر عليها (جا ١١:١) غير ان للعلماء رايين فى ذلك أحدهما ان نفس الانسان يخلقها الله من لا شئ ويودعها فى ذلك الجسم بقدرته الفائقة متى صار الجسم صالحا للصورة الانسانية لأن النفس جوهر مجرد فلا يجوز ان تصدر بالتوالد بل بالابداع فقط.

وقد أجمع على هذا الرأى الآباء القديسون كيرلس واثناسيوس واغريغوريوس بقولهم (ان الله تعالى وإن كان خلق مع آدم جميع الناس كما خلق النبات فى قوة البذر، والحيوانات فى قوة التناسل لأن الجميع كانوا بواحد محتوين ومن واحد يصدر الجميع من حيث الجسد.

أما من حيث النفوس الناطقة فانه تعالى يخلقها واحدة فواحدة حينما يتكون كل جسم. وليس انه يخرجها من لتلد منه ذلك الجسد).

وهذا الراى راجح للغاية ولا يعترض عليه الا الذين يقولون انه غير موافق لامتداد الخطيئة وفساد الطبيعة البشرية. لانه اذا كانت النفس تجئ توا من عند الله فلابد لها من انها خلقت بريئة فكيف اذن وجدت خاطئة والحال اننا ورثنا الخطيئة من آدم حين كان مشتملا علينا فى نفسه.

والرأى الآخر هو: ان النفس تصدر بالتولد لان الزرع الانسانى حى متنفس بالقوة لصدوره من جسم حى ذى نفس حية. وكما أن ذلك يحتوى على سائر أجزاء الجسم من لحم وعظم وشعر هكذا يحتوى

على النفس ايضا. ومن خلق النفس اصلا لا يعسر عليه ان ينسل النفوس من بعضها بطريق لا يدركها العقل البشرى.

وهذا الراى موافق للناموس العام. ان الحى يلد نظيره. غير ان الراى الأول أرجح.

(٨) اين مقر النفس فى الجسد؟

إن النفس متحدة بالجسد اتحادا روحيا وليس ماديا وذلك على سبيل ان كل جزء من الجسد توجد به النفس كلها دفعا لامكان التعدد الذى هو صفة من صفات الأجسام. غير انها تختص ببعض الأعضاء فتكون فى عضو من اعضاء الجسد (من حيث مفاعيلها الحيوية) أكثر من غيره كالدماغ والقلب. ومن ثم نجد انه متى اصيبت هذه الأعضاء بضرر فسدت الحياة وحل الموت.

قال القديس اغريغوريوس (ان النفس بسيطة وغير متجزئة. وهى موجودة فى الجسد كله وفى كل جزء من اجزائه جميعها بحيث انها تملأ كل عضو من اعضاء الجسد. ومع ذلك لا تشغل مكانا وهى وان كانت لا تتحرك فى الجسد غير انها تحمل الجسد كله وتحركه وتحييه وتصيره حاسا كما يتحقق ذلك بالموت حيث انه من بعد انفصال الروح من الجسد لم يلبث الجسد أن يعدم الحركة والحس والجمال وكل ماكان له من الخير).

وقال يوحنا فم الذهب (ان الروح الناطقة مع انها كلها موجودة فى كل جزء من جسم الانسان يقال عنها بنوع اخص انها موجودة فى الراس وذلك من حيث أن الراس هو الجزء الأشرف الذى به تظهر اعظم قوة الروح واشرف اعمالها).

وقال القديس اغسطينوس (إن النفس فى اى جسم وجدت كانت كلها

فى كله وكلها فى كل جزء منه).

(٩) الم يؤخذ من قول الكتاب عن آدم

(ان الله نفخ فى انفه) أن روح آدم من جوهر الله؟

أن قول الكتاب عن آدم ان الله نفخ فى أنفه نسمة حياة لا يدل مطلقا على ان روح آدم من جوهر الله لان معنى كون الله نفخ فى آدم نسمة حياة اى انه ابدع فى داخله روحه الحية الخالدة. وواضح ان الانسان متى نفخ نفخا جسمانيا لا يصدر شيئا من جوهره بل من طبيعة غريبة عنه.

الفصل الخامس

فى

الاعتراضات على وجود النفس والرد عليها

(١) يقول المعترضون لو كان للانسان نفس روحانية لما امتنعت تلك النفس عن الأفعال اللائقة بها فى أجسام الأطفال والمرضى.

الرد: ان سبب ذلك هو ضعف الآلة المختصة بفعلها وهو الجسم لان عمل النفس يكمل بكمال الجسم. وقد قال أحد العلماء الباحثين فى طبيعة النفس فى هذا الصدد مانصه (ان الجسم هو الآلة التى تستخدمها الروح لاغراضها كما يستخدم الميكانيكى الآلة البخارية لأغراضه. فاذا صلحت الآلة البخارية ساقها الميكانيكى أحسن سوق واذا فسدت بعض الفساد قادها على علاتها قيادة تناسب ماعرض لها من التلف وإذا عطبت كل العطب تركها حيث هى وانصرف عنها لشانه. فكما لا يقدح تلف بعض عدد الآلة البخارية أو عطبها كلها فى استقلال قائدها وسلامته التامة كذلك لا يقدح ضعف الجسد وعطبه فى استقلال الروح وكفاءتها التامة.

(٢) يقولون: (لو كانت النفس جوهرا غير مادى لما كانت تميل للامور المادية لان كل انفعالات الانسان انما هى صادرة من النفس.

الرد: انه وان كان للنفس بعض صفات جسدية الا أن ذلك لا يدل

على انها مادية محضة لأنه لم يكن سوى نتيجة طبيعية لاتحاد الجسد المادي بالنفس الروحية حيث انه لابد للاتحاد من ان يورث الاجزاء المتحدة صفات غير صفاتها الذاتية .

(٣) يقولون: ان الكتاب المقدس نفسه ينص على انه لا فرق بين روح الانسان والبهيمة حيث قال صاحب الجامعة : لان مايحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم موت هذا كموت ذاك ونسمة واحدة للكل فليس للانسان ميزة على البهيمة لان كليهما باطل يذهب كلاهما الى مكان واحد لان كلاهما من التراب والى التراب يعود كلاهما من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد الى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل الى اسفل الأرض (جا ٣:١٩-٢٢).

الرد: ان هذا النص الذي يحاول الماديون اثبات رأيهم الفاسد بالاستناد على ظاهره المغلوط لا يدل على مساواة روح الانسان لروح البهيمة مطلقا لأن مداره على الجسد الهيولي الذي يشترك فيه الانسان والحيوان معا.

اما قوله (حادثة واحدة لهما موت هذا كموت ذاك) فمعناه أن نهاية كل من الانسان والحيوان تظهر للعين البشرية كانها واحدة. لانه لا فرق بين هذا وذاك وقت الموت وان مايحدثه الموت من التغيير في جسد الواحد هو نفس مايحدثه في الآخر.

وقوله (كلاهما من التراب والى التراب يعود كلاهما) معناه ان الانسان والبهيمة متماثلان في مبدأ التكوين من جهة الجسد. لأن جميع الحيوانات صنعت من الأرض سواء. اما من جهة النفس فيختلفان لان نفس البهيمة تصدر بقوة جسمية بيد ان نفس الانسان

تصدر عن الله رأسا . ومن ثم قيل في الكتاب عن البهائم : لتخرج الأرض ذوات انفس حية كجنسها (تك ١:٢٤) أما عن الانسان فقيل ان الله : نفخ في انفه نسمة حياة (تك ٢:٧) والفرق شاسع والبون واسع بين معنى العبارتين اما قوله (من يعلم) فلا يدل على الشك والريب في حقيقة الواقع بل معناه أن الذين يتأملون في ذلك ويراعونه هم قليلون لانه لو راعى الناس هذه الحقيقة ومنحوها ماتستحقه من العناية لكانت حالتهم اسمى وأفضل مما هي عليه . وفضلا عن ذلك فقد اثبت كاتب هذا السفر عينه الفرق بين روح الانسان وروح البهيمة بعبارة واضحة جلية خالية من الابهام واللبس في نهاية سفره بقوله : فيرجع التراب الى الأرض كما كان وترجع الروح الى الله الذى أعطاها (جا ١٢:٧) .

(٤) يقولون أن العقل ليس نتيجة الروح ولكنه نتيجة مفرزات مخية مادية .

الرد : هذا الاعتراض باطل ولا صحة له . لانه وإن كان لا مشاحة بأن المخ هو عضو التفكير الذى لا يتأتى لأحد نكرانه إلا انه لا يمكن لمفرزاته ان تولد امورا حكيمة لا تمت إلى المادة بأى صلة كانت. وقد قال أحد علماء البيولوجيا (اى علم الحياة) في هذا الصدد مانصه (لقد ثبت أن في الانسان عنصرا مستقلا عن الحواس المادية فافتراض أن هذا العنصر النفساني الذى لا يرى ولا يلمس ولا يوزن خاصة من خواص المخ قول بلا دليل وتعقل متناقض كما لو قيل إن ملحا يستطيع ان ينتج سكرا) هذا فضلا عن أن علم الفيزولوجية نفسه اثبت بطلان هذا الزعم وفساده بأدلة

صحيحة مقنعة حيث كتب احد مشاهير الأطباء تحت عنوان صحة وجود الروح يدرس تاثير (الكلوروفورم) ماياتي:

(ان الاشخاص الواقعين تحت تاثير (البنج) لا تقتصر حالتهم على عدم الشعور بالالم بينما تمزق الالات انسجة اجسامهم وتقطعها وتعذبها. بل يحدث غالبا انهم يتاثرون بشعورات لطيفة ولذيذة بارواحهم وهي في هذه الحالة من النوم العميق. وهذه الظاهرة تدل علميا على وجود الروح لانه يتضح منها ان الروح والجسم ليسا شيئا واحدا وقد راينا ان الروح تستمر على التفكير بينما الجسم تحت تاثير (الكلوروفورم) خاضع لفعل الالات الحديدية).

(٥) يدعي الذين ينكرون النفس ان التفاوت الحاصل بين الانسان والحيوان نتج عن شكل دماغ الانسان لانه يخالف سائر ادمغة الحيوان بما يوجد فيه من الطيات الكثيرة التي هي مركز العقل.

الرد: وهذا الاعتراض فاسد من اساسه ايضا وقد اثبت علم (الفيسولوجيا) فساده كسابقه لانه لو كان شكل دماغ الانسان هو السبب في سمو عقله عن سائر الحيوان لكان الفرق بين اعلى حيوان بعد الانسان وادناه كالفرق بين أعلى حيوان والانسان. بيد ان الأمر على عكس ذلك والواقع خير دليل عليه (راجع البرهان الاول على حقيقة النفس ص ١٠٦).

(٦) يقولون أن النفس لا وجود لها لانه لو حلل الجسد تحليلا

كيماويا لما وجد فيه سوى النوشادر والكربونات وفسفات الصودا وكمية من الأملاح الثمينة.

الرد: هذا الاعتراض قد اخذ عن (بوشتر) الملحد الذي قال فى كتابه "المادة والقوة" (احسن شئ يمكن الانسان ان يتركه بعد وفاته هو كمية وافرة من فوسفات الكلس واملاح نادرة تجدى نفعا وتفيد فى تركيب قطع الجسد لاجل رخاء ورفاء الجنس البشرى) وهو قول وإن كان دل على شدة استهتار صاحبه بهذه العقيدة الصحيحة ومبلغ سخريته بالمعتقدين بها إلا انه قول فى منتهى حدود السخافة والحماقة. لان تحليل الجسم لا يكون عادة إلا بعد الموت ووقتئذ تكون النفس قد تركته اما قبل الموت فيحول دون رؤية النفس روحانية جوهرها الذى لا يقع تحت إدراك الحواس الجسدية.

المبحث الثاني

في

خلود النفس

تمهيد: لا يذهب على ذي مسكة من العقل ان الذين ينكرون روحانية النفس الانسانية لا شك ينكرون بالتبعية خلودها ايضا. لانهم بذلك الاعتقاد الباطل يكونون مستريحين في لذاتهم النجسة من غير لوم وتوبيخ كما انهم يرون فيه نجاة لهم من مسئولية رهيبة عتيدة ان تجابههم بعد مفارقتهم هذه الحياة.

قال العلامة بولين (خلود النفس قضية يترتب عليها نتائج مكدرة لطبعنا البشري ومطلبها خطير هو مصدر غصص واحزان عديدة بل أن هذه العقيدة تلقيني بما هو اعظم وافجع من ذلك وربما اصبحت صليبا موجعا مؤلما من المرارة) وقال ايضا (ان الاعتقاد بخلود النفس هو حارس يقظ بل هو صوت هاتف بكم. تقدموا الى الأمام سيروا في سبيل الامانة والتجرد. ازدروا بالميول والآلام الطبيعية ليكن جسدكم اسير ارواحكم وتذكروا أن لكم نفسا ولابد لكم من السعي في تخليصها).

وحيث أنه ثبت مما تقدم أن للانسان نفسا وأن الموت ليس هو الحد الفاصل بين الوجود والعدم فينتج بالبداهة ديمومة تلك النفس وخلودها اذ لا سبيل لفنائها وملاشاتها لا من جهة طبعها ولا من جهة خالقها أما من جهة طبعها فلانها خلقت غير قابلة للفساد. وأما من جهة خالقها فلأن فنائها مناف لحكمته وصلاحه وعدالته. وحيث أن النفس لا يلحقها الفناء والتلاشي لا من جهة

طبعها ولا من جهة خالقها فهي اذن ولا ريب خالدة .ويمكننا اثبات ذلك بالأدلة الكتابية والعقلية وشهادة العلماء. غير انه قبل ان نبدأ بايراد تلك الأدلة يجب ان ننبه الأذهان للاعتقاد بالحياة العتيدة انه فوق كونه صحيحا فهو نافع في هذه الحياة ومنتج اثمار الفضيلة والصلاح. وكفاه فخرا انه لا يسمح للناس بانحطاط أنفسهم الى درجة البهائم بتسليمها الى النجاسات اللحمية بل يعلمهم انهم ذوو روح مخلوقة على صورة الله ومثاله فينقبضون عن كل الشهوات البهيمية ناظرين الى علو شانهم وسمو مرتبتهم. أما جحود الحياة الأخيرة فضلا عن كونه باطلا فهو يدهور الحياة الحاضرة الى اقصى دركات الفساد والفحشاء وحسبه انه يشجع الناس على الامعان في ملاذ الحياة المحرمة واشباع حواسهم من اللهو والخلاعة. وفي ذلك من النتائج السيئة والعواقب الوخيمة على المجتمع الانساني مالا يجهله عاقل.

ولطالما اعمل الانسان فكرته في تعليل الأسباب التي تحمل البشر على فعل الشر والتمرغ في حماة الدعارة والخلاعة والدناءة واللؤم والخسة. ولكن السبب الحقيقي والمصدر الذي تخرج منه جميع أنواع الرذائل والافعال النجسة الفاسدة والبالوعة الفاغرة فاها التي تلطخ الجنس البشري باقذارها وأوحالها والينبوع السمي الذي يقتل الأنفس ويلقيها في جهنم انما هو الوهم الذي يوصف في قيوده القسم الأكبر من العالم ذلك الذي يخدع المصدقين به فيخيل لهم أن ألعوبة الحياة الانسانية تنتهي في الحال عند ما يرخي الموت سدوله وبعد ذلك لا يوجد شئ البتة.

الفصل الاول

فى

البراهين الكتابية

(١) قال ربنا يسوع المسيح: مات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن ابراهيم ومات الغنى ايضا ودفن فرفع عينيه إلى الهاوية وهو فى العذاب ورأى ابراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه فنادى وقال يا ابى ابراهيم ارحمنى (لو ١٦:٢٢).

وبهذا النبا المحقق أعلن جل شانه حادثة محيحة هامة جرت فى عالم الأرواح نسب فيها إلى انفس الموتى مالايصدق إلا على الأحياء. وبذلك دل على أن الأرواح لم تزل حية ولم يعتورها موت ولا فناء هذه الحياة.

(٢) وقال له المجد للص المائت: اليوم تكون معى فى الفردوس جوابا على قوله: اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك (لو ٢٣:٤٢) وبذلك حقق أن النفوس لا تموت بموت اجسادها بل تبقى حية بعد انفصالها عن الجسد وتدخل محل المجد والسعادة.

(٣) وقال أيضا: وأما من جهة قيامة الاموات أما قرأتم ماقيل لكم من قبل الله القائل أنا إله ابراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب ليس الله إله اموات بل إله أحياء (مت ٢٢:٣٠).

وبهذا القول أثبت أن الذين ماتوا فى هذا العالم إنما هم أحياء فى عالم آخر. لان الله ليس إله مجرد تراب ورماد بل إله ارواح حية خالدة.

(٤) وقال صاحب الرؤيا: ولما فتح الختم الخامس رأيت تحت

المذبح نفوس الذين قتلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم (رؤ ٦:٩) ومن هذه الرؤيا يستدل على ان نفوس الشهداء مستريحة حقا في محل المجد والسعادة بعد تضحية اجسادها من أجل كلمة الحق وهي لا تفتر عن تسبيح الخالق وتمجيده ليلا ونهارا.

(٥) وقال صاحب سفر الجامعة : فيرجع التراب إلى الارض كما كان وترجع الروح إلى الله الذي اعطاها (جا ١٢:٧) وبذلك اثبت ان الموت لا يحل سوى العناصر التي يتركب منها الجسم المادي فقط. أما الروح فتبقى خالدة حيث تعود الى الله الذي أعطاها (انظر ايضا يو ٣:١٥ و ٦:٥٤ و ١٠:٢٨ و ١٧:٢ ورو ٦:٢٣ و ١ كو ١٥:٥٣ و ٢ تي ١:١٠ وتي ١:٢ وعب ٥:٩ و١ يو ٢:٢٥).

الفصل الثانى

فى

البراهين العقلية

يستدل على خلود النفس وعدم موتها مما يأتى :-

(١) من طبيعتها

لقد ثبت من الادلة المتقدمه ان نفس الانسان بسيطة ، برجاله الصالحين وسائر مخلوقاته فقد منعه بعضهم منعا باتا لزعمهم ان القسم بالمخلوقات عادة وثنية إذ ينسب لها صدق منزه عن الخطا. وقد اجازه البعض الآخر بحجة ان القسم بالمخلوقات يعود على الخالق نفسه لان الله هو سيد الانسان ومولاه فتكريمه واحتقاره بالحلف يعودان عليه تعالى. فضلا عن الاعتراف بالقوة المنسوبة لجلاله بالحلف بالانسان او احد اعضائه. لان من حلف براسه مثلا تأييدا لشئ من الاشياء كانه يطلب من الله ان يحفظ تلك الراس اذا كان ما اقسم عليه حقا ، أو يبيدها اذا كان ما اقسم عليه كذبا. ومن ثم رجح كثير من العلماء أن منع ربنا من القسم برؤوسنا انما هو لعدم تعريضها للضرر فيما اذا كنا حانثين فى القسم بها.

الخلاصة

لقد ثبت مما تقدم أن الحلف وإن كان ممنوعا منعا باتا من جهة امورنا الشخصية والاجتماعية التى يتحتم علينا فيها أن

يكون كلامنا نعم نعم ايجابا ولا لا نفيا بلا قسم. إلا ان ذلك المنع لا يمس واجباتنا من جهة الحكومة والقضاء بل اذا أمر المسيحي بالقسم شرعا فله أن يقسم بكل وقار لا لكي يجبر نفسه على التكلم بالصدق بل لكى يقنع الآخرين انه صادق مع مراعاة الشروط التى سبق الكلام عليها .

الفصل الثالث

فى

(٤) فى الوصية الرابعة

"اذكر يوم السبت لتقدسه" (خر ٢٠:٨)

هذه هى الوصية الرابعة وهى ذات وجهين طبيعية وطقسية فتعتبر طبيعية لكونها فرضت على الانسان ليصرف وقتا معينا من الاسبوع فى عبادة الله عبادة جمهورية عامة. وتعتبر طقسية لكونها نسخت فى الشريعة الجديدة لتبديلها بيوم الاحد.

وقد امتازت هذه الوصية على كل ماسواها من الوصايا العشر بقوله تعالى فى مطلعها "اذكر" فدل بذلك على انها لم تكن وصية جديدة بل كانت قبل اعطاء الشريعة على جبل سيناء ثم تجددت وقتئذ كما يؤخذ من تحريم التقاط المن فى يوم السبت وذلك كان ولا شك قبل انزال الشريعة بوقت ما حيث قيل: "غدا عطلة سبت مقدس للرب" (خر ١٦:٢٣) لا بل أن وصية السبت يمتد زمانها الى ماهو أبعد من ذلك حيث تعين ذلك اليوم للحفظ والراحة والتقديس منذ خلقة الانسان وإن كانت بداية حفظه الرسمى منذ اعطاء الشريعة على جبل سيناء بدليل قول موسى عنه على اثر تكوين العالم: "وبارك الله اليوم السابع وقدسه لانه فيه استراح من جميع اعماله" (تك ٢:٣) غير ان بنى اسرائيل لما كانوا غير قادرين ايام مذلتهم فى مصر وتسخيرهم أن يستمروا على تقديس يوم السبت فمن ثم اعتبرت هذه الوصية جديدة بالنسبة إلى أحوالهم فقط.

وليس من ينكر أن يوم الراحة الاسبوعية جدير بالعناية والحفظ فى كل العصور والدهور الى نهاية العالم. لا لكونه من الفروض الآلهية فقط بل لانه من أجل مواهب الله وحسناته على الانسان لانه (١) موافق لطبيعة الانسان والحيوان التى هي فى اقصى حدود الحاجة الى الراحة من أعمالها المتواصلة. وكما أن راحة الليل ضرورية للانسان بعد تعب النهار كذلك الراحة الاسبوعية ضرورية له بعد تعب الاسبوع ومن ثم قال ربنا له المجد: "السبت انما جعل لأجل الانسان لا الانسان لاجل السبت" (مر ٢٧:٢) اى أن يوم الراحة الاسبوعية مع كونه يوم الرب ووجوب حفظه اطاعة لأمره تعالى ولاكرامه إلا أنه يعتبر يوم الانسان لانه تعين لسعادته وخيره وتقديسه جسدا وروحا (٢) لكونه من اجل الوسائل لحفظ شرائع الله وتذكير نواميسه المقدسة. ومن ثم حاول الكفرة والملحدون فى عصور مختلفة الغاءه وابطاله بكل وسيلة ممكنة ففشلوا ولم يفلحوا. وما فشل حادثة سنة ١٧٩٣ أيام الانقلاب الفرنسى التى كانت ترمي الى الغاء يوم الأحد إلا دليلا صحيحا على عدم امكانية الغاء يوم الراحة الذى عينه الله للانسان منذ خلقته.

اما مايستدعى زيادة الشرح والبيان فى هذه الوصية فهما أمران احدهما علة تبديل يوم السبت بالأحد والأدلة على ذلك. وثانيهما المقصود بتقديس يوم الاحد.

(١) علة تبديل يوم السبت بالأحد والادلة على ذلك

لقد تبدل يوم السبت بالاحد لان فيه قام المسيح من بين الأموات (مت ٢٨:١) ولهذا أوجبت الكنيسة حفظه وتقديسه وتعيينه

للعبادة ليذكر الانسان فيه حسنات الله العظمى التى افيضت عليه بغزارة فى ذلك اليوم العظيم وكما ان السبت اليهودى تعين ليكون مذكرا للانسان بحسنات الله عليه فى خلقة العالم وتكوينه، هكذا يوم الأحد فانه تعين ليذكر المؤمن بحسنات الله العظمى فى اصلاح العالم وتجديده. ولا يخفى أن يوم التجديد أدعى للحفظ والتذكرة من يوم الخلقة. لان حسنات الله ظهرت فى التجديد بمظهر اروع واعجب مما ظهرت به فى يوم الخلقة. فالاول حدث بمجرد الارادة والأمر . واما الآخر فتم بعد الجلد والصلب وسفك الدم ومن ثم كان بالتقديس والحفظ اولى واحق.

واذا كان يوم نجاة الاسرائيليين من عبودية مصر فرض عليهم حفظه وتكريمه طيلة قيام ذلك النظام ومن تعداه وقع تحت طائلة العقاب. ويوم تحرير اى بلد من الاستعباد والاستعمار يستحق من ذويه كل اجلال واكبار بل يعد خائنا للوطن من لم يراع حرمته فما بالك بيوم القيامة المعظمة وهو يوم الاطلاق والحرية الحقة اليس هو جديرا بالحفظ والتقديس لمن اسبغت عليهم خيراته وتمتعوا بغزارة بركاته! ان العرف فضلا عن الكتاب يوجب ذلك علينا ويحتمه.

ولم تكرم الكنيسة يوم الأحد وتامر بحفظه لقيامة الرب فيه بل لانه :-

(١) دخل فيه له المجد مدينة أورشليم منتصرا باسطا رواق ملكه الالهى على سائر الشعوب والقبائل.

(٢) ظهر فيه يوم قيامته المجيدة ست مرات لتلاميذه ومؤمنيه محققا لهم قيامته وانتصاره على الموت والجحيم.

(٣) ظهر فيه لتوما تلميذه ليزيل من قلبه كل شك وريب من جهة قيامته المعظمة.

(٤) حل فيه الروح القدس على التلاميذ وملأهم قوة وحكمة.

(٥) وضع فيه الحجر الاول لتشييد صرح الكنيسة المجيد حيث آمن فيه ثلاثة آلاف نفس دفعة واحدة واعتمدوا من يد الهيئة الرسولية في نفس ذلك اليوم العظيم.

(٦) واذا صح التقليد القائل إن المسيح له المجد ولد فى يوم الأحد كان ميلاده وختانه وعماده فى يوم الاحد ايضا.

(٧) لأن الكتاب يسمى هذا اليوم المقدس بيوم الرب حيث قيل عنه فى سفر الرؤيا: "كنت بالروح فى يوم الرب" (رؤ ١:١٠) والمقصود بيوم الرب هنا يوم الاحد حسبما ورد فى الترجمات القبطية واللاتينية والسريانية حيث قيل فى الأولى (كنت بالروح فى يوم ذلك الاحد) وقيل فى الثانية والثالثة (صرت بالروح فى يوم الأحد).

(٨) لأن التلاميذ اتفقوا على حفظه وتعيينه للعبادة منذ قيامة الرب (يو ٢٠:١٩و٢٦)(١) كما انهم جعلوه يوم جمع الاحسان للفقراء. فلو لم يكن يوم الأحد يوم الاجتماع العام لما ناسب ان يكون يوما لذلك الجمع. قال بولس الرسول فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس: وأما من جهة الجمع لأجل القديسين فكما أوصيت كنائس غلاطية هكذا افعلوا أنتم أيضا في أول كل أسبوع

---

(١) قد أصدر الملك قسطنطين امره سنة ٣٢١ م بان يستريح المسيحيون من كافة أعمالهم فى ذلك اليوم.

(أو فى كل يوم احد) كما ورد فى الترجمة اللاتينية والسريانية . ليضع كل واحد منكم عنده خازنا ما تيسر حتى اذا جئت لا يكون جمع حينئذ (١ كو ١٦: ١).

وقد اجمع علماء الكتاب المقدس فى شرح هذه الآية على ان المؤمنين كانوا يجتمعون يوم الاحد لمباشرة الأسرار الالهية فرأى الرسول موافقا ان تجمع الصدقات فى هذا اليوم فصار ذلك عادة فى الكنيسة . ولما بطلت هذه العادة فى كنيسة القسطنطينية أعادها فم الذهب وخطب بهذا الشان خطبته الشهيرة على الصدقة والاحسان بناء على أن جمع الصدقة فى يوم الاحد مناسب بغاية مايكون من حيث أن الله خلق السموات والأرض فى يوم الأحد ولما دثر العالم وباد جدده المسيح واصلحه بقيامته فى هذا اليوم فمن ثم كان أولى بالمؤمنين ان يصنعوا الرحمة والصدقة فى هذا اليوم ذكرا لما نالوه فيه من فضل الله ورحمته (١).

وفضلا عن ذلك فقد جاء فى قوانين الرسل مايؤيد نقض السبت وحفظ الاحد حيث قيل "يجب أن يجتمع المسيحيون فى كل يوم أحد ثلاث ساعات من النهار للصلاة وقراءة الكتب العتيقة والحديثة وتقريب القربان لان فيه بشر الملاك مريم بحمل المسيح وفيه قام من الاموات وفيه ينزل يوم القيامة مع ملائكته فى مجده العظيم ويجلس مع تلاميذه ليدين الأحياء والأموات" وقيل أيضا "لا يجب على النصارى ان يبطلوا يوم السبت مثل اليهود بل يعملوا فى

---

(١) تيسير الوسائل فى تفسير الرسائل.

ذلك اليوم كالنصارى واذا وجد قوم فى أعمال اليهود فانهم يكونون مطرودين من وجه المسيح".

(٢) المقصود بتقديس يوم الاحد

اما المقصود بتقديس يوم الأحد فهو أمران احدهما سلبى والآخر ايجابى.

فالسلبى يتضمن ترك مباشرة الحرف والصنائع والبيع والشراء والتنزهات الدنياوية وسائر الأعمال الغير الضرورية.

اما الايجابى فيتضمن الأعمال التى توافق الغاية التى وضع لها هذا اليوم المقدس وهى مجد الله وخير الانسان. وتلك تحتوى على الأعمال الآتية :- (١) أعمال العبادة (٢) المحبة (٣) الضرورة

١ - أعمال العبادة : يجب على كل مؤمن مميز ان يتفرغ فى يوم الاحد للامور الالهية واهمها حضور القداس، وسماع الوعظ، والتناول من جسد الرب ودمه، والقيام بسائر أنواع العبادة الجمهورية ولا سيما تهذيب ابنائه وحثهم على حفظ وصايا الله ونواميسه المقدسة. ومن ثم أستنتج علماء الناموس من قرن وصية حفظ السبت باكرام الوالدين كما جاء فى (لا ١٩:٣) أن فى السبت المقدس أحسن الفرص للوالدين لتعليم أولادهم وتدريبهم وحثهم على محبة الله وطاعته واكرامه. وإلا أثم الوالدون اثما مميتا مالم يكن هناك عذر مقبول فى اهمالهم هذا الواجب المقدس كعدم الحرية فى العمل والمرض والهزال وأمثال ذلك.

٢ - أعمال المحبة : أما أعمال المحبة فهى عيادة المرضى واعانتهم واسعافهم بحاجتهم وزيارة المحبوسين ومواساة الحزانى وافتقاد الايتام والارامل، واجراء الصلح والسلام بين

المتخاصمين وايقاظ المتغافلين عن واجباتهم الدينية والى غير ذلك من اعمال المحبة الجليل ذكرها والتى يكرم بها يوم الاحد ويتقدس.

٣ - أعمال الضرورة : وهى ضرورة الانسان وضرورة غيره كسفر المريض من مكان الى آخر طالبا للاستشفاء. وتجهيز الطعام واعداده (خر ١٢:١٦) وتخييط أكفان الميت وصنع تابوته وحمله ودفنه. والهرب من العدو. والمدافعة عن النفس. واطفاء نيران الحريق. وحل المواشى وسقيها. واصلاح الطرق العامة اذا كان تأجيل اصلاحها مما يلحق بالجمهور ضررا. والى غير ذلك من الأعمال الضرورية. لأن الأحد كما قال ربنا له المجد قد فرض لأجل الانسان ولخيره لا لأجل ضرره واذيته. كما انه وضع لأجل تقدم صالحه الضرورى لا لأجل منعه عن السعى المفيد الذى يؤول لخير نفسه الحقيقى.

وبالاجمال أن وصية الأحد لا تنهى عن اجراء عمل فيه خير للانسان مطلقا. ولا تلزمه الا بما يستصوبه العقل السليم وما يوافق الحكمة الصحيحة. ومن ثم أباح ربنا له المجد الأعمال الضرورية اللازمة للانسان فى يوم السبت بقوله للذين اعترضوا عليه لشفائه المرأة المنحنية فى يوم السبت: "ألا يحل كل واحد منكم فى السبت ثوره او حماره من المذود ويمضى به ويسقيه. وهذه وهى ابنة ابراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة اما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم السبت" (لو ١٣:١٥).

وقد كان لليهود فى يوم السبت أن يسقوا الارض الظامئة ويحفروا مجارى للمياه ويصلحوا القنوات والحياض والطرق وسائر

الأعمال الضرورية للحياة. وقد وضع أنحتهم مبدأ لذلك وهو (السبت دفع الى يدك لا انت دفعت ليد السبت) وهو يوافق قول ربنا له المجد: السبت انما جعل لأجل الانسان لا الانسان لأجل السبت (مر ٢:٢٧).

وصايا اللوح الثانى

وهى

المتعلقة بالانسان

تمهيد: هذه الوصايا الست تتضمن واجباتنا من نحو أنفسنا ومن نحو الواحد للآخر بعضنا لبعض. ومن ثم تعتبر شرحا للوصية الثانية العظمى القائلة (تحب(١) قريبك كنفسك).

وقد رتبت هذه الوصايا بحسب أهميتها وجسامة الخطايا وفظاعتها. فخطيئة اهانة الوالدين شر من خطيئة القتل. وخطيئة القتل أفظع من خطيئة الزنى، وخطيئة الزنى أقبح من خطيئة السرقة. ذلك لأن السرقة تتعلق بالخيرات الزمنية. والزنى يؤدى الى الريب فى صحة النسل. أما القتل فيهدم الحياة بعد وجودها وهو شر من الخطيئتين الأولى والثانية.

هذا من جهة جسامة الخطايا الناتجة من مخالفة هذه الوصايا. أما من جهة أهميتها فلأنه كما أن الله تعالى هو المبدأ العام لوجود الجميع كذلك الأب هو مبدأ ما، لوجود الابن. ولهذا كان من الصواب ايراد الوصية المتعلقة بالآباء بعد الوصايا المتعلقة بالله جل شانه.

---

(١) المراد بالقريب كل الناس من اية ملة كانوا.

الفصل الرابع

فى

(٥) الوصية الخامسة

"اكرم اباك وأمك" (خر ٢٠:١٢).

إن هذه الوصية تتضمن أمرين عظيمين أحدهما مايجب على الأبناء لآبائهم. والآخر مايجب على الانسان لقريبه أى كل ماعلى الانسان لغيره من الناس.

وقد امتازت هذه الوصية بأهمية خاصة فى نظر الله سبحانه وتعالى ومن ثم وعد الذين يحفظونها بوعد أرضى فضلا عن الوعد السمائى وهو طيلة الحياة ورغد العيش بقوله: "أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الارض التى يعطيك الرب إلهك" (خر ٢٠:١٢).

قال القديس توما اللاهوتى "ووجه المناسبة بين هذا نعيم القيامة العتيدة. ومن ثم قال بولس الرسول: فان لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل ايضا ايمانكم. وان كان لنا فى هذه الحياة فقط رجاء فى المسيح فاننا اشقى جميع الناس (١ كو ١٥:١٣-١٥) اى أن المسيحيين يؤمنون بالمسيح ويحتملون الضيق والاضطهاد من أجله رجاء أنه حى وانهم سيكونون معه بعد الموت ولكن اذا كان المسيح لم يقم فيكون ايمانهم به بلا جدوى لانهم القوا رجاء نجاتهم من الموت على من لم يستطع ان ينجى نفسه. وبذلك يكونون قد عرضوا أنفسهم لبغض العالم فى هذه الحياة واعدوها للشقاء والضيق فى الحياة العتيدة.

وحيث أن خلود النفس ومعاد الجسد وثواب الابرار وعقاب الأشرار عقائد مرتبط كل منها بالآخر ومتى ثبت أحدها ثبت الجميع.

وحيث انه باثباتنا فيما مضى وجود النفس وخلودها ثبتت معه بالطبيعة القيامة العامة ايضا واصبحت تلك العقيدة في غير حاجة للتدليل عليها إلا انه لما كان لهذا المبحث خطورته واهميته وجب ايضاح المسائل الآتية ايضاحا وافيا لشدة مساسها به وهي:

(١) أشهر منكرى القيامة في العهدين القديم والجديد.

(٢) الادلة الكتابية على حقيقة القيامة.

(٣) كيفية اعادة الأجساد بعد فنائها.

(٤) الدينونة والديان وقيام البشر عامة اخيارا كانوا ام اشرارا.

(٥) علة تاخير قيامة الأجساد الى انقضاء العالم.

(٦) خلود عذاب الأشرار وعدم مخالفته للعدل الالهي.

(٧) طبيعة نار جهنم وعلة عدم قدرتها على فناء الأجسام المعذبة.

(٨) كيفية تاثير النار على الأرواح وهي ليست هيولية.

(٩) نعيم الابرار وكيفية رؤيتهم الجلال الالهي وتفاوت درجاتهم.

(١٠) مدة (وليمة) الألف السنة.

(١١) مجئ يوم الرب. والمسيح الدجال.

{المسألة الأولى}

فى

اشهر منكرى القيامة فى العهدين

القديم والجديد

ان اشهر من أنكروا القيامة وخلود النفس فى العهد القديم أي قبل مجئ المسيح (١) الأبيقوريون (٢) الرواقيون (٣) الصدوقيون.

(١) الابيقوريون: هم اتباع ابيقوريوس وهو فيلسوف يونانى ولد فى جزيرة ساموس سنة ٣٤٢ ق.م. اقام باثينا مدة طويلة ومات فيها سنة ٢٧٠ ق.م. وأوصى بأن يكون بيته وبستانه بعد موته مدرسة لفلسفته ولذلك كثيرا مادعى اتباعه بالبستانيين.

ومن فلسفته. أن فى الوجود آلهة لكنهم بعيدون عن العالم لا يبالون بأحزان الناس ولا بآثامهم ولا بشئ من سائر أعمالهم كأنهم اعدام. وان الآلهة فى راحة تامة لا يحتاجون الى قرابين الناس ولا يسمعون صلواتهم. وأن المادة أزلية نظمت ورتبت اتفاقا. وان اللذة غاية الانسان العظمى. وان للانسان أن يتبع ماشاء من الشهوات مالم ينشأ عنها ألم. وان لا حياة سوى الحياة الدنيا. فلا خوف من حساب ولا عقاب وأن النفس مادة كالجسد تموت بموته.

(٢) الرواقيون: هم اتباع زينو وهو فيلسوف يونانى ولد فى قبرص سنة ٣٥٠ ق.م. علم فى أثينا ٥٨ سنة وانتحر سنة ٢٥٨ ق.م. وكان يعلم تلاميذه فى رواق مزين بالصور ولذلك دعى اتباعه بالرواقيين. والحكمة عنده هى أن لا يتأثر الانسان بشئ من

الحوادث مفرحا أو محزنا. وأن يتحلى مهما حدث من لذة او الم بالطمأنينة. وان الدين الحق يقوم بعدم الاكتراث بالانفعالات. وكان مؤمنا بالله لكنه لم يميز بين الله والعالم. اذ العالم والله عنده شئ واحد. وان كل شئ بقضاء وقدر على الله والعالم سواء. وأن النفوس تعود أخيرا الى الله اصلها وتفنى فيه.

(٣) الصدوقيون: هم نسبة الى صدوق رئيسهم. وكانت ديانتهم ديانة الشكوك والكفر واعتماد المبادىء العقلية ولذلك رفضوا التقاليد وبعض أسفار العهد القديم. وأنكروا القيامة وخلود النفس ووجود الملائكة.

منكرو القيامة في العهد الجديد

ان أشهر من انكروا القيامة في العهد الجديد اى بعد التجسد هما (١) سيمون الساحر (٢) كرينتوس.

(١) سيمون: كان هذا الرجل ساحرا يدهش الناس ويحيرهم بقوة سحره. وادعى انه ابن الله وروح والفارقليط فتبعه اناس كثيرون واقاموا له تمثالا في رومة واكرموه كرامة جزيلة. غير انه ما لبث أن ظهر غشه وخبثه وذلك انه رام أن يصعد إلى السماء بقوة سحره. فجمع أهل المدينة لينظروا صعوده ودعا شياطين سحره ليرفعوه من الارض ثم اخذ يرتقي إلى السحب وكان بطرس الرسول واقفا وقتئذ فلما رأى ذلك صلى إلى الله وطلب منه أن يخزي قوة ابليس فسقط سيمون للحال وانكسر ساقاه فنقل إلى بيت قريب من هناك ولفرط خجله طرح نفسه من على السطح فوقع ميتا.

(٢) كرينتوس: كان هذا الرجل ضالا خداعا مبتدعا وكان يؤول

ماقاله الانبياء فى شان سعادة الكنيسة وعهد ناموس المسيح إلى نعيم ارضى ولذة جسدية .

{المسألة الثانية}

فى

الادلة الكتابية على حقيقة القيامة

لم تدع النصوص الآلهية أقل ريب او شك فى نفوس المؤمنين من جهة قيامة الاجساد للحساب والدينونة . بل تكلمت عنها بايضاح واف وصراحة مستفيضة . فقد قال ربنا له المجد : لا تتعجبوا من هذا فانه تأتى ساعة فيهايسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة (يو ٥:٢٨) وقال تفنيدا لزعم الصدوقيين الذين يقولون انه لا قيامة : تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لانهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله (مت ٢٢:٢٩) وقال ايضا : متى جاء ابن الانسان فى مجده فحينئذ يجلس على كرسى مجده ويجمع امامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء (مت ٢٥:٣٤) وقال بولس الرسول : هو ذا سر أقوله لكم لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الأخير فانه سيبوق فيقام الأموات عديمى فساد ونحن نتغير (٢ كو ١٥:٥٢) وقال ايضا : لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون اولا (١ تس ٤:١٦) وقال صاحب الرؤيا : ورايت الأموات صغارا وكبارا واقفين امام الله وانفتحت اسفار وانفتح سفر آخر هو سفر

الحياة ودين الاموات مما هو مكتوب فى الاسفار بحسب اعمالهم وسلم البحر الاموات الذين فيه وسلم الموت والهاوية الاموات الذين فيهما ودينوا كل واحد بحسب اعماله (رؤ ٢٠: ١٣ وجا ١٢: ١٤ وحز ٣٧: ١-١٠).

وعدا ذلك فان المجامع المسكونية قد ايدت هذه العقيدة واثبتتها وامرت المؤمنين ان ينشدوا مرتلين بها فى سائر طقوس العبادة قائلين (ننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى).

{المسألة الثالثة}

فى

كيفية اعادة الاجساد بعد فنائها

يقول الذين يقيسون الأمور بمقياس قوتهم الضعيفة لا بمقياس قوة الله الضابطة لكل ذرات الطبيعة. كيف تقوم الموتى وباى قوة يعودون إلى الحياة وقد تحللت أجسادهم إلى عناصرها الأولى فاختلط بعضها بالهواء وبعضها بالماء وبعضها بالتراب وتحول بعضها إلى حيوان وبعضها إلى عصارة فى الياف الاشجار النابتة على قبورهم فامتزجت بها امتزاجا تاما.

نعم أن إقامة الموتى الذين تطورت أجسادهم بهذه الحال من آدم إلى آخر إنسان يموت هى بلا شك أسرار يعجز العقل البشرى عن فهمها عجزا كاملا ليس لسموها فى نفسها فقط بل لأن كلام الكتاب فيها غير مستوف واللغة البشرية قاصرة عن إيضاح أسرارها أكمل ايضاح. ولكن لا يصح القول بلزوم رفضها لسبب صعوبة فهمها إذ أن القوة التى أبدعت تلك الاجسام فاحسنت صنعها لا تعدم وسيلة فعالة فى جمع اجزائها الدقيقة ولو تدخلت

مرارا فى اجسام منوعة لان هذا التدخل ليس جوهريا بل عرضيا وما مثله إلا كمثل جملة معادن مختلطة فى سبيكة واحدة . فكما انه يسهل على الكيمائى الماهر استخراج كل معدن من هذه السبيكة على حدة مهما اختلط بالآخر والتحم هكذا يسهل ايضا على الخالق الحكيم ذى القدرة المطلقة الفائقة استخراج كل جزء من اى جسم كان مهما اختلط بغيره وامتزج. لا سيما وان للانسان جوهرا يظل حيا وان تفرقت دقائق الحياة الى عناصرها الأولى وتحولت الحياة التى فيه الى حياة غيرها فى كائنات اخرى. اى أن كل جزء من الاجزاء التى تركب منها الجسد لا يزال فى الوجود ولكن بشكل آخر وعنصر آخر.

وبما ان الأجزاء الاصلية - مازالت باقية - فهى إذن خالدة ولم تتلاش. وبالتالى ممكن جمعها لأن الموت عند التحقيق ليس سوى تغيير بسيط فى مظاهر الحياة الدائمة أو هو حادثة تطرأ على الحياة فتحولها من حال إلى حال. أما الذين يتوهمون ان الموت هو انقراض يؤدى بحياة الانسان ويصيرها كانها لم تكن فقد ضلوا سواء السبيل قال القديس اغسطينوس (وإن أمكن الله ان يؤتى الحبة بواسطة العناصر من بعد موتها فى الارض جرما لم يكن فيها قبلا فاولى ان يستطيع أن يعيد فى القيامة ما كان فى جسد الانسان).

ولقد كان فى بدء المسيحية نفر من غير المؤمنين ينكرون القيامة ويعدونها ضربا من المحال لصيرورة الموتى رفاتا باليا وغبارا منثورا فانيا. بقولهم: كيف يقام الاموات وبأى جسم يأتون (١ كو ١٥:٣٥) فرد عليهم بولس الرسول بأن ذلك يكون

بالقدرة الالهية التى تستطيع كل شئ ولا يعسر عليها شئ.

ولتقريب فهم السائل عن هذا الموضوع وجه نظره لأمر مألوف لديه يحدث امامه بتواتر فى نبات المزروعات بقوله (ياغبى الذى تزرعه لا يحيا ان لم يمت) (١ كو ١٥: ٣٦) اى ان كان الزرع الذى تزرعه أنت ايها الانسان وتباشره بنفسك يوميا لا يعيش الا بعد أن يكون قد مات وفسد فى التراب وهذا بحسب الطبيعة لا أعجوبة فيه فكيف لا تقوم الموتى بالقدرة الفائقة الطبيعة ولو عراها البلى والفساد. لا بل ان فسادها هو استحضار لها لان تقوم كما أن فساد الزرع هو استحضار له لان يعيش.

وبما أن الزرع لا يعيش ان لم يمت كذلك جسم الانسان ان لم يمت فلا يقوم فى اليوم الأخير.

قال القديس باسليوس الكبير (لا تقل ان القيامة مستحيلة نظرا لتبدد ذرات الجسد لان ذلك ليس بعسير على الخالق القدير. فانك اذا افرغت الزئبق من وعائه على الأرض فانه يتفرق الى اجزاء صغيرة لم تفتا تدور وتتدحرج من هنا وهنالك ولكن اذا سهلت لها الطريق عاد كل جزء الى صاحبه من ذاته والتحم به هكذا جسم الانسان فانه متى أمر الله برجوعه بعد تفرق عناصره عاد كل جزء من أجزائه الى صاحبه بما وضع الحكيم القدير من الجاذبية التى بها تجتمع تلك الدقائق وتلتحم ببعضها. فاذا كان الجسم الأول صار الى الحيوان الذى يأكل اللحوم أو الطيور او الأسماك أو انتقل الى البحار او صار رمادا فى النار او غازا فى الهواء فان ذلك جميعه لم يخرج من جملة العالم.

والعالم كله في يد الله مضبوط فان كنت انت لا تجهل مافي كفك فأحرى بالله ان لا يجهل مافي هذا الكون وهو في نظره لا يزيد عن حجم كفك إن لم يكن اقل).

فلنثق إذن تمام الثقة بأن اجسادنا وان تبددت ذراتها وتدخلت في اجسام لا عدد لها إلا انها هي التي تقوم في اليوم الأخير لا غيرها شبيها بها. لأن القيامة لا تكون قيامة حقيقية إلا بقيام ذلك الجسد الذي سقط بالموت نفسه وان الرجوع الى الحياة لا يكون رجوعا حقيقيا إلا برجوع ذلك الجسد المائت عينه. وإلا لو كان الجسد الذي يقوم غير الذي يموت لكان أحرى بذلك ان يقال له خلقا وتكوينا لا قيامة ونشورا.

وانه لمن الضروري حقا ان يقوم الجسد المائت نفسه الذي كان مشاركا للنفس بكلا الأفعال الصالحة والطالحة لكي يقتبل مع النفس إما الأجر والثواب وإما العقاب والعذاب لأن غيره لا يستحق عقابا ولا ثوابا. على انه وإن كانت اجسادنا هذه نفسها هي التي تقوم لا غيرها شبيها بها ولكننا لا نحتاج إلى القطع بوحدة الدقائق الجسدية لانها ليست بضرورية لبقاء وحدة اجسادنا فان تلك الوحدة تتوقف على الوحدة الروحية الشخصية. فوحدة اليد مثلا في وقتين من اوقات الحياة لا تتوقف على دوام مادتها نفسها بل ببقاء نسبتها الى الروح نفسها.

اما الامتياز الذي تمتاز به اجساد الناس بعد القيامة عن حالتها وهي في هذا العالم فهو انها تموت وتدفن في الارض وهي فاسدة فتقوم بغير فساد ولا فناء. تموت بهوان وذل وتقوم بمجد وشرف. تموت بضعف ووهن ثم تقوم بقوة وعزة. تموت وهي حيوانية

محتاجة الى القوت والمعيشة ثقيلة ضخمة فتقوم ولا شئ فيها من ذلك. وليس هذا فقط بل تقوم بحال اشرف واكمل مما كانت عليه وهي في هذا العالم. فمن كان أعمى او أعور أو اعرج أو أخرس او أصم ففي القيامة يقوم صحيحا سالما متصفا بكل كمال. لان الله يتمم في القيامة نقص طبيعتنا وفسادها. وكذلك من كسرت عظامهم أو افترستها الوحوش أو احرقت بالنار فانها لا تهلك البتة لانه تعالى يحفظها جميعها بحفظ عنايته الغير المتناهية بل أنها تصلح جميعا وتتشرف بمجد القيامة.

ومن ثم قال بولس الرسول: هكذا قيامة الاموات يزرع في فساد ويقام في عدم فساد يزرع في هوان ويقام في مجد يزرع في ضعف ويقام في قوة يزرع جسما حيوانيا ويقام جسما روحيا (١ كو ١٥:٤٢) أي انه يكون متصفا بقوى ومزايا لا نقدر أن نفهمها في هذه الحياة.

نعم وان كان قد بقى في جسد ربنا بعد قيامته جروح المسامير والحربة وكان يتراءى للتلاميذ بلون جسده الذي مات فيه الا ان اجسادنا نحن لا تبقى فيها آثار جروح وطعنات ولا عيب آخر. لان ربنا ابقى هذه الأشياء في جسده ليبين بها أن الجسد الذي صلب هو الذي قام فقط.

والخلاصة: أن القيامة عقيدة حقة صحيحة لم تؤيدها النصوص الآلهية فحسب بل غريزة الانسان أيضا. لانه يستحيل على الخالق أن يكون مع حكمته الآلهية قد خلق هذا الانسان وزينه بالعقل والحكمة لكي يقذف به بعد سنين معدودة في ظلمة الارض ليكون طعاما للديدان والحشرات كاخس الدواب وأدناها. كما انه ليس

فـي الحياة أسوأ على الانسان من أن يعتقد أنه نوع من الحيوان يعيش ويموت مثله لأن هذا الاعتقاد فوق كونه يهين الانسان اهانة فادحة فهو في منتهى حدود الاهانة لحكمة الخلق وفطنته .

اما الذين يلجأون الى الكفر بسبب بعض الأمور التي يتعذر توفيقها مع عقائد الايمان فلا نرى في تبرئتهم من الضلال وجها لأنهم لو استشاروا الصواب وأمعنوا النظر في اقوال الكتاب لأقلعوا عن مجاراة أهوائهم السخيفة وهجروا أوهامهم الباطلة وتأنوا في أحكامهم على طريقة تؤدي بهم الى معرفة الحق والصواب.

قال يوحنا فم الذهب (ان الله أخرج من الارض الخالية من النفس والفاقدة الحس أجناسا هذا مقدارها من النباتات والحيوانات الغير الناطقة ليقودك لمعرفة القيامة ويسهل عليك التصديق بها لأن هذه أغرب من أمر القيامة وأعجب اذ لا يمكن ان يستوى من يوجد النار حيث لم تكن موجودة مع من يضئ السراج اذا انطفأ. كما أنه لا يستوى من يعيد بناء بيت متهدم بأنقاضه مع من يوجد بيتا لم يكن موجودا. نعم وان كان في القيامة لا يوجد سوى المادة مختلطة وممتزجة ببعضها ولكن في بدء الخليقة كان الجوهر نفسه منعدما. ومن استطاع ان يفعل الاصعب لا يعجزه الاسهل. ثم ختم كلامه بقوله (واذ لم يكن هنالك قيامة فيكون الانسان احقر من الأشياء التي خلقت لأجله. لأن السماء والأرض والبحر أبقى منه وأثبت. وبعض الحيوانات الخسيسة كالغربان والأفيال أطول منه عمرا واقل هما وغما. وهل في شرعة الانصاف أن يكون العبد خيرا من سيده! فحسبك أن تقبل ذلك بالايمان

الثابت والرجاء الوطيد. ولا تتخذ من جهلك الأمور دليلا على عجز الخالق وضعفه لانك اذا قدرت أن تفحص كل اموره وتعرفها كنت معادلا له وذلك ممتنع مستحيل).

{المسالة الرابعة}

فى

الدينونة والديان وقيام البشر عامة

اخيارا كانوا ام اشرارا

لقد ثبت من الكتاب المقدس ان الدينونة حادثة حقيقية معينة تحدث فى يوم مجهول لدى الجميع قد رسمه الله منذ الأزل وحده ليقضى فيه منتقما من الاشرار الظالمين ومنتصرا للابرار المظلومين.

غير أن ذلك اليوم الرهيب وان كان مجهولا لدى الملائكة والبشر معا (مر ١٣:٣٢) الا أنه سوف يكون وتراه سائر العيون. قال صاحب الرؤيا عن مجئ ربنا الذى يكون طبيعيا ملازما لذلك اليوم العظيم: هو ذا يأتى مع السحاب وستنظره كل عين (رؤ ١:٧) وقال أيضا: ثم رأيت عرشا عظيما ابيض والجالس عليه الذى هو من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع ورأيت الأموات صغارا وكبارا واقفين امام الله وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الأموات مما هو مكتوب فى الأسفار بحسب أعمالهم وسلم البحر الأموات الذين فيه وسلم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما ودينوا كل واحد بحسب اعماله (رؤ ٢٠:١١-١٤).

أما الديان فهو الله نفسه ربنا يسوع المسيح بدليل ماجاء

عنه في الانجيل المقدس حيث قيل: واعطاه سلطانا ان يدين لانه ابن الانسان (يو ٥:٢٧) وذلك لانه من هذه الجهة هو قابل لان يحكم على البشريين بنوع الحكم الموافق لطبيعتهم. فالحكم لكي يكون موافقا لطبيعة البشر لابد له من ان يكون محسوسا نظرا وسمعا لكي يستطيع المحكوم عليهم أن ينظروا وجه الحاكم ويسمعوا صوته وتقرع آذانهم القضية التي ينطق بها نحوهم والحال ان هذا يخص ابن الله من حيث هو انسان فمن ثم نظرا الى هذه الحيثية نفسها اختص بسلطان الحكم اى لانه ابن البشر. وبحسب هذا المعنى ينبغي لنا ان نفهم قوله تعالى (ان الآب لا يدين احدا وان سلطان الحكم ينسب للابن فقط) اى سلطان الحكم الحسي. لان مثل هذا السلطان لا ينسب الا لاقنوم محسوس. وواضح انه ليس اقنوم محسوس سوى اقنوم الابن الذى صار جسدا ومن ثم صار محسوسا. فاذن سلطان الحكم المحسوس ينسب للابن فقط لانه ابن البشر. فينتج اذن أن الآب والروح القدس يحكمان مع الابن لكن حكما غير منظور. وهكذا الابن نفسه بحسبما هو اله يحكم مع الآب والروح القدس حكما غير منظور. واما بحسبما هو انسان فانه وحده يحكم حكما ظاهرا. ونظرا الى ذلك يقول إن الآب لا يدين أحدا اي دينونة ظاهرة منظورة لان هذه الدينونة مختصة بالابن بحسبما هو انسان.

قال أحد علماء الكتاب (ان اتحاد الأقنوم الثاني تبارك اسمه بطبيعة الانسان مع كونه ابن الله الأزلي يؤهله لأن يكون ديانا للبشر. كما أن اختباره ضعفاتهم مما يملأ قلوبهم ثقة واطمئنانا بأن دينونتهم سوف تكون في أقصى حدود العطف

والرحمة).

وقال القديس توما اللاهوتى (إن وظيفة الدينونة وإن نسبت للثالوث الاقدس الا انها تنسب للابن بوجه أخص وذلك لان الدينونة لكى يكون قضاؤها عادلا لابد لها من ثلاثة امور (اولها) السلطان (ثانيها) الاستقامة (ثالثها) الحكمة. وعن الحكمة على الخصوص يصدر فعل الحكم ولان الابن هو حكمة الآب فمن ثم ينسب للابن سلطان الحكم نسبة خصوصية).

أما الذين يقومون فى الدين فهم كل أفراد الجنس البشرى بلا استثناء وليس كما زعم بعض المبتدعين فى أوائل الديانة المسيحية أن الصالحين وحدهم هم الذين يقومون فى يوم الدين لينالوا جزاء طوبانية أجسادهم. اما الاشرار المنافقون فانهم لا يقومون بل ان ارواحهم فقط تستمر معذبة في جهنم لا اجسادهم استنادا على قول صاحب المزمور: لذلك لا يقوم الأشرار فى الدين ولا الخطاة فى جماعة الابرار (مز ١:٥) فتلك ضلالة منكرة قد فندتها آيات الوحى الالهى وابطلتها وشهدت بأن القيامة عامة وليست خاصة بل تشمل الجميع اشرارا كانوا أم أخيارا هؤلاء للحياة الدائمة سعادتها وأولئك للدينونة المؤدية تعاستها. ومن ثم قال له المجد: فانه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة (يو ٥:٢٨ ومت ٢٥:٣٢ ودا ١٢:٢) اما قول صاحب المزمور (ان الأشرار لا يقومون فى الدين) فمعناه انهم لا يقومون قيامة الحياة لكونهم لم يماثلوا الصديقين بالاحادة عن الشر واصطناع الخير الناتج

من قبلهما هذه السعادة. فهم يقومون ولا ريب ولكنهم يقومون للمحاكمة والدينونة لا للتبرئة والمكافأة فيتسلط عليهم الخوف بكل قوته وحينئذ لا يمكنهم الثبات في اماكنهم فيهربون من أمام وجهه تعالى ولا يتسنى لهم الوقوف والمحاماة عن أنفسهم لانهم يخجلون ويكتسون بالازدراء الابدي. لانه تعالى لا يؤثر الاثم بل يبغضه في اقصى حدود البغضة ولا يرضى الا بالبر. فمن ثم لا يدنو منه شرير ولا يثبت مخالفو الناموس امام عينيه فيقصيهم عنه مرذولين الى ابد الآبدين.

هذا ولا يغرب عن الاذهان أن جميع الناس في هذا العالم أخيارا كانوا ام اشرارا هم ولا ريب مختلطون معا وكأنهم طبقة واحدة. الا انهم في يوم الدينونة لدى وقوفهم أمام الديان لابد من ان يتميزوا عن بعضهم. وهذا التمييز يكون بخمسة انواع (١) من جهة عدم المصاحبة (٢) من جهة الدرجة (٣) من جهة المكان (٤) من جهة القضية الأخيرة (٥) من جهة غايتهم الأبدية (مت ٢٥: ٣٠-٤٥).

قال القديس غريغوريوس الكبير (ان البشر في القيامة على أربعة اقسام. وتدعى هذه الأقسام طبقات القائمين في ذلك اليوم من الابرار والأشرار.

(١) فالطبقة الاولى : طبقة الذين يدينون ولا يدانون.

(٢) والطبقة الثانية : طبقة الذين يدانون ويخلصون.

(٣) والطبقة الثالثة : طبقة الذين يدانون ويهلكون.

(٤) والطبقة الرابعة : طبقة الذين لا يدانون ويهلكون.

فأصحاب الطبقة الأولى هم أكابر القديسين كالرسل وهم الذين

يختص بهم قول ربنا يسوع المسيح: متى جلس ابن الانسان على كرسى مجده تجلسون أنتم ايضا على اثنى عشر كرسيا وتدينون اسباط اسرائيل الاثنى عشر (مت ١٩:٢٨).

وأصحاب الطبقة الثانية هم الذين غسلوا ثيابهم التى تدنست بالخطايا بدم حمل الله الذى بلا عيب ورحضوها بدموع التوبة الحارة فأصلحوا فساد اعمالهم بافعالهم الصالحة ولاسيما اعمال الرحمة فظفروا برحمة الديان (مت ٢٤:٣١ ويع ٢:١٣).

وأصحاب الطبقة الثالثة هم المؤمنون الخطاة الذين دنسوا قداسة ايمانهم برجاسة افعالهم اولئك الذين يقرون بانهم يعرفون الله وهم بمقتضى اعمالهم به كافرون. وقد أشار اليهم ربنا بقوله: ليس كل من يقول لى يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذى يعمل إرادة ابى الذى فى السموات. كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب اليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة فحينئذ اصرح لهم أنى لم أعرفكم قط اذهبوا عنى يافاعلى الاثم (مت ٧:٢١ ولو ١٣:٢٥).

واما أصحاب الطبقة الرابعة فهم الغير المؤمنين كالوثنيين الذين وان لم يكن لهم ناموس مكتوب فلهم ناموس الله غير المكتوب وهو مطبوع على ضمائرهم يميزون به الحلال من الحرام. فكان عليهم أن يعيشوا بمقتضاه فتعدوه وهلكوا وهؤلاء لا يحتاجون إلى دينونة وحساب جديد ليظهر به حتى هلاكهم لان قضية هلاكهم موسومة فى جباههم وهى عدم ايمانهم وقبولهم ناموس الرب. وهم الذين أشار اليهم بولس الرسول بقوله: لأن كل من

أخطأ بدون الناموس فبدون الناموس يهلك (رو ٢: ١٢).

وحيث أنه لابد من أن جميع الناس يتميزون عن بعض في يوم الدين فمنهم من يقف عن يمين الديان ومنهم من يقف عن يساره. فلنا الآن أن نختار الموقف الذى نحبه إذ لا اختيار لنا في ذلك اليوم.

وحيث أنه لابد من أن الجميع يسمعون إما قوله (تعالوا) وإما قوله (اذهبوا) فلنا الآن أن نختار الصوت الذى نحبه.

وحيث أنه لابد من أن الجميع ينالون إما الحياة الابدية وإما العذاب الابدى وان حياتنا الزمنية ووسائط النعمة وهبت لنا من الله لكي تتمسك بالحياة الأبدية. فاهمالنا هذه الحياة هو تعريض انفسنا للموت.

وإذ ذاك يلزمنا والحال هذه ان نفتكر افتكارا جديا إلى اى جهة نحن. إلى حزب اليمين أم إلى حزب اليسار! ولنخف مرتعدين من أن نكون من أهل اليسار ولنرهب هذا التمييز والخزى الذى لا ينعت والهلاك الأبدى الغير المنتهى. ففى جميع الامور نجد لنا سبيلا لا للنجاة أو للتعزية ولكن في الهلاك الابدى لا نجد لنا سبيلا لا للنجاة ولا للتعزية. بل هناك شقاء لا عزاء له ولا انتهاء. حيث أنه إلى هذا الحد يبغض الله الخاطئ بسبب الخطيئة المبغضة منه بغضا غير متناه.

وإذا قيل كيف تنسب البغضة لله مع انه تعالى غير قابل التغيير والآلام النفسانية! قلنا إن بغض الله للخاطئ ليس عن تغيير حادث فى الله بل عن تغيير فى الخاطئ من قبل الخطيئة وذلك لانه تعالى لم يزل يبغض الخطيئة وحال الخاطئ المتغير

بها . وهذه البغضة غير منفصلة من الذات الآلهية وليس بممكن انه تعالى لا يبغضهما اى الخاطئ والخطيئة حتى ولو كانت الخطيئة خفيفة جدا لانه إن لم يبغضهما فلا يكون هو القداسة المحضة والصلاح العديم التناهي كما له . لانه كما أن الحرارة اذا لم تناف البرودة وان كانت خفيفة في ادنى درجة فلا تكون حرارة فى اعلى درجة . فهكذا الله تعالى لا يكون الصلاح العديم التناهى كما له ان لم يبغض ويناف الخطيئة ولو كانت خفيفة .

واذا قيل كيف يقال ان الله يبغض الخاطئ وواضح من النصوص الآلهية انه يحبه للدرجة القصوى (يو ٣:١٦) قلنا انه تعالى يحب فى الخاطئ صنع يده الآلهية ويبغض فيه صنعه اى صنع الخاطئ. قال القديس اغسطينوس (ان الله يجد في الخاطئ سبب المحبة وسبب البغضة . فسبب المحبة ماانسب اليه تعالى. وسبب البغضة ماانسب الينا . فيحب ماله وماصدر عنه ويبغض مالنا وماصدر عنا . فوجودنا وجسمنا وروحنا صادرة من جوده وقدرته فيحبها وخطايانا وشهواتنا المنحرفة ونقائصنا صادرة عن شقاوتنا ورخاء عزمنا فيبغضها ويكرهها) .

{المسالة الخامسة}

فى

علة تاخير قيامة الأجساد الى انقضاء العالم

إن علة تأخير قيامة الأجساد الى انقضاء العالم وعدم قيامها بعد المدة الكافية لتحويلها الى تراب تنفيذا للحكم الصادر ضدها لكي تشترك مع ارواحها في سعادتها وتعاستها منذ البداءة هي :-

(اولا) لمنع البدعة التى كان يمكن أن تحدث من ذلك. لانه لو كان الموتى يقومون حالا بعد موتهم لابتدع كثيرون من الهراطقة أن القيام من الموت طبيعي للبشر كما ان الولادة طبيعية لهم ولقالوا أيضا ان قيامة البشر ليست صادرة بقوة المسيح كما ان ميلادنا لم يصدر عن قوة ميلاده وبذلك يبطلون تلك العقيدة الصحيحة التى أوضحها الكتاب ايضاحا كاملا وهى أن قيامة البشر صادرة بقوة قيامة المسيح من الأموات ولولاها لما قام ذو جسد من رمه. لانه جل شانه هو الراس ونحن الأعضاء ومتى قام الرأس من الموت قامت معه الأعضاء بلا محالة.

نعم وجد فى العالم اناس قبل سيدنا يسوع المسيح وبعده مقيمون من الموت ومقامون منه الا انه لم يوجد أحد هو نفس المقيم والمقام والغير قابل للموت سواه. اذ أن كل الذين قاموا قبله ماتوا ثانية. ومن ثم اهتم بولس الرسول بهذه العقيدة اهتماما فائقا وشرحها شرحا وافيا واثبت ان قيامة البشر لم تكن صادرة الا بقوة قيامة ربنا له المجد بقوله: لانه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيحيا الجميع (١ كو ١٥: ٢١) وذلك لانه (١) هو السبب الاستئهالى لنا لهذه القيامة والحياة السعيدة (٢) لانه هو السبب الفاعلى لها. أى انه هو الذى يقيمنا بقدرته الآلهية (٣) لانه هو السبب النموذجى لنا بها. أى انه هو تقدم فرسم القيامة بقيامته المجيدة لنقوم على مثاله (٤) لانه هو السبب الغائى لها. أى أنه هو غاية قيامنا اذ اننا نقوم من أجله.

(ثانيا) لتتوافر استحقاقاتنا لأن التصديق بالقيامة العتيدة

هو عقيدة من عقائد الايمان. ولذلك كان ينبغى ان يتاخر قيامنا لنكون مؤمنين بالقيامة العتيدة ونستحق الجزاء على ايماننا. لانه لو كان كل انسان يقوم بعد موته سريعا لكان ذلك أمرا ظاهرا لكل احد ولذلك لا يكون ايمانا لان الايمان كما يقول الرسول هو (الثقة بما يرجى والايقان بامور لاترى عب ١١ :١) فلو كان قيامنا من الموت يحدث سريعا ولا يكون تحت الرجاء لما كان ايمانا. وإن لم يكن ايمانا لم يكن له ثواب ولا جزاء. لانه لا جزاء لنا على مانعلمه بالمشاهدة والحس بل نجازى على كل مانصدقه بالايمان. ولهذه الأسباب اخر الله قيامة الأجساد الى نهاية العالم.

{المسألة السادسة}

فى

خلود عذاب(١) الاشرار وعدم مخالفته للعدل الآلهى

لا يعزب عن الاذهان أن العذاب المخلد والهلاك الابدى والعقوبات الدائمة والاستغراق فى النيران الجهنمية لهي كغيرها من الأسرار العسرة الفهم في الديانة المسيحية ومع ذلك

---

(١) اعتقد بعض المبتدعين فى العصور المسيحية الاولى ان ارواح البشر الهالكين والشياطين ايضا عتيدون ان يخلصوا بعد دهور مقدرة ويرجعوا الى جمالهم الاول ونقاوتهم الملائكية بعد ان يتطهروا بالنار وعذاب الجحيم. ولما كانت هذه الضلالة العظيمة مناقضة لجميع النصوص الالهية فمن ثم رفضتها الكنيسة رفضا باتا.

فنحن ملزمون بتصديقها والايمان بها لان نصوصا الهية كثيرة ايدتها واثبتتها. كما ايدت واثبتت خلود سعادة الابرار وديمومتها لا برموز وعبارات بل بكلام واضح جلى قال الكتاب: فيمضى هؤلاء (اى الاشرار) إلى عذاب ابدى والابرار إلى حياة ابدية (مت ٢٥:١٦).

اما العذاب الأبدى والحياة الابدية فهما حالان اولهما فى ابعد البعد عن الله والثانية في اقرب القرب اليه والأول اجرة الخطيئة والثانى هبة الله. وليس فى النهاية للبشر سواهما وكل منهما نعت بما نعت به الآخر وهذا النعت ورد ستا وستين مرة فى الانجيل للتاكيد ودفع كل ريب وشك. فاذن يدوم شقاء الاشرار مادامت سعادة الأبرار.

غير ان الذين يأخذون الامور على ظاهرها يعترضون على خلود العذاب باعتراضات شتى اشهرها اثنان:

(١) إنه شئ مضاد الجودة الالهية الغير المتناهية ان يعذب الله انسانا شقيا إلى الأبد لاجل لذة وقتية بسيطة.

(٢) انه شئ مضاد العدل الالهى أن يعذب الله انسانا عذابا ابديا لاجل خطيئة واقعة فى لحظة واحدة لان العدل يقتضى أن يكون العذاب مساويا للذنب ومناسبا له. وأى مناسبة وأية مساواة يوجدان فى مابين خطيئة متناهية مفعولة في لحظة واحدة وفى مابين عقاب ابدى غير متناه! السيئة أن يضرع اليه تعالى ليمن عليه بالوسائط الواقية منها. وأخصها فعل روحه القدوس فى القلب. ثم الحياء من الناس. والخوف من العواقب قبل الاقتراب منها. والندامة الصحيحة بعد الوقوع فيها.

الفصل الخامس

فى

(٨) الوصية الثامنة

"لا تسرق" (خر ٢٠:١٥)

هذه هى الوصية الثامنة وهى تنهى عن السرقة أى سلب مال الغير خفية وبلا رضاه، ثم تامر برده له بالفعل كاملا بعينه او قيمته عند الامكان. أو بالنية وقت عدم المقدرة على رده (١).

ويقال للسرقة إنها بالبساطة إن وقعت خفية، وخطف إن وقعت جهرا ورغما.

وكما أن هذه الوصية تنهانا عن سرقة الآخرين هكذا تنهانا عن سرقة انفسنا أيضا، وذلك بصرف أموالنا فى الاشياء المحرمة او التى لا قيمة لها. لأن الاسراف والانفاق فى غير الحاجة ولو فى الامور الزهيدة يعتبر خيانة وسرقة فى نظر الشريعة.

والسرقة بكافة انواعها اثم كبير لأن مرتكبها يذنب الى الله سبحانه وتعالى الذى أوصى قائلا لا تسرق والى القريب الذى له الحق أن يتمتع بما قسم له بدون تعد عليه. كما انها تبلبل نظام الطبيعة وتسلب راحة الناس وتعمل على إهلاك أنفس السارقين. ومن ثم حذرنا الكتاب منها تحذيرا رهيبا بقوله "ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شاتمون ولا خاطفون يرثون

---

(١) يلزم السارق لا ان يرد المسروق فقط بل يلزمه ايضا تعويض صاحبه عن كل مافاته من الربح.

ملكوت السموات" (١ كو ٦: ١٠).

قد يتوهم ضعيفو الاحلام الذين تخدعهم الظواهر ان السرقة والسلب والخطف والمخاتلة والخداع والغش تساعد ذويها على أن يعيشوا في بسطة من العيش لانها تدر عليهم ارزاقا وارباحا شتى بخلاف الأمانة والحق والصدق فانها تجعل المتمسكين بها يعيشون في ضيق وضنك. ومن ثم يسلكون كل طريق ويطرقون كل باب ايا كان نوعه في سبيل الحصول على المال والاثراء. قائلين بلسان حالهم ما قاله صاحب الامثال: "المياة المسروقة حلوة وخبز الخفية لذيذ" (ام ٩: ١٧) وهم ولا شك خاطئون في ذلك ضالون سواء السبيل. لان القليل من الحلال خير من الكثير بالحرام. لان الاول ينمو ويزداد ويدوم ويبقى. بينما الثانى ينقص ويضعف ويزول ويفنى.

قال الكتاب عن النوع الأول "القليل مع العدل خير من دخل جزيل بغير حق" (ام ١٦: ٨ و ١٠: ٢٢) وقال عن النوع الثانى : جمع الكنوز بلسان كاذب هو بخار مطرود لطالبى الموت" (ام ٢١: ٦ و ٢٢: ٢٢).

قال أحد علماء الكتاب (ان من شاء ان يغتنى ويعمر له بيتا من الحرام فالرزق يصرخ نحو صاحبه ويطير من بين يدى السارق وينتقل الى آخر. إما بموت السارق او بفقره فلا يبقى له إلا سواد الوجه والعار. ومثله مثل من يتناول طعاما مسموما فيستفرغ كل مافى احشائه من جيد ورديء. وعنه قال أيوب الصديق "قد بلع ثروة فيتقيأها. الله يطردها من بطنه. لانه رضض المساكين وتركهم واغتصب بيتا ولم يبنه" (اى ٢٠: ١٩).

هذا فضلا عن أن الخيرات التي يحصل عليها صاحبها بالطرق والوسائل الغير المشروعة لا يسعد بها ولا يهنأ. بل كثيرا ما تجلب له اضطراب الضمير وعناء الروح وقلق الفكر. قال الكتاب "المولع بالكسب يكدر بيته والكاره الهدايا يعيش"(ام ١٥:٢٧).

وللسرقة انواع شتى اشهرها :-

(١) البيع والشراء بموازين ومكاييل غير صحيحة.

(٢) عدم رد الضائع (اللقطة) إلى ذويه.

(٣) عدم اعطاء الايجار وأجرة الأجير.

(٤) عدم رد السلف.

(٥) عدم رد الرهن.

(٦) نقل التخوم أو الحدود القديمة.

<u>أولا: البيع والشراء بموازين ومكاييل غير صحيحة. اي الأخذ بالكبير والاعطاء بالصغير</u>

لقد نهى الله سبحانه وتعالى عن المخادعة والغش في البيع والشراء بقوله: موازين غش مكرهة الرب والوزن الصحيح رضاه. لا يكن لك في كيسك اوزان مختلفة كبيرة وصغيرة. لا يكن لك في بيتك مكاييل مختلفة كبيرة وصغيرة. وزن صحيح وحق يكون لك. ومكيال صحيح وحق يكون لك. لكي تطول ايامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك لان كل من عمل ذلك كل من عمل غشا مكروه لدى الرب إلهك (ام ١١:١ و تث ٢٥:١٣) ذلك لانه هو جل شانه الذى اختار القياس والوزن والكيل كانه هو واضع المقياس والميزان وادوات الكيل. ومن ثم كان الوزن الصحيح يرضيه والمغشوش يغضبه. وقال ايضا: "لا ترتكبوا جورا في القضاء لا في القياس

ولا فى الوزن ولا فى الكيل. ميزان حق ووزنات حق وايفة حق وهين حق تكون لكم" (لا ١٩: ٣٥) ويؤخذ من هذا النص أن الجور فى القياس والوزن كالجور فى القضاء. والجامع بينهما اضاعة الحقوق. ولما كانت اضاعة الحقوق من الامور المكروهة لدى الله اخذ الموزون به من النحاس او الحديد او الرصاص أو غيرها من المعادن تفاديا من غضبه تعالى وحرصا على إعطاء كل ذى حق حقه.

ويدخل فى هذا الباب المسكوكات والأوراق المالية المزيفة فان حكمها كحكم الموازين والمكاييل الغير الصحيحة.

ثانيا: عدم رد الضائع (اللقطة) إلى ذويه

اللقطة هى مال يوجد على الارض ولا يعرف له مالك فمن انكره بعد معرفة مالكه عد سارقا وخائنا ان لم يسلمه للحكومة.

وقد اعتبرت الشريعة سارقا من انكر خمسة امور وهى (الوديعة والامانة واللقطة والمسلوب والمغتصب) بقوله تعالى لموسى النبى "إذا اخطأ أحد وخان خيانة بالرب وجحد صاحبه وديعة أو امانة او مسلوبا أو اغتصب من صاحبه أو وجد لقطة وجحدها. يرد المسلوب الذى سلبه الخ. (لا ٦: ٢-٥)

اما (الوديعة) فهى المال يترك عند الامين (والامانة) كالوديعة والفرق بينهما ان الوديعة هى الاستحفاظ قصدا والامانة هى الشئ الذى وقع فى يد الامين من غير قصد (والمسلوب) هو ماسلب من مالكه بالحيلة ثم انكر عليه.

(والمغتصب) ما اخذ إجبارا ثم انكر على صاحبه.

وبما أن من انكر واحدة من هذه الاشياء الخمسة يعد سارقا

وخائنا ومسيئا الى الله نفسه لذا قفت الشريعة برد كل من هذه الاشياء الخمسة بعينه إن كان باقيا او قيمته ان كان آخذه قد فقده او تصرف فيه مع ما يعدل قيمة خمسه تعويضا له عن خسارة الانتفاع به فى المدة التى مضت على فقدانه بقوله تعالى "فاذا اخطأ واذنب يرد المسلوب الذي سلبه أو المغتصب الذى اغتصبه او الوديعة التى اودعت عنده أو اللقطة التى وجدها يعوضه براسه ويزيد عليه خمسه (لا ٦:٤).

ثالثا: عدم إعطاء الايجار واجرة الاجير

اذا استأجر أحد أرضا أو بيتا او حانوتا وغير ذلك فليدفع قيمة الايجار المتفق عليها دون ان يطمع فيها أو يحتال على اغتيالها او تنقيصها بأى حيلة كانت وإلا كان سارقا ولصا وكذلك اذا استأجر عاملا يجب عليه ان يدفع له اجرته. كاملة غير منقوصة. لانه لاشئ يثير غضب الله وانتقامه كظلم الاجير وغصب أجرته. ومن ثم عدت هذه الخطيئة ضمن الخطايا الاربع الفظيعة التى تصرخ الى الله طالبة الانتقام السريع من مجترميها. وهى :

(١) القتل عمدا (٢) الزنا ضد الطبع (اى السادومية) (٣) ظلم الفقير ومذلته لاسيما الايتام والارامل (٤) اغتيال اجرة الأجير (راجع تك ٤:١٠ و ١٨:٢١ و خر ٣:٧ و يع ٥:٤).

قال جل شأنه لبنى اسرائيل "لا تظلم أجيرا مسكينا وفقيرا من اخوتك أو من الغرباء الذين فى أرضك فى أبوابك فى يومه تعطيه أجرته ولا تغرب عليها الشمس لانه فقير واليها حامل نفسه لئلا يصرخ عليك الى الرب فتكون عليك خطيئة" (تث ٢٤:١٤) وقال

يعقوب الرسول هوذا اجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل الى اذني رب الجنود (يع ٥:٤).

أما مراخ هذه الخطايا فهو لفحشها وفرط فظاعتها. فكانها لذلك تستغيث بالله الى تعجيل الانتقام من فاعلها والى انزال أشد القصاص به كما أصاب قايين وسكان سدوم وفرعون (انظر تك ٤:٨-١٦ و١٩:٢٣-٢٦ وحر ١٤:٢١-٣٠).

رابعا: عدم رد السلف

السلف ويقال له القرض وهو أن يقترض احد الناس من آخر قدرا معلوما من شئ ما ليسد به احتياجاته على أن يرده له كاملا نوعا وصفة.

وبالرغم من ان الاقتراض نوع من الاحسان ويجب على المقترض شرعا وعرفا ان يفي ماعليه من القرض في وقته المعين حتى تبرأ منه ذمته. فان كثيرين لا يعرفون لهذا الفضل قيمته فيماطلون مسوفين في ايفاء ماعليهم من الديون. وقد يبلغ الأمر بمن جبلوا على الخسة ودناءة الطبع الى نكران ما اقترضوه فيجازون الحسنة بالسيئة والمحبة بالعداء. وذلك شر عظيم لأنه من اقبح ضروب السرقة واسفلها.

نعم أن ربنا له المجد قال "إقرضوا وانتم لا ترجون شيئا" (لو ٦:٣٥) غير انه لم يقصد بذلك الجرى على هذا السنن حرفيا وابدا. بل قصد به المشابهة بالله جل شانه في الرأفة وعمل الخير للجميع والامعان في المحبة الاخوية ولو الى ترك مالنا عليهم اذا كنا عليه قادرين وفي غنى عنه.

خامسا : عدم رد الرهن

قد يضطر الفقير لحاجته الى رهن شئ من أملاكه . فاذا وفى ماعليه وجب على المرتهن أن يرد ما ارتهنه منه لا ان ينتهز فرصة فقر الراهن وضعفه ويغتال ماارتهنه منه لان ذلك نوع من أنواع السرقة والاختلاس يستمطر غضب الله وسخطه بلا محالة . قال جل شأنه "ان ارتهنت ثوب صاحبك فالى غروب الشمس ترده له . لانه وحده غطاء هو ثوبه لجلده فى ماذا ينام . فيكون اذا صرخ الى انى اسمع لانى رؤوف" (خر ٢٢: ٢٦و٢٧).

سادسا : نقل التخوم أو الحدود .

ومن أنواع السرقة نقل التخوم أو الحدود القديمة . وهو أن يغير أحد الناس حد ملكه بان يؤخره لكي يدخل بعض ملك غيره فى ملكه . وذلك محرم شرعا اللهم إلا اذا كان لعلة البيع والشراء أو الهبة . قال الكتاب "لا تنقل التخم القديم الذى وضعه آباؤك" (ام ٢٢: ٢٧ وتث ١٩: ١٤).

الخلاصة

حيث أن لهذه الخطية علة واحدة فيحسن بنا ان ننبه فى خاتمة شرح هذه الوصية الى تلك العلة وجرثومتها لنكون على حذر منها فننجو من شرها وويلها .

أما تلك العلة فهى الطمع ومحبة المال . فلو خفف المرء من غلوائه فى محبة المادة واقتنع بما هو لازم له من القوت والكسوة لما تورط فى هذا الشر الفظيع وجلب على نفسه ذلك البلاء المريع . قال الكتاب "لان محبة المال أصل لكل الشرور

الذى اذا ابتغاه قوم ضلوا عن الايمان وطعنوا انفسهم بأوجاع كثيرة" (١ تى ٦:١٠).

وقد تجلت هذه الحقيقة باكمل معانيها فى يهوذا الاسخريوطى وحنانيا وامراته. حيث اظلمت محبة المال عقل الاول فسقط فى فخ قاتل وتجربة مهلكة أنسته احسان ربه وفضله، فسرق ما كان فى الصندوق ثم باع مولاه بيع عبد، وختم هذه الماساة بان انتحر وهلك الى الأبد. والآخران قادهما الطمع الى سرقة جزء من ثمن الحقل فكان ذلك وبالا عليهما فعاجلتهما النقمة الالهية وماتا شر ميتة.

فلنحذر اذن من أن تخدعنا ظواهر السارقين الطامعين فى مال الغير لأن شبعهم جوع. وريهم عطش. وملئهم فراغ.

الفصل السادس

في

(٩) الوصية التاسعة

"لا تشهد على قريبك شهادة زور" (خر ٢٠:١٦).

هذه هي الوصية التاسعة وهي ذات وجهين سالبة وموجبة :-

اما كونها سالبة فلأنها تنهى صراحة عن شهادة الزور وضمنا عن ثلم صيت القريب.

أما كونها موجبة فلأنها توجب ترك الكذب والوشاية . والنميمة والسعاية . والغيبة والبهت والشتم . والدينونة الباطلة . والظن الفاسد . واليمين الحانثة . واليك شرح كل منها .

(١) شهادة الزور: هي ما كان منها اساءة القريب وضرره . وذلك باخفاء الحقائق وكتمها عن القضاة والحكام وذوي السلطة ليقضوا بغير الصواب والعدل فتضيع حقوق هذا القريب وتمتهن كرامته ويثلم صيته ويسرق. وسرقة الصيت شر من سرقة المال لان مرتكبها يضر غيره ولا ينفع نفسه . قال الكتاب: "الصيت أفضل من الغنى العظيم" (ام ٢٢:١).

ولقبح هذه الرذيلة التي تدل على الخبث وعدم الصدق والشرف والامانة حذرنا منها الوحي الالهي تحذيرا رهيبا بقوله : لا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد زور (خر ٢٣:١) شاهد الزور لا يتبرأ والمتكلم بالاكاذيب لا ينجو. من يتفوه بالحق يظهر العدل والشاهد الكاذب يظهر غشا (ام ١٩:٥ و١٢:١٧).

(٢) الكذب: وهو الاخبار عن الشئ بخلاف الواقع مع العلم به .

او هو التكلم بخلاف ما فى الضمير بنية الخداع.

وهو بكل أنواعه سواء قصد به المزاح ام الفائدة. وسواء كبر شره أو صغر بنسبة كبر وصغر الضرر الحاصل منه فهو شر باطنى أبدا. بل هو عدو الانسانية الألد. لان بواسطته يدخل الغش فى المعاملات. والفساد فى البيوت. والحلف الباطل. واغتيال الحقوق. والخيانة والتدليس. والنزاع والخصام. وكل انواع الرذائل. فلو انتفى الكذب من العالم لانتفت معه سائر المعاصى والموبقات.

وقد بين ربنا له المجد فظاعة الكذب وضرره بعده إياه مع القتل وصرح بأن مصدر كليهما الشيطان بقوله: ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت فى الحق لانه ليس فيه حق متى تكلم بالكذب فانما يتكلم مما له لانه كذاب وابو الكذاب (يو ٨:٤٤) قال صاحب الامثال: كراهة الرب شفتا كذب. أما العاملون بالعدل فرضاه (ام ١٢:٢٢) قال بولس الرسول: لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الانسان العتيق مع أعماله (كو ٣:٩) وقال أيضا: لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه لاننا بعضنا أعضاء بعض (اف ٤:٢٥) وهو قول فى منتهى الحكمة والسداد. لان الاعضاء فى الجسد لا يكذب احدها على الآخر ولا يغشه. فالعين مثلا لا تخدع اليد ولا تعثر القدم، بل كل منها يعاون الآخر بالصدق والاخلاص دون خداع ومكر، هكذا يجب ان يكون الحال مع الناس بعضهم لبعض لان كلا منهم هو بمنزلة عضو لصاحبه.

ويقال للكذب ايضا وشاية. ومن وشى بقريبه فقد نم عليه وسعى

به. قال الكتاب "لا تسع بالوشاية بين شعبك. لا تقف على دم قريبك أنا الرب" (لا ١٦:١٩).

ولقد ارتأى علماء الكتاب فى رؤية الله رأيين وهما:

(١) قال أصحاب الرأى الأول: ان رؤية الله بصورة حسية وبهيئة ترى بالعين الجسدية غير ممكنة لانه ليس من المرئيات كما قال بولس الرسول: الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه (١ تى ١٦:٦) ومن ثم نرى ذاته تعالى وصفاته بربنا يسوع المسيح لانه هو بهاء مجده ورسم جوهره وقد أعلن ارادته ورحمته وطول أناته وقداسته وقدرته وسائر صفاته لمخلوقاته. وكما أن النفس ترى بالجسد الذى تتحرك وتفعل به هكذا اللاهوت يرى بواسطة الناسوت. ولهذا قال له المجد لفيلبس (الذى رآنى فقد رأى الآب) جوابا على قول فيلبس: ياسيد أرنا الآب وكفانا (يو ٨:١٤).

(٢) وقال أصحاب الرأى الثانى: ان الصالحين وان كانوا لا يستطيعون أن يروا الله بحسب طبيعتهم الا انه بعد كشف هذا الحجاب واستبدال الموت بعدم الموت والفساد بعدم الفساد يستطيعون ذلك بكيفية استعدادية مفاضة فى العقل المخلوق وثابتة فيه ترفعه فوق قوته الطبيعية وتصيره قادرا بكمال الاقتدار على أن يعاين الحضرة الآلهية. لان كل من يرتفع الى شئ فائق على قوته الطبيعية لابد له أن يستعد بشئ يفوق على طبيعته وهذا الشئ الجليل قدره الذى يرفع من قوة النفس ويستكملها الى هذا الحد حتى يؤهلها لمعاينة الجلال الآلهى معاينة حقيقية يدعى (نور المجد) وهو الذى عناه صاحب المزمور

بقوله : بنورك نعاين النور (مز ٣٩:٩) حيث قصد بالنور الاول نور المجد الذى يوجد فى كل واحد من الصالحين وجودا ثابتا فيخوله رؤية الجلال الآلهي. وقصد بالنور الثانى الله نفسه. اما قول بولس الرسول (إن الله لا يراه احد من الناس) فمعناه عدم ادراكه. اى لا يستطيع كائن من كان أن يدرك الطبيعة الآلهية حيث انها غير مدركة من احد. وقد يعزز أصحاب هذا الراى رأيهم بما جاء فى كلام يوحنا الرسول عن ذلك وهو: اذا اظهر نكو مثله لاننا سنراه كما هو (١ يو ٣:٢) اى كما أن الله تعالى سعيد بنظره الى ذاته هكذا نحن اذ نراه فى الحياة العتيدة على ماهو عليه بذاته فحينئذ نكون فى منتهى حدود المجد والسعادة.

قال القديس باسليوس (ان الصالحين يشاهدون الذات الآلهية وجها لوجه ويعرفون الله بمقدار المعرفة التى يعرف تعالى بها ذاته بمرأى لاهوته ويحبونه بمقدار تلك المعرفة. ومن هذه المشاهدة الآلهية والمحبة المتسببة عنها تتلد فى قلوبهم سلامة وسكون وسرور وتهلل لا يدرك ولا يفهم لا عند الذين عرفوه بالتجربة).

أما نعيم الابرار الذى يحظون به فى الحياة الأبدية فهو (١) ثابت غير متناه لان ثبات السعادة هو شرط ضرورى لكمالها. لأن السعادة متى حملت مجهولة الثبات حصل فى قلب مالكها خوف فقدها ومن هذا الخوف يتلد الحزن الذى هو ضد تعريف السعادة الكاملة (٢) انه جليل عظيم مدهش بهذا المقدار حتى انه ليفوق على كل مايستطيع الانسان ان يقرره بالكلام بل يفوق على كل

مايستطيع ان يتصوره فى عقله ويدركه بافكاره لانه لا يكيف وحسبه انه لا يشوبه مضض ولا يخامره تنهد ولا يلم به شقاء ولا يتخلله حزن او تعب يؤلم النفس ويزعجها. كما انه لا يكون هناك حسد ولا منافسة ولا مرض ولا موت ولاظلمة ولا ليل بل نهار وضياء واشراق وبهاء غير منقطع. قال احد علماء اللاهوت (ان الحياة تكون سعيدة وذات عذوبة لا حد لها ولاقياس بثلاثة شروط) (اولها) ان تكون متصفة بالصحو والاشراق (ثانيها) أن تكون منعوتة بالطول والامتداد (ثالثها) ان تكون منزهة عن المصائب والمشقات . وهذه الشروط الثلاثة موجودة في الحياة العتيدة وذلك (١) لأن هناك فقط لا يحتاجون الى نور سراج ولا الى ضياء شمس لأن النور الأصيل الذى هو علة كل نور هو نورهم (رؤ ٢٢:٥) (٢) لان هناك فقط توجد الأيام التى لا يحد طولها ولا ينتهى امتدادها. أو بالحري أنه لا يكون هناك سوى يوم واحد أبدى لا يعقبه ليل (٣) لأن هناك فقط توجد السعادة الكاملة المنزهة عن كل غم وحزن لان ذلك اليوم هو يوم دائم الفرح والأمن لا يعتريه تغير مضاد والحاصلون عليه مملوؤون من كل فرح وحبور لأن الله قد نزع كل دمعة من عيونهم . ولهذا لما راى بولس الرسول مع فصاحته وبلاغته وتضلعه فى معرفة لغات العالم الراقية ان ليس هناك الفاظ كافية فى تلك اللغات للتعبير عن ذلك النعيم الرفيع قدره اكتفى بان وصفه بقوله: مالم تر عين ولم تسمع اذن ولا يخطر على بال انسان ما اعده الله للذين يحبونه (٢ كو ٢:٩) لانه ليس على حسب مايمكن لمشيئة بشرية التوصل اليه برغبتها بل هو حسب مشيئة الله الصالحة ومحبته الجزيلة .

على إن هذا الوصف وان كان يشير الى وفور اللذة والعذوبة والفرح الفائق الذى يحصل عليه جميع الصالحين فى حياة الخلود ولكنه لا يدل على مساواتهم فى الأجر والثواب على الاطلاق.

نعم أن كلا منهم يحوز السعادة الا انهم لا يكونون فى درجة واحدة بل فى درجات متفاوتة تتفق وتفاوت الفضل والاستحقاق. ومن ثم قال ربنا له المجد: ان المنازل فى بيت ابى كثيرة (يو ١٤:٢) وهو قول فى منتهى الصراحة يدل على التباين التام فى درجات السعادة الأبدية. وليس من ظلم فى ذلك لان العدالة تقضى بأن من احب كثيرا يعطى كثيرا (لو ٧:٤٧) ومن كثرت اتعابه فى هذا العالم فى سبيل البر ازداد فى العالم الآتى، وكما يكون بين القديسين تفاوت فى المجد والسعادة كذلك يكون بين الهالكين فى العذاب والشقاء (مت ١١:٢٢).

غير أنه مع هذا التفاوت والتباين بين الصالحين لا يمكن أن يشعر أحد منهم أنه اسعد او اقل سعادة من غيره. بل الجميع يشعرون انهم سعداء على حد سوى لانهم يشبعون ممتلئين من النظر الآلهى. وما مثل السعادة السمائية التى يتمتع بها الصالحون الا كمثل وليمة مفعمة من كل لذة وافرة وقد حضرها اناس مختلفو الصفات. جبابرة واقوياء. رجال ونساء. شبان واطفال. وكانت تلك الوليمة مطلقة للجميع ليتمتعوا بها فلا ريب أن البعض منهم يأكل اكثر من غيره لاتساع معدته. والبعض اقل من غيره لقصره عن ذلك الاتساع. ومع ذلك فلاشك فى ان الجميع متساوون فى الشبع وكل منهم لا يرى نفسه اقل شبعا من رفيقه ولا اكثر منه لان كل واحد منهم قد امتلأ من تلك الوليمة بمقدار اتساعه.

فلذلك الذى اكل كثيرا لا يرى نفسه اكثر شبعا من الذى اكل اقل منه . والذى اكل قليلا لا يرى نفسه اقل شبعا من الذى اكل اكثر منه بل ان الجميع يرون انفسهم انهم متساوون فى الشبع والامتلاء من تلك الوليمة . فهكذا فى السعادة السمائية فان كل القديسين وان كانوا غير متساوين فى الأجر والثواب الا انهم مع ذلك متساوون فى الشبع والامتلاء من الخيرات السمائية لانهم جميعا يستريحون راحة لا يشوبها كدر ولا اضطراب. سعداء بكمال السعادة مملوؤون من كل خير فائق.

اما مساواة رب الكرم فعلته في الاجرة (مت ٢٠:١٠) فلا تدل على عدم التفاوت بين الصالحين فى المجد ولكنها تدل فقط على ان الخلاص معطى للجميع بالتساوى لانه حظ جميع المؤمنين بحسب قضاء نعمة الله . اما الرتبة فتعطى لكل واحد على قدر اجتهاده وأمانته فى العمل. قال بولس الرسول: لان نجما يمتاز عن نجم فى المجد (١ كو ١٥:٤١).

فيايسوع المسيح الكلى الملاح ياكلمة الآب وضياء مجده يامن تتوق الملائكة إلى مشاهدته علمنا ان نصنع مشيئتك لنبلغ إلى تلك السعادة حيث النهار دائم وحيث الطمانينة ثابتة وحيث الراحة أبدية والسعادة غير فانية حيث انك تملك وتحيا الها مع الآب والروح القدس إلى أبد الآبدين آمين.

{المسالة العاشرة}

فى

مدة (وليمة) الالف السنة

كان الراى السائد بين علماء الكتاب فى القرون الأولى بانه

قبل نهاية العالم يأتى المسيح بنفسه ويملك مع قديسيه الف سنة على الارض وانه فى تلك المدة يعيش القديسيون تحت لوائه فى حالة عظيمة من المجد والسعادة. فقد قال يوستينوس الذى عاش فى القرن الثانى (انما انا وجميع المسيحيين الذين يؤمنون بشئ من جميع الاشياء نعرف انه تكون قيامة للجسد والف سنة فى اورشليم بعد ان ترد وتزين وتكبر كما يشهد حزقيال واشعياء وغيرهما من الانبياء) وقال بابياس اسقف هيروبوليس الذى كان صديقا لبوليكربوس أحد تلاميذ يوحنا الرسول (انه بعد قيامة جميع الأجساد من الموت يكون ملكوت للمسيح ويستمر ويثبت الف سنة على الارض بطريق بشرى جسدى) وقد علم بهذا التعليم ايضا ايريناوس ومليطوس أسقف سرديس وغيرهما وذلك اعتمادا على ماجاء فى سفر الرؤيا حيث قيل: ورايت عروشا فجلسوا عليها واعطوا حكما ورايت نفوس الذين قتلوا من أجل شهادة يسوع ومن اجل كلمة الله والذين لم يسجدوا للوحش ولا لصورته ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى ايديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح الف سنة وأما بقية الاموات فلم تعش حتى تتم الالف السنة. هذه هى القيامة الأولى مبارك ومقدس من له نصيب فى القيامة الأولى هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم بل سيكونون كهنة لله والمسيح وسيملكون معه الف سنة (رؤ ٢٠:٤-٦).

غير انه من القرن الرابع فصاعدا تشعبت الآراء فى هذا الموضوع وتعددت واشهرها رايان. احدهما لغريغوريوس الكبير والآخر لابن كاتب قيصر العالم القبطى.

(١) قال القديس غريغوريوس الكبير (ان الالف السنة عبارة عن

مدة ملك المسيح هنا فى الكنيسة المجاهدة حتى عهد الدجال. لان المسيح وهو على الصليب خلع الشيطان من سلطانه على البشر بدليل قوله: الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا (يو ١٢:٣١) واما فى أيام الدجال فيحل ويعود إلى ماكان عليه من القوة السلطان اللذين يعطيهما الشيطان إلى الدجال).

وقد أيد رأيه هذا اكثر مشاهير علماء الكتاب ولاسيما القديس امبروسيوس الذى قال (اما قوله عاشوا وملكوا مع المسيح الف سنة فذلك لا يختص بنفوس المقتولين في عهد دومتيانوس وغيره من المضطهدين الرومانيين فقط بل فى عهد غيرهم أيضا. وكأنه يقول ان نفوس هؤلاء الشهداء المقتولين ولو قهرت لدى اعين الاثمة انها ماتت وتلاشت الا انها حية مع المسيح مالكة معه (الالف السنة) أى مدة زمن هذا العالم التى ابتدأوها من المسيح وانتهاؤها يوم النشور).

(٢) اما ابن كاتب قيصر فيعتقد أن الألف السنة مدة محصورة بدايتها موت الدجال وازالة دولته. وحينذاك يقوم الابرار من الاموات ويملكون على الأرض مع المسيح الف سنة ويكون الشيطان معتقلا عنهم بقوله (وهؤلاء الأبرار هم من الذين هربوا الى القفار والجبال والكهوف وغيرها واختفوا حتى جازت الدولة الدجالية. اما قول الكتاب (انهم عاشوا وملكوا مع المسيح الف سنة) فمعناه ان اجسادهم قامت من بين الاموات بالقدرة الآلهية اجسادا روحية باقية غير فانية ولا متالمة واتحدت بها نفوسهم كالكون الاول. واما كونهم يكونون كهنة الله والمسيح ويملكون معه الف سنة فعلى ظاهره).

وقد اعتقد أيضا أن نبوة اشعياء القائلة: ويسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدى والعجل والشبل والمسمن معا وصبى صغير يسوقها (اش ١١:٦-١٠) تشير الى مدة الألف السنة هذه. ومن ثم علق عليها بقوله (واذ ابطلت هذه الآراء وطابقت هذه النبوة مايكون فى وليمة الألف السنة تعين أن يختص بها. وأن يكون مانصه النبى من أحوال الوحوش والأطفال على ظاهره وماذلك يبدع ولا بمستنكر. فان الأحوال كانت على هذه الصورة منذ بدء الخلق الى الطوفان لا يكسر وحش ولا جارح ولا يأكل السباع ولا الطير ولا الهوام لحما ولا غيرها بل الثمار والنبات وعلى هذه السنة اجتمعت فى سفينة نوح. ثم انه يكون فى هذه الألف السنة اطفال وشيوخ ورعى ويلزم ان يكون فيها حرث ونسل وتصرف دنيوى الخ).

ولقد وافق ابن كاتب قيصر على رايه هذا لفيف من رجال الكنائس البروتستانتية حيث قال صاحب كتاب القواعد السنية (ص ٣ ٣٥) مانصه.

وقد ذهب آخرون أيضا الى أن مدة الألف السنة وان كانت لا تزال مستقبلة لا تختص بتاريخ الكنيسة فى هذا الدور أى تحت النظام الانجيلى الحاضر بل ان هذا الدور ينتهى بدمار فظيع وخراب عام ثم يتلوه مجئ المسيح بالجسد إلى أرضنا هذه وحينئذ تبتدى الألف السنة وتدخل الكنيسة فى دور جديد أو فى نظام آخر تحت رئاسة المسيح الارضية وهو فى الجسد).

ثم عاد فعلق على هذا الرأى بقوله (وهذا الرأى قد تمسك به جانب من المسيحيين ولاسيما من الانكليز ممن هم من أهل التقوى

والشهرة . على انه لا ريب فى ان تسعة اعشار المسيحيين فى العالم يعتبرونه سخيفا جدا ومن الضلالات المبينة والاغلاط الغريبة) .

وقال أيضا ساحب كتاب العقود الدرية وهو برستانتي المذهب فى صفحة ٢٦٧ (وملك المسيح فى ذلك الوقت (اى الالف السنة) مختلف فيه وغير متفق عليه عند جمهور المسيحيين . فالبعض يقولون انه يملك روحيا على قلوب شعبه ليفرحهم ويمتعهم بالنصرة على جنود الشر الروحية التى كانت تعاكسهم . وغيرهم يقولون لابد أن المسيح ياتى ليملك فعلا بدليل القيامة الاولى . وهؤلاء يعززون مبدأهم بقولهم كما ان المسيح اهين فعلا على الارض هكذا ينبغى ان يتمجد فعلا على الارض لانه يكون من قبيل الغبن البين وعدم الانصاف الفاضح أن يؤلم المسيح ويموت الموت المهين ثم لا يملك الا عند النهاية عندما يسلم الملك لله الآب . وليس هذا فقط بل ان المؤمنين الذين ذاقوا العذابات المختلفة والاضطهادات المرة جدير بهم ان يتمتعوا بتلك الامنية ويقوموا مع المسيح القيامة الاولى ليملكوا معه جزاء اتعابهم التى تعبوها والآلامات التى تكبدوها فى هذه الحياة الدنيا . وهؤلاء يقولون ان الحق فى جانبنا لا نطلب الا الانصاف والعدل . والكتاب نفسه يعطيهم مستندا فى هذه القضية بقوله (فعاشوا وملكوا مع المسيح الف سنة) فقوله عاشوا استلزم انهم ماتوا أولا . وقوله القيامة الاولى وهى التى لا يقوم فيها الا المفديون للملك دليل على حقيقة مالهم من النصيب الصالح الذى ينالونه بالملك مع المسيح مخلصهم .

فهذان الرأيان هما أشهر ماقيل فى مدة الألف السنة غير ان الرأى الأول وهو رأى غريغوريوس الكبير ربما كان ارجح واسد. لان ملك المسيح على الأرض بالجسد مع قديسيه لا يمكن اثباته بالنصوص الإلهية الصريحة. والله أعلم بالصواب.

{المسألة الحادية عشرة}

فى

مجئ يوم الرب الأخير والمسيح الدجال

جاء فى رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل تسالونيكى أن مجئ الرب الأخير يسبقه مجئ انسان يقال له انسان الخطيئة. ابن الهلاك (اى المسيح الدجال) بقوله: ثم نسألكم ايها الاخوة من جهة مجئ ربنا يسوع المسيح واجتماعنا اليه أن لاتتزعزعوا سريعا عن ذهنكم ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا أى ان يوم المسيح قد حضر لانه لا يأتى إن لم يأت الارتداد أولا ويستعلن انسان الخطيئة ابن الهلاك المقاوم والمرتفع على ما يدعى إلها او معبودا حتى انه يجلس فى هيكل الله كإله مظهرا نفسه أنه اله (تس ٢:١-٤).

وحيث انه واضح من هذه النصوص الإلهية أن يوم الرب الاخير لا يأتى مالم يأت هذا الانسان المقاوم المعروف (بالمسيح الدجال) فوجب ان نعرف عن هذا المضل العظيم على ضوء كلام الوحى الإلهى الامور الآتية:

(١) مولده (٢) مقر ملكه (٣) مدة حكمه (٤) آياته ومعجزاته الكاذبة (٥) صفاته (٦) محاربته لرجال الله واضطهادهم (٧) نهايته المحزنة.

(١) مولده

لقد ذهب أكثر علماء الكتاب الباحثين الى أن المسيح الدجال يكون من اليهود. وكثيرون منهم قالوا انه يكون من سبط دان وذلك :

(١) من اهمال اسم دان(١) ووضع سبط منسى عوضا عنه فى عداد المختومين من اسباط بنى اسرائيل الاثنى عشر (رؤ ٧:٨).

(٢) مما جاء فى نبوة يعقوب لاولاده حيث قال عن دان: ويكون دان حية فى الطريق افعوانا على السبيل يلسع عقبى الفرس فيسقط راكبه الى الوراء: لخلاصك انتظرت يارب (تك ٤٩:١٧).

(٢) مقر ملكه

اما مقر الدجال أو تخت ملكه فيكون فى اورشليم حيث يرمم الهيكل ويجلس فيه ليعبد كإله (٢ تس ٢:٣) ويكون حكمه بقوة الشيطان لانه هو المستولى على هذه الدولة الظالمة المظلمة الضالة. فيعطيه اقتداره وصولته ويهبه إذنا فى ان يضطهد المؤمنين وينكل بهم تنكيلا شديدا كما انه يمنحه قوة فى اختراع الآيات الكاذبة ليضل بها العالم.

(٣) مدة حكمه

أما مدة حكم الدجال فثلاث سنين ونصف (رؤ ١٣:٥) يعانى فيها العالم من الاهوال والشدائد الفادحة ما يقصر عنه البيان.

وقد ينتشر سلطانه ويمتد ملكه الى اقاصى الأرض كلها حيث يكون له اتباع وأعوان فى كل مكان يحملون لقب ملوك وولاة

---

(١) ذكر اسم دان فى بعض النسخ.

ليرغموا الناس على الاقرار بالوهيته والا ساموهم قتلا وخسفا. غير انه لا يطيع ذلك الطاغية الجبار الا من كان ذا قلب شرير منغمس في الشهوات والرذائل محذوف الاسم من سفر الحياة (رؤ ١٣:٧).

(٤) آياته ومعجزاته الكاذبة

وقد يصنع الدجال آيات ومعجزات كثيرة بقوة الشيطان ذكر منها صاحب الرؤيا ثلاثا (رؤ ١٣:٣).

(١) يشفي احد اتباعه (١) (أو هو نفسه) من جرح قاتل.

(٢) ينزل نارا من السماء (٢).

(٣) يجعل تمثاله ينطق ويتكلم (٣) وذلك بان يدخل روح من الارواح الشيطانية في ذلك التمثال على عادة الوثنيين فيصيره ناطقا متكلما.

على أن هذه الآيات والعجائب كلها خيالية باطلة لا حقيقة لها

---

(١) هذه المعجزة انما هي على ظاهر الأمر لان الجرح لا يكون كذلك في الحقيقة ولا يفوت شفاؤه القوة الشيطانية لان الشيطان اعلم بعلاج جسدنا منا فمن ثم لا تكون اعجوبة حقيقية.

(٢) ان نزول النار من السماء هو ايضا في طاقة الشيطان لانه قادر ان ينزل من الجو صواعق ويثير رعودا وبرقا.

(٣) وهذه كذلك من اعمال الشيطان المعهودة فانه كثيرا ما تكلم في الانصاب والتماثيل. ولهذا قال بولس الرسول: الذي بحثة - أي الدجال - بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الاثم في الهالكين (تس ٢:٢٧).

بنفسها. وانما الشيطان يخايل الناس بها حتى كانها ترى حقا. (راجع ٢ تس ٢: ٩ ومت ٢٤: ٢٤).

(٥) صفاته

يكون الدجال ساحرا خبيرا ذا دهاء ورياء متكبرا مرتفعا خليعا كافرا يجدف على الله وقديسيه ويدعى الالوهية اى يصير ذاته الها معبودا من دون الله مبطلا ومعطلا عبادة الاله الحق فى الارض كلها (تس ٣: ٤) كما انه يجرؤ ويقول عن نفسه انه هو المسيح الحقيقى وان مسيحنا تقدس اسمه هو المسيح الكذاب. ولشراسة هذا المخلوق الغريب وقساوته وقبح صفاته سمى وحشا (انظر ماجاء عنه فى رؤ ١٣).

(٦) محاربته لرجال الله واضطهادهم

قد يصنع الدجال حربا عظمى مع رجال الله ولا سيما مع ايليا واخنوخ اللذين بعد ان يستظهرا عليه ويغلباه يسمح له الله أن يقتلهما وتبقى جثتاهما مطروحة على الارض بلا دفن ثلاثة أيام ونصفا وبعد ذلك يقومان بقوة الله حيين. قال صاحب الرؤيا: ومتى تمما شهادتهما فالوحش الصاعد من الهاوية يصنع معهما حربا ويغلبهما ويقتلهما وتكون جثتاهما على شارع المدينة العظيمة التى تدعى روحيا سدوم ومصر وحيث صلب ربنا أيضا. وينظر اناس من الشعوب والقبائل والالسنة والامم جثتيهما ثلاثة أيام ونصفا ولا يدعون جثتيهما توضعان فى قبور (رؤ ١١: ٧-١٠).

(٧) نهايته المحزنة

يقال انه بعد ان قضى ثلاث سنين ونصف من حكم الدجال يمضى الى جبل الزيتون حيث صعد السيد المسيح له المجد الى السماء

ليصعد هو مثله من هنالك ولكن ربنا والهنا يسوع المسيح يضربه ضربة قوية قاتلة ينحدر على أثرها الى الجحيم حيث النار المتقدة بالكبريت قال صاحب الرؤيا: فقبض على الوحش والنبى الكذاب معه الصانع قدامه الآيات التى بها أضل الذين قبلوا سمة الوحش والذين سجدوا لصورته وطرح الاثنان حيين الى بحيرة النار المتقدة بالكبريت (رؤ ١٩ :٢٠).

هذا وقد رجح بعض علماء اللاهوت أنه بعد انحدار الدجال الى جهنم حيا تعطى للناس فرصة قصيرة للتوبة وبعدها يقبل يوم الرب العظيم المخوف الذى نرجو بنعمته المجانية أن نحصل فيه على المجد والسعادة مساهمين القديسين والأبرار بأكبر حظ وأوفر نصيب آمين.

الـكلام

في

الـكـنـيسة

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

الباب الرابع

فى

الكنيسة (١)

تمهيد : لسنا نوضح خافيا اذا قلنا ان لفظ كنيسة فى العربى متخذ من (كنشو) فى السريانى (واكلسيا) فى اليونانى ومعناه جماعة. وهى تدل فى الأصل على جماعة مخصوصة من المؤمنين اعتادوا الاجتماع فى مكان واحد للعبادة وكما اطلق هذا المعنى على الجماعة المجتمعة هكذا اطلق على مكان الاجتماع والكهنة ايضا. ومن ثم جاءت كلمة كنيسة عند المسيحيين بمعان ثلاثة.

(اولا) بمعنى جماعة المؤمنين المجتمعين للعبادة كما قال بولس الرسول لقسوس كنيسة افسس: لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه (اع ٢٠:٢٨ و١٤:٢٣ و١ كو ١٦:٣٩ ورو ١٥:١٦).

(ثانيا) بمعنى الكهنة أى الرعاة الذين يرعون الكنيسة ويدبرون شؤونها كما قال له المجد: وان لم يسمع منهم فقل للكنيسة (أى الرعاة) وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار (مت ١٨:١٧).

(ثالثا) بمعنى المكان الذى يجتمع فيه المؤمنون للعبادة ومن ثم يتحتم عليهم إكرامه واحترامه والوقوف فيه بغاية الخشوع والورع لأنه ليس مكانا عاديا بل هو بيت الله المقدس

---

(١) ويقال لها بالعبرى (كنيسيت).

الذى قال عنه جل شانه : قدست هذا البيت الذى بنيته لاجل وضع اسمي فيه الى الابد وتكون عيناى وقلبى هناك كل الايام (١ مل ٣:٩).

وعدا ذلك فالكنيسة تنقسم ايضا إلى قسمين كنيسة مجاهدة وكنيسة منتصرة. فالكنيسة المجاهدة هى جماعة المؤمنين الذين هم فى حرب متواصلة مع أعدائهم الروحيين ماداموا احياء على الارض، ومن ثم قال بولس الرسول: فأن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة هذا العالم على ظلمة هذا الدهر مع اجناد الشر الروحية فى السماويات (اف ٦:١٢).

أما الكنيسة المنتصرة فهى جماعة الأبرار الذين اكملوا سعيهم بالغلبة فانطلقوا إلى السماء وهنالك استحقوا أن يملكوا مع المسيح إلى ابد الابدين. قال بولس الرسول: بل قد اتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة ابكار مكتوبين في السموات وإلى الله ديان الجميع وإلى ارواح أبرار مكملين (عب ١٢:٢٢).

الفصل الأول

فى

علامات الكنيسة

ان للكنيسة أربع علامات وهي (١) واحدة (٢) مقدسة (٣) جامعة (٤) رسولية .

(١) واحدة: هذه العلامة هى الأولى التى تتميز بها الكنيسة كما تحققنا ذلك من قبل آباء المجمع النيقاوي المقدس الذى قدم هذه العلامة على العلامات الأخرى التى اثبتوها بقانون الايمان الارثوذكسى وقالوا (نؤمن بكنيسة واحدة) وحسنا دعوا الكنيسة المقدسة واحدة لأن كل المؤمنين الذين تكونت منهم هم جسد واحد ولهم روح واحد ورأى واحد. وجميع اعضاء هذا الجسم لهم أمانة واحدة ورجاء واحد وكل خيراتهم الخلاصية مشتركة فيما بينهم اعنى بها الأسرار والصلوات والأفعال الصالحة وما شاكل هذه الأشياء التى هى خيرات عامة يشترك فيها كل المؤمنين، قال له المجد: وتكون رعية واحدة لراع واحد (يو ١٠:١٦) وقال أيضا: ليكون الجميع واحدا كما انك انت ايها الآب فى وانا فيك ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم انك أرسلتنى وانا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحدا كما أننا نحن واحد انا فيهم وانت فى ليكونوا مكملين إلى واحد (يو ١٧:٢١-٢٤) وقال بولس الرسول : جسد واحد روح واحد كما دعيتم أيضا فى رجاء دعوتكم الواحد رب واحد ايمان واحد معمودية واحدة إله وآب واحد للكل الذى على الكل وبالكل وفى

كلكم (اف ٤:٤-٦).

(٢) مقدسة: فالكنيسة مقدسة لان مبادئها وتعاليمها ونظمها وطقوسها مقدسة وبخاصة أولادها لان المسيح قدسهم وطهر بالايمان قلوبهم. قال له المجد: قدسهم فى حقك ليكونوا هم ايضا مقدسين فى الحق (يو ١٧:١٧-١٩) وقال بولس الرسول: ايها الرجال احبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لاجلها لكى يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب (اف ٥:٢٥-٢٧).

(٣) جامعة: اى عمومية بالنسبة إلى الزمان والمكان والامم فهى لا تنحصر فى زمن واحد ولا مكان معين ولا فى امة دون الاخرى. اذ ليس فى النصرانية فرق بين اليهود والامم ولا بين الذكور والاناث ولا بين العبيد والموالى قال بولس الرسول: لان كل الذين اعتمدوا للمسيح قد لبسوا المسيح لا فرق بين يهودى ولا يونانى ليس عبد ولا حر لا ذكر ولا انثى لان الجميع واحد فى المسيح يسوع (غل ٣:٢٨) وذلك لان الذى اسمها هو إله كل الخليقة الذى قضى بسلطانه المطلق وقوته الفائقة وحكمته السامية ان يكرز فى كنيستة ببشارة الخلاص للعالم اجمع حتى تمتد هذه الكنيسة إلى أقاصى الارض دون ان تنفك عن امتدادها وأتساعها يوما فيوما داعية جميع الامم للانطواء تحت لوائها المقدس تنفيذا لقوله تعالى لتلاميذه: اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والأبن والروح القدس (مت ٢٨:١٩) ومن ثم اذ علم اشعياء بروح النبوة مايقصده المسيح بكنيسته من

الامتداد والانتشار وانضمام سائر الشعوب اليها خاطبها قائلا: أوسعي مكان خيمتك ولتبسط شقق مسكنك لا تمسكي اطيلي اطنابك وشددي اوتادك لانك ممتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك امما ويعمر مدنا خربة لا تخافي لانك لا تخزين ... لان بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس اسرائيل اله كل الأرض يدعى (اش ٥٤:٢-٢٦) وقد أعقبه ملاخى النبى فقال: لان من مشرق الشمس الى مغربها اسمى عظيم بين الامم وفى كل مكان يقرب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة لان اسمى عظيم بين الأمم قال رب الجنود (مل ١:١١).

ولا ريب اذن فى ان كنيسة المسيح جامعة لأنها متصفة بالصفات الثلاث الواردة فى هذه النبوة. (فاولا) منذرة ببشارة الملكوت فى كل اقطار المسكونة. (ثانيا) ممتدة الى جميع النواحى منتشرة الى أقاصى الأرض (ثالثا) مقدمة لاسم الرب البخور والقربان من مشارق الشمس الى مغاربها.

(٤) رسولية: اى تأسست وانتشرت فى العالم بكرازة رسل المسيح وتمسكت بأقوالهم وتعاليمهم التى هى بمنزلة اساس وعماد للكنيسة رافضة كل ما يخالف تلك التعاليم المستقيمة والمبادىء الصحيحة. قال بولس الرسول: مبنيين على أساس الرسل(١) والانبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية (اف ٢:٢٠)

---

(١) ان اساس الكنيسة واساس كل مؤمن فيها هو يسوع المسيح له المجد فهو وحده الاساس القائم بنفسه المسند كل البناء. أما الرسل فدعموا اساسات الكنيسة حيث تبشيرهم وتعليمهم فى البداية

وقال لتلميذه تيموثاوس: وماسمعته منى بشهود كثيرين اودعه اناسا امناء يكونون اكفاء ان يعلموا آخرين ايضا (٢ تى ٢:٢) وقال ايضا: اثبتوا ايها الاخوة وتمسكوا بالتعاليم(١) التى تعلمتوها سواء كان بالكلام ام برسالتنا (٢ تس ٢:١٥).

ويقال ايضا لكنيسة الله الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية (ارثوذكسية) وهى كلمة يونانية مركبة من (أرثوس) أى مستقيم (وذكسا) اى الراى ومعناها استقامة الراى وهو اتباع العقيدة المسيحية الصحيحة.

ومما لا جدال فيه أن الكنيسة القبطية الارثوذكسية بشهادة العلماء الباحثين المنصفين ولا سيما علماء الغرب هى الكنيسة الوحيدة التى حافظت الى اليوم على التعاليم الصحيحة التى تسلمتها من مؤسسها القديس مرقس الانجيلى ومن خلفائه باباوات الاسكندرية المستقيمى الراى.

---

(١) فى الترجمة القبطية يقول بالتقليدات وهو الاصح.

الفصل الثانى

فى

الطقوس(١)

تمهيد: الطقوس فى اصطلاح الكنيسة كلمة تطلق على مجموع صلوات وابتهالات معينة فى مختلف الاحتفالات الكنسية يتلوها الكاهن ومساعدوه فى اداء وتتميم الاسرار المقدسة وغيرها بترتيب خاص ووضع معقول.

ومما لا خلاف فيه ان الكنيسة عندما استراحت من الاضطهادات اخذت فى تحسين الطقوس وأنظمة العبادة شيئا فشيئا طبقا لمقتضيات الظروف والاحوال إلى ان وصلت إلى اسمى درجة من النظام واضحت مناسبة لسمو الديانة وموافقة لبنيان المؤمنين. لأن مارتبته من طقوس فغايته تمثيل أعظم الحوادث الخلاصية كما أن ما وضعته من قراءات مفيدة وتراتيل منعشة وصلوات تقوية فغايته أيضا ايضاح التعاليم المسيحية وتسهيل فهمها على المؤمنين.

ويمكن تلخيص فوائد الطقوس وضرورتها للكنيسة فيما يأتى :-

(١) تعظم الاحتفال بخدم الله المتنوعة وتظهر مجدها ووقارها فى اعين الشعب.

(٢) تظهر عواطف الاحترام والغيرة الداخلية للاسرار المقدسة.

(٣) تنعش روح العبادة بتحريك الحواس وتأثرها.

---

(١) طقس كلمة يونانية معربة معناها ترتيب.

(٤) تقود البسطاء والأميين إلى معرفة اسرار الديانة بسهولة فائقة نظرا لما يرونه من تمثيل الحوادث تمثيلا واقعا تحت حواسهم بمنتهى النظام والترتيب.

ولهذه الأسباب الهامة عنى الخالق سبحانه وتعالى عناية فائقة بالطقوس فى كلا العهدين القديم والحديث.

** العهد القديم **

ففى العهد القديم شرح جل شانه لموسى النبى تلك الطقوس شرحا مسهبا مستفيضا ثم وعد من يهتم بها باسمى المكافآت واجزلها كما أنه توعد من يهمل منها شيئا ولو سهوا باقصى العقوبات وأفدحها.

وان من يطلع على ماجاء من مظاهر التقدير الخاص بطقوس العبادة وإكبارها فى أسفار الخروج واللاويين والعدد عرف ماتلك الطقوس من المكانة الجليلة والمنزلة الرفيعة فى نظر الله. وإذا كانت الطقوس هكذا محترمة عظيمة فى نظر الخالق فأحرى بها أن تكون اكثر احتراما فى نظر مخلوقاته لانها لم توضع إلا لمنفعتهم روحيا وجسديا.

** العهد الجديد **

اما فى العهد الجديد فإن العناية بالطقوس لم تكن باقل مما كانت عليه فى العهد القديم. فعندما اراد له المجد ان يمنح تلاميذه مواهب الروح القدس نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن امسكتم خطاياه أمسكت (يو ٢٠:٢٢) ولما أعطاهم جسده المقدس أخذ خبزا وبارك عليه ثم قسمه وأعطاهم (مت ٢٦:٢٦) ولما أراد أن يبارك الأطفال وضع يده

عليهم وصلى (مت ١٩:١٥) وهكذا عندما القى درس التواضع والمحبة على مسامع تلاميذه صب ماء فى مغسل أرجلهم (يو ١٣:٤) وذلك عدا ماجاء عن بولس الرسول فانه عندما كتب لأهل كورنثوس عن سر الأفخارستيا ختم كلامه بقوله لهم: واما الأمور الباقية فعندما اجئ ارتبها (١ كو ١١:٣٤).

هذا وأن التاريخ الكنسى وكثيرين من رجالات البروتستانت فى العصر الحاضر يؤيدون ماذكرناه من الادلة ويعطون للطقوس ماتستحقه من المكانة اللائقة بها فى الكنيسة ويعتبرونها كعامل من العوامل الصالحة لخير المؤمنين ونفعهم روحيا.

(التاريخ الكنسى)

لقد ثبت من أوثق التواريخ الكنسية وأصدقها أن الطقوس وجدت فى الكنيسة منذ عصر الرسل وذلك بشهادة كثيرين من الآباء الأول ولاسيما القديسين يوستينوس الشهيد والعلامة ترتليانوس اللذين شهدا أنها كانت تستعمل فى القرنين الأول والثانى.

(شهادة البروتستانت)

قال صاحب كتاب الصلاة العامة للكنيسة الأسقفية فى "صحيفة ا - ى" (وهناك طقوس أخرى غير التى تقدم ذكرها استثنينا حفظها وان كانت من اوضاع الناس حرصا على نظام كنسى حسن ولانها تؤدى المنفعة التى ينتهى اليها كل مايجرى فى الكنيسة كما علم بولس).

وقال احد مشاهير العلماء البروتستانت بأمريكا (ان اهمال الطقوس فى الكنائس البروتستانية كان من العوامل التى ساعدت على تفشى داء الكفر والالحاد بين العامة).

وهو قول حق لا مرية فيه لان الكنيسة بدون ممارسة الطقوس تكون جافة وحالتها تبعث على السآمة والملل لانتفاء مايشوق الناس ويرغبهم فى الاقبال عليها.

وخلاصة الامر أنه اذا أهملت الطقوس فى الكنيسة وانتفت انتفى معها النظام والترتيب بلا محالة وذلك مغاير للمبدأ الرسولى القائل: ليكن كل شئ بلياقة وبحسب ترتيب (١ كو ١٤:٤٠).

(شرح بعض الطقوس الكنسية)

واننا نذكر اتماما للفائدة بعض تلك الطقوس والترتيبات مشفوعة بشرحها وبيان قصد الكنيسة من وضعها فنقول :-

(١) تفرض الكنيسة على شعبها السجود امام هيكل الله على أثر دخولهم ذلك البيت المقدس عملا بقول الوحى الالهي: اما انا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك أسجد فى هيكل قدسك بخوفك (مز ٥:٧).

(٢) فرضت الكنيسة على ابنائها سبع صلوات يوميا تعرف بصلوات باكر والثالثة والسادسة والتاسعة والحادية عشر والثانية عشر ونصف الليل. فصلاة باكر تذكر المصلى بقيامة الرب من القبر باكر يوم الاحد. والثالثة تذكره بحلول الروح القدس على التلاميذ في علية صهيون والسادسة تذكره برفع السيد له المجد على خشبة الصليب والتاسعة بتسليم روحه الكريمة والحادية عشر بنزول جسده الطاهر من على الصليب والثانية عشر بوضعه فى القبر. أما صلاة نصف الليل فتجعله متأهبا ومستعدا لمجيئه الثانى الذى يكون بغتة وفى ساعة لا يعلمها أحد حسب قوله تعالى: ففى نصف الليل صار صراخ هوذا العريس مقبل (مت ٢٥:٦) وقول صاحب المزمور: فى منتصف الليل اقوم لاحمدك على

احكام برك (مز ١١٩:٦٢) وقد قررت الكنيسة أن يكون عدد الصلوات سبعا اعتمادا على ماجاء فى كلام الوحى الالهى عن مواقيت الصلاة: سبع مرات فى النهار سبحتك على احكام عدلك (مز ١١٩:١٦٣) هذا عدا التسابيح التى يتلوها المرتلون فى منتصف الليل أو فى الفجر قبل البدء فى خدمة القداس.

أما كون الكنيسة لا تصلى بالمزامير فى ليالى الأعياد السيدية الكبيرة قبل تقديم الحمل كالمعتاد فذلك لان هذه الصلوات وضعت لمواقيت العبادة نهارا أما تلك الأعياد فيحتفل بها ليلا.

(٣) بعد ان ينتهى المرتلون من تلاوة التسابيح التى ذكرنا انها تقال عند مطلع الفجر يبتدىء الكاهن حينئذ فى رفع البخور. أما رفع البخور هذا فتتلى فى خلاله مجموعة صلوات منوعة كالصلاة عن المرضى والمسافرين والمتوفين والهواء والزرع والماء وسلامة الكنيسة وانتشارها وحفظ شعبها ورعاتها ولاسيما عظيم أحبارها وذلك تنفيذا لقول الوحى الالهى: فاطلب أول كل شئ أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكي نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار (١ تى ٢:١).

(٤) تقدمة الحمل. يقدم طبق الحمل وعليه ثلاث قربانات خالية من العيوب فيختار الكاهن واحدة منها وذلك اشارة الى الثالوث الاقدس الذى تنازل منه اقنوم واحد وهو ربنا يسوع المسيح فقدم نفسه قربانا عن خطايا العالم أجمع.

نعم ان بعض الكنائس اعتادت أن تقدم على طبق الحمل اكثر من

هذا العدد وربما الذى حملها على ذلك كثرة الشعب الذى توزع عليه هذه القربانات فى نهاية الفراغ من القداس. غير أن ترتيب الكنيسة الأصلى هو ثلاثة فقط للعلة المذكورة.

وقد نشأت عادة توزيع قربانة الحمل المدعوة (بركة) فى نهاية القداس من أن المؤمنين كانوا فى البداية يشتركون جميعا فى التناول من جسد الرب ودمه. ولما رات الكنيسة انه غير متيسر للجميع الاستعداد التام للتناول من هذه المائدة المقدسة فى كل حين لذلك اكتفت بتوزيع هذه (البركة) على غير المستعدين منهم ريثما يستعدون فيتناولون.

اما امتياز قربانة الحمل عن غيرها من القربانات الأخرى فذلك لكونها كانت مرشحة لتنتخب جسدا لربنا ومن ثم حملت على هذا الامتياز العظيم والشرف الجزيل.

(٥) لا تنتخب القربانة لتصير جسدا لربنا إلا اذا كانت مختومة بختم خاص رسم عليه صليب وذلك لانه كما أن ربنا صلب على صليب هكذا يجب ان يرسم على القربانة التي تتحول الي ذلك الجسد المقدس صليب أيضا ليكون التمثيل وافيا بالغا منتهاه.

(٦) منعت الكنيسة وضع الملح فى القربان لا لأن الملح محرم فى ذاته ولكن لكونه مملحا للطعام. وبما أن هذا القربان يتحول بعد استدعاء الروح القدس عليه إلى جسد ربنا له المجد وهو بالطبيعة يملح الفساد والفاسدين فمن ثم أصبح فى غنى عن مادة كهذه لتملحه.

(٧) بعد ان يختار الكاهن القربانة المراد تقديمها ذبيحة يمسحها بقليل من الماء اشارة إلى عماد ربنا له المجد فى نهر

الاردن بيد يوحنا المعمدان.

(٨) بعد أن يمسح الكاهن القربانة بالماء ويذكر أسماء المؤمنين ولاسيما الذين قدموا هذه القرابين والذين قدمت عنهم سواء أكانوا أحياء ام أمواتا يلف هذه القربانة فى لفافة نقية ثم يحملها بوقار كلى على رأسه ويدور حول المذبح دورة واحدة إشارة إلى مافعله سمعان الشيخ إذ حمل على ذراعيه ربنا يسوع المسيح فى الهيكل وهو ملفوف بالاقمطة.

(٩) بعد أن يضع الكاهن القربانة فى المينية والخمر فى الكأس ممزوجا بقليل من الماء إشارة الى الدم والماء اللذين خرجا من جنب المخلص وهو على الصليب يتلو صلاة الشكر ويغطى الجميع بستر كبير يعرف اصطلاحا (بالابرسفورين) تنتهى اطرافه بجلاجل من الفضة ثم يضع على هذا الستر لفافة مغيرة وينحدر من الهيكل ساجدا. فالستر يمثل القبر الذى كان يضم جسد ربنا له المجد. واللفافة المغيرة تمثل ختم القبر. اما الجلاجل فتمثل برنينها وقت رفع الابرسفورين قرقعة الحجر وزلزلة الأرض اثناء قيامة المخلص من القبر.

(١٠) اعتاد الكاهن اثناء قراءة الرسائل أن يقدم البخور على المذبح أولا ثم ينحدر من الهيكل ويمر بين المصلين بمجمرته واضعا يده على رأس كل واحد منهم وذلك ليمنحهم البركة من جهة وليتفقدهم واحدا فواحدا من جهه أخرى ثم يكرر هذا العمل اكثر من مرة خلال قراءة الرسائل. وبعد أن يبتدى فى صلاة القداس وعلى اثر نهاية الاواشى ويبخر ايضا، فيقترب اليه الذين لم يحضروا قبل البدء فى صلاة القداس فيضع يده عليهم

ويباركهم اسوة بمن كانوا حاضرين وهكذا فى نهاية القداس يتقدم الشعب الى الكاهن فيضع يده على جباههم وهو يقول لكل منهم (اذهب بسلام الرب معك) مباركا اياه كما بارك السيد تلاميذه قبل صعوده الى السماء ويعرف ذلك الوضع "بالتسريح" وبهذه الوسيلة الحكيمة يستطيع الكاهن ان يعرف الذين حضروا فى الكنيسة والذين لم يحضروا فيتفقدهم فى منازلهم.

(١١) بعد ان يصلى الكاهن أوشية الانجيل يدخل الى الهيكل ويطوف حول المذبح بالبخور والشماس أمامه يحمل الانجيل والصليب مشيرا بهذا العمل الى كرازة الرسل بالانجيل فى أنحاء الأرض كلها.

(١٢) فى أثناء قراءة الانجيل يقف الشعب اجلالا ويوقد الشمامسة الشموع دليلا على أن الانجيل هو النور الالهى الذى أضاء على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت (مت ٤:١٦ وام ٦:٣).

(١٣) بعد ان ينتهى الكاهن من قراءة الانجيل يرفعه مصليا به على رؤوس الشعب فى الجهات الاربع مشيرا بذلك الى انتشار الانجيل فى اقطار المسكونة الاربعة.

(١٤) قبل أن يبتدىء الكاهن فى تلاوة أوشية الصلح يتقدم فيغسل يديه وهو يقول مخاطبا الروح القدس (تنضح على بزوفك فأطهر تغسلنى فأبيض اكثر من الثلج) وذلك استعدادا للمس وتناول الجسد المقدس كما فعل السيد بتلاميذه إذ طهر اجسادهم بالماء قبل تناولهم من هذه المائدة الرهيبة (يو ١٣: ٤) ثم يلتفت الى الشعب وينفض يديه المبتلتين نحوهم معلنا لهم بذلك براءته من ذنبهم امام الله إن لم ينقوا قلوبهم ويصلحوا من

انفسهم قبل التناول تاركين الواحد ماعليه لاخيه من الوجد والغضب اقتداء بسيدهم الذى صالح البشر مع ابيه ناقضا سياج العداوة المتوسط بينهم وبينه مجسده حسب منطوق الاوشية التى ياخذ فى تلاوتها على إثر ذلك العمل.

(١٥) فى اثناء صلاة القداس يقف الكاهن متجها الى الشرق ويقف الشماس مقابله متجها الى الغرب اشارة الى الملاكين اللذين كانا واقفين حيث جسد ربنا له المجد احدهما عند الراس والآخر عند الرجلين (يو ٢٠:٢).

(١٦) اعتاد الكاهن قبل ان يشرع فى تلاوة القطعة التى مطلعها (تجسد) ان يحرق بخورا فى المجمرة وهو يقول (تجسد وتانس) وذلك اكراما لذكر التجسد الالهى المجيد واشعارا برائحته الزكية التى لم تلبث أن تضوع أريجها فى الكون حتى استنشق العدل الالهى رائحة الرضى عن الخلق جميعا. وكذلك ايضا قبل ان ياخذ فى تلاوة القطعة التى مطلعها (وضع لنا هذا السر العظيم) يضع كلتا يديه على المبخرة معطرا اياهما بتلك الرائحة الزكية لتصيرا اهلا للمس الجسد المقدس والدم الكريم. ثم ياخذ بخورا بين يديه ويقدمه بوقار كلى للمائدة المقدسة مشيرا بذلك إلى ان الموضوع امامه على المذبح هو الاله الذى يستحق تقديم البخور والسجود. وفى الوقت نفسه يشير الى اللبان الذى قدمه له المجوس فى بيت لحم اليهودية كما أنه يكون ذكرا مناسبا لذلك الحنوط الزكى الذى تحنط به جسده المقدس.

(١٧) عندما يقول الكاهن (قسمه واعطاه لتلاميذه) يجرى بعض

تقسيمات فى القربانة فى الوسط وعلى الطرفين غير منفصلة دالا بذلك على أن القربانات التى لحقت جسد المخلص مع عنفها وشدتها لم تستطع أن تكسر عظما واحدا من عظامه.

(١٨) بعد أن يتناول الكاهن من الجسد ويناول الشمامسة أيضا يرفع الصينية ويتجه نحو الشعب مباركا اياه فيسجد الجميع اكراما واجلالا للجسد المقدس هاتفا (مبارك الآتى باسم الرب) ولم يكن قصد الكنيسة من ذلك منحصرا فى أعطاء البركة للشعب فقط ولكن بنوع أخص لمناولة العلمانيين الذين لم يحملوا على درجة الشماسية لأنه غير مسموح لغير الشمامسة أن يدخلوا الهيكل ومن ثم يقفون على بابه وهناك يتناولون.

(١٩) اعتادت الكنيسة أثناء التناول من المائدة المقدسة أن ترتل بالمزمور المئة والخمسين اقتداء بربنا يسوع المسيح الذى بعد أن انتهى من تناول العشاء السرى سبح هو وتلاميذه بالمزامير ثم خرجوا الى جبل الزيتون (مت ٢٦ : ٣٠).

(٢٠) تأمر الكنيسة بتقديم الذبيحة المقدسة يوميا على مدار السنة ماعدا الثلاثة الأيام الأولى من اسبوع الآلام وهى (الاثنين والثلاثاء والاربعاء) وذلك لا لأن رفع القرابين محرم فى هذه الأيام وانما تفعل ذلك لتمثل ماكان يفعله الاسرائيليون بخروف الفصح الذى أمر الله أن يكون محفوظا عندهم من اليوم العاشر من شهر نيسان حتى اليوم الرابع عشر منه أى يمكث عندهم محفوظا من الذبح ثلاثة ايام ثم يذبحونه. وبما أن خروف الفصح كان رمزا لهذه الذبيحة المقدسة فمن ثم تأمر الكنيسة بالكف عن تقديمها هى أيضا ثلاثة أيام منذ يوم أحد الشعانين حتى يوم

خميس العهد. وفي هذا اليوم نحتفل بتقديمها اي بتقديم فصحنا الجديد كما كان يفعل الاسرائيليون بحمل فصحهم العتيق.

(٢١) امرت الكنيسة ان يصلى صلاة الموتى على حوض مملوء ماء او اناء من الاواني العادية اثناء توزيع الاسرار المقدسة يوم احد الشعانين ويرش منه على المصلين حتى اذا مافارق احدهم الحياة في هذا الأسبوع لا يحرم من الصلاة المعتادة على الموتى لعدم جواز تقديم الذبيحة المقدسة ورفع البخور في اكثر ايام اسبوع الآلام للاسباب المتقدمة (في علة منع تقديم الذبيحة) ولكي يكون الاسبوع خصيصا لذكرى الآم ربنا وحده. غير ان العامة لجهلهم السبب الذي لاجله تصلى الكنيسة على هذا الماء يتوهمون انه لتكريس السعف ومن ثم يحدثون جلبة وضوضاء اثناء الصلاة على هذا الاناء تجعلان الكنيسة سوقا اكثر منه بيتا للصلاة والعبادة.

(٢٢) تمنع الكنيسة ابناءها التقبيل منذ صباح يوم الأربعاء من اسبوع الآلام حتى يوم الخميس وذلك لكي تذكرهم بقبلة يهوذا الخائن فيتجنبوا كل قبلة غاشه.

(٢٣) تطفأ الانوار جميعها يوم جمعة الصلبوت من الساعة السادسة حتى الساعة التاسعة ليذكر الجميع الظلمة التي حدثت في يوم الصلب ودامت ثلاث ساعات متوالية.

(٢٤) تامر الكنيسة بايصاد ابواب الهيكل ونوافذه اثناء الاحتفال بحادثة القيامة المجيدة لتمثل بذلك القبر الذي قام منه السيد وهو مختوم.

(٢٥) على أثر تمثيل حادثة القيامة ليلة عيد الفصح المجيد

يحمل الشمامسة إيقونة القيامة ويطوفون بها في جهات الكنيسة الأربع وأمامها الكهنة يحملون المجامر والملبان إشارة الى ظهور ربنا له المجد لتلاميذه وبعض المؤمنين على اثر قيامته من بين الاموات. ثم يكرر هذا العمل كل ما احتفلت الكنيسة بخدمة القداس منذ ليلة عيد الفصح حتى يوم عيد الصعود تذكارا لظهور ربنا المتواتر لتلاميذه فى مدة الاربعين يوما الواقعه بين القيامة والصعود.

(٢٦) تقيم الكنيسة صلاة خاصة مساء عيد العنصرة يعرف (بالسجدة) وذلك تذكارا لحادثة حلول الروح القدس على التلاميذ صباح ذلك اليوم العظيم. وقد كانت الكنيسة تحتفل بهذه الصلاة صباح يوم العيد على أثر قراءة فصل الابركسيس ولكن لما رات ان ذلك يرهق المصلين أرجاتها لعصر اليوم نفسه فى حفلة خاصة واكتفت بان اشارت اليها بعض قراءات تتلى قبل انجيل القداس.

هذا فضلا عما يراه القارىء مشروحا من الطقوس الاخرى فى باب الاختلافات العقائدية والاصوام والاعياد والمذبح والبخور والحجاب وما يجرى فى ممارسة أسرار الكنيسة السبعة المقدسة وغير ذلك.

الفصل الثالث

فى

الاسرار

تمهيد: بما أن أسرار الكنيسة من اهم عقائد الايمان ومبادىء الشريعة الجديدة واركان العهد الجديد كما انها ذات علاقة جوهرية بخلاص النفوس وتطهيرها من شوائب الدنس والخطيئة لهذا اصبحت مكانتها فى اسمى المراتب واحدثها وجدير بنا أن نتكلم بما قد يفى بالحاجة موضحين نشأتها وضرورتها وعظمة شأنها وفاعليتها العجيبة وماتستحقه من الاستعداد التام للحصول على نعمها الفائقة وبركاتها الغزيرة.

فصل

فى

(١) تعريف الأسرار (٢) عددها (٣) شرطها (٤) عملها (٥) تقسيمها (٦) فوائدها (٧) خادمها.

(١) تعريف السر: السر هو عمل مقدس به ينال المؤمن نعمة منظورة تحت مادة منظورة. والمسيح له المجد بما انه هو مصدر النعمة ورئيس الطبيعة له القدرة أن يوصل تأثيرات النعمة الفائقة الطبيعة الى الامور الطبيعية او بعبارة أخرى (السر هو علامة حسية سنها السيد المسيح لتشير الى النعمة ومنحها) ومفاد هذا التعريف أن قوام السر لابد له من ثلاثة. اشارة حسية. وشرع الهى وقوة تخويل النعمة الموعود بها من السيد له المجد.

(٢) عدد الأسرار: الاسرار سبعة وهى (١) المعمودية (٢) المسحة او الميرون المقدس (٣) الافخارستيا (اى الشكر) او سر القربان (٤) التوبة او الاعتراف (٥) مسحة المرضى أو الزيت المقدس (٦) الزيجة الشرعية (٧) الكهنوت .

أما اعتقاد الكنيسة أن عدد الأسرار سبعة بلا زيادة ولا نقصان فقد جرت فيه على التقليد لان الكتاب أغفل هذا الحصر ولم يتعرض لذكره غير أن ذلك لا يقدح فى صحته ولا يضعف من حقيقته . وذلك لان شهادة التقليد الرسولى معادلة لشهادة الكتاب الالهى. كما أن اجماع الكنائس الرسولية كلها منذ الأجيال الأولى على هذا العدد يعتبر ايضا من أقوى الادلة التى تثبته وتؤيده وتمنع كل شبهة تحوم حوله .

قال القس بنيامين شنيدر البروتستانتى فى كتابة ريحانة النفوس ص ١٦٩ (إن بطرس لبرد وغرشيان اللذين ظهرا سنة ١١٢٤ م عينا العدد سبعة "أى عدد الاسرار" وتوما اكوينا عضد هذا الراى واوضحه بأجلى بيان) .

على أن الكنائس البروتستانتية لم تاخذ بهذا العدد بل اختلفت فيه عن الكنائس الرسولية اختلافا بينا رغم كونه ثابتا ومتداولا ومحقق النفوذ.

فلوثر وملانكتون قبلا منه المعمودية والعشاء الربانى والتوبة . غير انهما اعتقدا باصالة الاولين دون الثالث (لوثر فى كتاب سبى بابل ص ٢٢٦) .

وزونيكيلوس وكلفينوس انكرا التوبة . وقبل أولهما الزيجة وثانيهما الكهنوت.

أما البروتستانت العصريون فقبلوا سرين فقط وهما المعمودية والعشاء الرباني. ورفضوا الأسرار الخمسة الاخرى وهى التثبيت والاعتراف والكهنوت والزيجة ومسحة المرضى. غير أن التثبيت تقبله الكنائس اللوثرية والانكليزية الاسقفية والمصلحة الجرمانية نظير عمل يضاف الى معمودية الاطفال بعد تعليمهم التعليم المسيحى. وترفضه باقى الكنائس الانجيلية. وسر الاعتراف تستحسنه الكنائس اللوثرية والاسقفية على الراعى سرا فى بعض الاحوال وترفضه الكنائس الاخرى. والحلة الكهنوتية من الخطايا بالسلطان الالهى يرفضها جميع الانجيليين ويعتقدون أن كل المؤمنين كهنة بالاجمال. كما انهم يرفضون أيضا سر المسحة ويحسبون أن ما جاء فى (يع ٥:١٤) المعول فيه على الصلاة لا على الدهن بالزيت الذى هو علاج طبيعى.

هذا عدا فساد رأيهم فى الشروط المطلوبة لاتمام السر. فلوثر كان يزعم أن تكميل السر لا يقتضى كاهنا أو اسقفا لأن كل مسيحى له الكفاءة والأهلية أن يتمم الاسرار سواء أكان اكليريكيا أو علمانيا رجلا او امرأة. بينما الكتاب يعلم صريحا ان اتمام الأسرار منوط بالكهنة دون غيرهم. قال يعقوب الرسول: أمريض احد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب (يع ٥:١٤) وقال بولس الرسول: هكذا فليحسبنا الانسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله (١ كو ٤:١) وفوق ماذكر فان المسيح نفسه حصر حق اتمام الاسرار فى تلاميذه دون غيرهم من بين المؤمنين باسمه كما هو ظاهر مما جاء فى قوله عن اتمام أسرار المعمودية والعشاء الربانى والحلة الكهنوتية.

فعندما اسس له المجد السر الأول اى المعمودية لم يخول حق ممارسته لسائر المؤمنين بل خص به تلاميذه وحدهم وبالنتيجة لعامة الكهنة خلفائهم بقوله لهم: اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨:١٩).

وعندما أسس السر الثانى أمر تلاميذه ان يقوموا وحدهم بخدمته بقوله لهم: هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم اصنعوا هذا لذكرى (لو ٢٢:١٩) وهكذا فعل أيضا عندما أسس السر الثالث فانه لم يمنح حق ممارسته المؤمنين على السواء بل قصر ذلك على الاثنى عشر رسولا فقط بقوله: اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن امسكتم خطاياه أمسكت (يو ٢٠:٢٢) ومن هنا تتضح أحقية الكنائس التى تحصر أمر اتمام الاسرار فى الكهنة وحدهم وفساد رأى القائلين بعكسه.

(٣) شروط الاسرار: يتمم كل سر بثلاثة شروط (١) بالاشياء كمادة (١) (٢) بالكلمات كصورة (٢) (٣) بالشخص الخادم (٣) ان يفعل كما تفعل الكنيسة.

(٤) عمل الاسرار: تعمل الأسرار عملها بقوة الترتيب الالهى بدون أدنى تعلق بعمل العامل. اى لا يشرط لصحة السر صلاح لخادم ولا إيمان القابل. لان قوة السر بحسب النعمة التى تمنحها ليست متعلقة باستحقاق خادم السر بل هى متعلقة على الخصوص باستحقاق وإرادة ربنا يسوع المسيح الذى هو نفسه يتمم

---

(١) مثل الميرون فى سر المسحة (٢) كقول الخادم فى سر المعمودية اعمدك باسم الآب والابن والروح القدس (٣) اى الكاهن.

السر بوجه غير منظور ومن ثم ترفض الكنيسة الرأى القائل (إن عدم كفاية إيمان المتقدم الى السر تعرى السر نفسه من كماله وتمامه).

قال القديس اغريغوريوس (كل واحد هو مستحق ان تصدقوا انه يطهركم. ويكفيه لذلك إن يكون واحدا من الذين أخذوا السلطان ليغفروا الخطايا ولم يصيروا مرفوضين علانية من الكنيسة. ثم ضرب لذلك مثلا فقال: (عندى خاتمان احدهما من ذهب والآخر من حديد وكلاهما عليهما الصورة الملوكية نفسها وأطبع بكليهما طبعة على شمع فبماذا تمتاز طبعة الواحد عن طبعة الآخر انها لا تمتاز بشئ. فان كنت أنت ممتازا بحذاقة عقلك فاحكم فى طبع المعدن على الشمع. وقل لى اية صورة من هاتين الصورتين هى صورة الخاتم الذهبى واية هى صورة الحديدى ولماذا الصورتان كلتاهما متشابهتان لانه وإن كانت المعادن مختلفة ليست مباينة فى الصورة الاصلية. فقابلوا على ذلك كل واحد من الكهنة الذين يعمدونكم. فالواحد يمكن ان يمتاز عن الآخر بالسيرة الروحانية غير أن قوة المعمودية واحدة).

وقال القديس اغسطينوس (ان السر يتعلق بالله. وما الانسان إلا خادم بسيط فان كان الانسان صالحا فيكون موافقا لله ويعمل بالله. وإن كان شريرا فالله يمنح أيضا به نعمته غير المنظورة كما بآلة. ولا تظنوا ان الاسرار تتعلق بآداب البشر واعمالهم فانها مقدسة ونابعة من الله القدوس).

هذا ومن جهة خادم السر. أما القابل للسر فان إيمانه وعدمه لا يؤثران أيضا على صحة السر فى شئ ما. وإلا لما سمحت الكنيسة

منذ البداية باعطاء الاسرار للاطفال وهم لم يدركوا معنى الايمان.

قال القديس كيرلس (لو كان سر الافخارستيا يتوقف كماله على إيمان المشترك لكان المشتركون بغير استعداد لا يلحقهم شئ من الدينونة لانهم بعدم ايمانهم يكونون اشتركوا فى خبز بسيط وخمر بسيط ليس إلا).

على انه وإن كان السر يعمل عمله بدون ادنى تعلق بعمل العامل إلا انه يجب على الكاهن الذى يباشر خدمة السر ان يكون بقدر المستطاع منزها عن الخطا طاهر الروح والجسد مؤمنا بصدق مايباشره لأنه خادم المسيح ووكيله ويشترط فى الوكيل ان يكون مماثلا للاصيل وإلا ازدرى بالله ومسيحه لمباشرته اسراره الآلهية وهو غير اهل لها فينجسها ويعرض نفسه لدينونة رهيبة.

أما المنح الاخرى التى تعتبر كأشباه الأسرار فان تمامها يتوقف على طهارة الخادم وايمان القابل.

(٥) <u>تقسيم الأسرار</u>: تنقسم الأسرار (١) الى ضرورية وغير ضرورية (٢) والى واسمة وغير واسمة.

فالضرورية هى المعمودية والميرون والتناول والاعتراف ومسحة المرضى. والغير الضرورية هى الزيجة والكهنوت. الا انهما غير ضرورين بالنسبة الى الأفراد ولكنهما ضروريان بالنسبة الى الهيئة الاجتماعية.

اما الأسرار التى تتسم فهى المعمودية والميرون والكهنوت. والوسم عبارة عن ختم روحى غير قابل الازالة ومانع من اعادة السر مرة اخرى. قال بولس الرسول: ولكن الذى يثبتنا معكم فى

المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضا وأعطى عربون الروح فى قلوبنا (٢ كو ١:٢١-٢٢).

(٦) فوائد الأسرار وثمارها: إن للأسرار فوائد هامة وثمارا جليلة من شأنها أن تكفل خلاص النفس والجسد وتمنحهما السعادة الحقة دنيا وأخرى.

(١) فالمعمودية تنير الذهن وتجدد الضمير وتبرر من الخطايا الجدية والفعلية (اع ٢:٤٧).

(٢) والميرون يقوى على المجاهرة بالدين عند الاقتضاء ويساعد على نشر الايمان فى الوقت المناسب (اع ٧:٥٥).

(٣) والأفخارستيا تمنح قوت الحياة الروحية والثبات فى المسيح (يو ٦:٣٥).

(٤) والتوبة تغفر الخطايا التى ترتكب بعد المعمودية (يع ٥:١٥).

(٥) ومسحة المرضى تزيل أمراض الجسد والروح وتدفع عنهما التجارب (يع ٥:١٤).

(٦) والزيجة تقمع الشهوات وتعمل على بقاء الذرية البشرية (تك ١:٢٨).

(٧) والكهنوت يجعل خدام الدين أهلا للقيام بمهنتهم الجليلة وهى ممارسة الأسرار المقدسة أى يصيرون خداما رسميين (يو ٢٠:٢٣).

قال القديس بطرس (إننا بسر المعمودية نصير أعضاء فى جسد المسيح. وبسر التثبيت نصير هياكل للروح القدس. وبسر القربان نتغذى من الذات الالهية أما بالأسرار الأخر الأربعة فنصير أصحاب

المسيح وخدامه واحبائه).

(٧) خادم الأسرار: خادم الأسرار هو من يباشر عمل الاسرار باسم المسيح على أنه قائم مقامه. ويشترط فيه أن يكون اسقفا أو قسا. لأن ربنا له المجد لم يخول خدمة الاسرار الا لرسله الكرام وخلفائهم الكهنة فقط.

(راجع ماجاء عن ذلك في صحيفة ٢٠٤)

(١) سر المعمودية

الفصل الأول

في

(١) ماهية المعمودية (٢) مادتها (٣) صورتها

(١) ماهية المعمودية: المعمودية هى سر مقدس به نولد ميلادا ثانيا بالماء والكلمة. قال بولس الرسول: كما أحب المسيح ايضا الكنيسة وأسلم نفسه لاجلها لكى يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة (اف ٥:٢٥).

والمعمودية هى أول سر فرضه ربنا يسوع المسيح من أسرار الشريعة الجديدة السبعة ليكون بابا يدخل منه الانسان مبررا الى كنيسة الله من جهة. وليصبح اهلا لنوال الأسرار الاخرى من جهة ثانية. لانه لو قبل سرا من باقى الاسرار وهو غير معمد كان قبوله اياه ماديا فقط لا سريا ولا روحيا (أى بدون نيل ثمرته) فاذا تناول القربان المقدس مثلا كان تناوله اياه حقيقيا باعتبار كيانه المادى لا باعتبار كيانه السرى أو الروحى. ولقد أشار الى ذلك بطرس الرسول بقوله: وليعتمد كل منكم على اسم يسوع المسيح فتقبلوا عطية الروح القدس (اع ٢:٣٧).

(٢) مادة المعمودية: ان المادة الصحيحة للمعمودية إنما هى الماء الطبيعى العنصرى الصالح للغسل. أما السوائل الاخرى كالخل والخمر والزيت واللبن وعصير الأزهار وأمثالها فهى مادة غير صحيحة ويحرم استعمالها مطلقا لان السيد له المجد واضع هذا السر ومؤسسه اعتمد فى الماء (مت ٣:١٦) وقال لنيقوديموس:

ان كـان احد لا يولـد من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله (يو ٣:٥ واف ٥:٢٥ واع ١٠:٤٧).

وقد اختار السيد له المجد الماء مادة لهذا السر لاعتبارات كثيرة اهمها اثنان :

(١) لسهولة وجوده فـى كـل مكـان لمنح هذا السر الضروري للجميع.

(٢) لكـون التبرير هو بمنزلة غسل للنفس من اقذار الخطيئة فكـانت الاشارة اليه بنضح الماء في منتهي اللياقة والمناسبة. ومـن ثم قـال بطرس الرسول: الذى مثاله يخلصنا نحن الآن اى المعمودية لا ازالـة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامـة يسوع المسيح (١ بـط ٣:٢١) وقال القديس اغريغوريوس (بمـا أننـا مركبون من شيئين اعنى من نفس وجسد أحدهما طبيعة منظـورة والآخر طبيعـة غير منظورة فلهذا جعل التطهير مضاعف اعنى بالماء والروح اما الواحد فيؤخذ ظاهرا جسديا واما الآخر فيأتى منزها عن الجسم المحسوس وبنوع غير منظور) وقال القديس اغسطينوس (ماهى معمودية المسيح إلا حميم ماء نقى وبعض عبارات تقـال عليـه فان نزعتم الماء فليس تعميدا او حذفتم العبارات فليس تعميدا ايضا).

(٣) <u>صورة المعمودية</u>: يتم سر المعمودية بتغطيس المتعمد ثلاث دفعات في الماء باسم الثالوث الأقدس الاب والابن والروح القدس تنفيذا لامر السيد لـه المجد القائل: اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨:١٩).

وقد يتم العماد بهذه الصورة لاسباب شتى أهمها :-

(١) لكى يتضح لنا من اين تصدر هذه القوة الالهية اى قوة سر العماد فبهذه الصورة نعلم انها صادرة من الآب الذى ارسل ابنه ليموت من أجل البشر. ومن الابن الذى رسم هذا السر الآلهى وسقاه بدمه الكريم وصيره مثمرا النعمة فى النفوس وموجدها ومن الروح القدس الذى يقدس النفوس فى أدناس الخطيئة ويطهرها باطنا كما ان المياه تغسل الأجساد وتطهرها ظاهرا.

(٢) ليعلم بذلك المتعمدون كافة انهم يقتبلون سرا الهيا لا طقسا بشريا.

(٣) لئلا ينفصل الله بنوع من الانواع اذا اعتمدا البعض من الناس باسم الآب فقط والبعض باسم الابن فقط او باسم الروح القدس فقط فإنه كان يحدث من ذلك أن يقول البعض من الناس نحن للآب والبعض نحن للابن والبعض نحن للروح القدس.

فاذن معنى قول سيدنا يسوع المسيح لتلاميذه (عمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس) انه يقول لهم امضوا عمدوا الامم والشعوب ولكن لا باسمكم بل باسم الآب والابن والروح القدس معترفين بذلك أن الذى تفعلونه ليس تفعلونه باسمكم واقنومكم بل باسم الاله الواحد المفهوم بثلاثة أقانيم الهية وليس هو عمادكم بل هو عماد الله تعالى نفسه.

ولا يصح الاكتفاء بذكر أقنوم واحد وقت العماد بل يجب ذكر الثلاثة الاقانيم لأن الاسرار المقدسة ليس لها قوة تقديس الأنفس وتطهيرها الا من قبل رسمها من السيد المسيح له المجد ومن ثم اذا ترك أحد فى منحها شيئا من الاشياء المرسومة من المسيح فيكون ذلك السر الممنوح باطلا وعديم القوة.

وحيث ان سيدنا له المجد رسم أن يكون هذا السر الالهي بدعوة الثلاثة الأقانيم ملفوظة بكلام محسوس فينتج اذن انه اذا نقص شئ من الثالوث المقدس في سر العماد نظرا الى ترتيب السيد ورسمه فيكون ذلك العماد باطلا لا محالة. وليس يكفي لمن يعمد باسم المسيح أن ينوي ويقصد بهذا الاسم الاقنومين الآخرين أيضا بل هو ملتزم ضرورة أن يلفظ بكلام محسوس الثلاثة الاقانيم فردا فردا حسب ترتيب الشارع نفسه له المجد. كما أنه لا يجوز للمعمد أن يقول اعمدك (يافلان) باسم الثالوث فقط لان لفظة الثالوث لا تدل على الأقانيم الثلاثة الا دلالة ضمنية مع أن السيد أراد التصريح بذكر كل من الاقانيم كما يتبين مما جاء في (مت ٢٨:١٩) وسبب ذلك هو أن تكميل السر لا يطلب مادة محسوسة فقط بل يطلب أيضا صورة محسوسة وواضح أن دعوة الاقانيم الثلاثة الالهية هي صورة العماد المحسوسة المرسومة منه تعالى بقوله لتلاميذه (عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس) ومن ثم ظهرت الأقانيم الثلاثة بعلامة محسوسة في عماد ربنا الذي هو ينبوع تقديس اعتمادنا. فالاب ظهر بالصوت والابن بالطبيعة البشرية والروح القدس بهيئة حمامة.

قال القديس اثناسيوس في رسالته الى سيرابيون (من يرفض هذا الاقنوم او ذاك من الثالوث الأقدس ويعتمد باسم الآب فقط او الابن وحده او الآب والابن خلا الروح القدس فذاك لا يشترك بالسر أصلا لان الكمال والخلاص هما في الثالوث) وقال القديس باسليوس (ان الايمان والمعمودية هما طريقان للخلاص متحدتان احداهما بالاخرى وغير منقسمتين لان الايمان يكمل بالمعمودية والمعمودية

تؤيد بالايمان وكلاهما يكمل بالاسماء نفسها لاننا كما نؤمن بآب وابن وروح قدس هكذا نعتمد أيضا باسم الآب والابن والروح القدس).

نعم لقد ورد في الكتاب المقدس أن العماد كان باسم المسيح فقط حيث قال بطرس الرسول في وعظه لليهود: توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح (اع ٢:٣٨) وقال لوقا الانجيلي عن اهل السامرة: وباسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالا ونساء (اع ٨:١٢و١٦) وقال أيضا عن اهل افسس فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع (اع ١٩:٥).

غير أن ذلك لا يدل على أن الرسل كانوا يعمدون باسم يسوع المسيح وحده بل يدل على أنهم كانوا يعمدون بمعمودية يسوع المسيح لا بمعمودية يوحنا والحال أن معمودية المسيح لم تكن لتمنح الا باسم الثالوث الاقدس. أو ربما يكون الرسل في زمانهم زادوا على الصورة المرتبة من السيد له المجد ذكر اسمه كان يقول المعمد (أعمدك يافلان باسم الآب والابن يسوع المسيح والروح القدس) وذلك لكي يطبعوا في قلوب المؤمنين الايمان بهذا الاسم الجديد وتكريمه ومحبته.

الفصل الثانى

فى

تأسيس سر المعمودية ورسمه

من المحقق أن سر المعمودية قد أسسه ربنا يسوع المسيح له المجد بقوله لتلاميذه : اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨:١٩) .

اما رسم هذا السر وحصوله على قوة ايلاد النعمة فى انفس المعتمدين فكان فى اليوم الذى اعتمد هو فيه من يوحنا المعمدان. لأن قوة الاسرار بايلاد النعمة فى نفوس المؤمنين إنما تصدر من رسمها . ومن ثم ينتج ان سر المعمودية بحسبما هو سر قد ارتسم فى وقت عماد ربنا له المجد اما الالتزام بقبوله لم ينادى به الا بعد موته وقيامته المجيدة وذلك لسببين :

(أولا) لان الأسرار العتيقة التى كانت عبارة عن الأسرار الحديثة ورسومها لم تنته وتبطل الا حال موت السيد المسيح لان النظام اليهودى ظل قائما طيلة حياته المقدسة على الارض. وقد اكبر له المجد ذلك النظام فلم يترك شيئا من فرائضه . لذلك لم تلتزم الناس بالمعمودية التى هى عوضا عن الختان الا بعد موته وقيامته .

(ثانيا) لان الانسان بعماده يماثل موت السيد المسيح وقيامته من حيث أنه بهذا السر الالهى يموت عن الخطيئة ويقوم بحياة البر الجديدة . ومن ثم كان يجب اولا أن يموت المسيح ويقوم من الموت ثم تلتزم الناس بأن تماثله فى موته وقيامته .

الفصل الثالث

فى

(١) وجوب إتمام قسم المعمودية المنظور بالتغطيس

(٢) جوازه بالرش

(١) وجوب اتمام قسم المعمودية المنظور بالتغطيس: إن قسم المعمودية المنظور يجب أن يتم بتغطيس المتعمد فى الماء ثلاث دفعات باسم الثالوث المقدس الآب والابن والروح القدس (مت ١٩:٢٨).

قال القديس باسليوس الكبير (فبثلاث غطسات ودعاء مساو لها فى العدد يتم سر المعمودية العظيم) فالتغطيس اذن هو الطريقة الوحيدة لاتمام هذا السر الجليل وذلك للأسباب الآتية:

١ - لأن السيد المسيح له المجد قبل المعمودية بالتغطيس حيث قيل عنه: فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء (مت ١٦:٣) والصعود من الماء يدل بدهيا على الانغماس فيه.

٢ - لأن الخصى قبل المعمودية من يد فيلبس بالتغطيس ايضا بدليل نزولها من المركبة عندما اقبلا على بركة فيها من الماء مايغطى كل جسمه وإلا لو كان الخصى قبل المعمودية بالرش لكان الماء الذى فى مركبته كفاه مؤونة النزول والصعود لانه لا يعقل ان مسافرا مثله لا يكون عنده من الماء فى مركبته مايكفى لعمل بسيط كهذا (راجع اع ٣٩:٨).

٣ - لأن المعمودية هى مثال موت المسيح ودفنه اى أن تغطيسنا

ثلاث مرات فى جرن المعمودية دلالة على نزول ربنا ومكثه فى القبر ثلاثة أيام ومعودنا من جرن المعمودية دلالة على قيامته من القبر أيضا. وهو له المجد دفن فى الارض ونحن ندفن فى الماء لان نسبة الماء الى الارض قريبة لاختلاطهما ببعض. وكما أن الميت لا يدفن منه عضو ويترك الآخر ظاهرا هكذا يجب أن يكون المعتمد ايضا. ومن ثم قال بولس الرسول: مدفونين معه فى المعمودية التى فيها اقمتم ايضا معه بايمان عمل الله الذى اقامه من الاموات (كو ٢:١٢) وقال أيضا: أم تجهلون اننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما اقيم من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضا فى جدة الحياة (رو ٦:٣).

٤ - لأن المعمودية هى ولادة ثانية والولادة من شانها أن تشمل سائر اعضاء الجسم لا جزءا منه. قال بولس الرسول: بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس (تى ٣:٥).

وفوق ماذكر فان كلمة (فابنزما) اى المبغ أو العماد (حسب ترجمتها فى اليونانية) معناها ادخال الشئ فى قلب السايل مع كبسه. وهذا بالطبيعة لا يكون إلا بالتغطيس.

قال موسهيم المؤرخ البروتستانتى (وكان الاسقف أو القسوس تحت امره يعمدون مرتين فى السنة أى فى الفصح والأحد الجديد الذى بعد الفصح. ومن جهة الطالبين يظن انهم كانوا يغطسون فى الماء كليا مع الابتهال للثالوث حسب أمر المسيح بعد أن يكونوا قد تلوا مايسمونه القانون ويرفضوا كل خطاياهم

ومعاصيهم ولا سيما الشيطان وجنوده وكان يرسم الصليب على المعتمدين ويمسحون ويستودعون الله بالصلاة ووضع الايدى وكانوا يظنون أن فاعليتها غفران الخطايا ويعتقدون ان الاسقف بوضع الايدى والصلاة يمنح مواهب الروح القدس اللازمة لقضاء حياة مقدسة (كتاب ٢ قرن ٤ قسم ٢ فصل ٤).

وقال صاحب كتاب علم اللاهوت البروتستانتى فى المجلد الثانى ص ٤٢١ (أن قسما من الانجيليين يفضل التغطيس بل يحسبه ضروريا للمعمودية الحقيقية).

وجاء في قاموس الكتاب المقدس المطبوع فى لندن سنة ١٨٧٣ ص ١٤٢ ما نصه (لوحظ أن كلمة معمودية هو الادخال فى الماء أو التغطيس وأن يوحنا المعمدان عمد فى الاردن واختار محلا حيثما توجد المياه بكثرة. وأن يسوع صعد من المياه وأن فيلبس والخصى نزلا كلاهما فى المياه وان الغسل أو التطهير فى المعمودية المذكورة في الكتاب المقدس يشير إلى أن التغطيس فقط هو العادة التى استعملها الرسل والمسيحيون الاول ولكنها تركت حبا فى الجديد (المودة) ولبرودة الطقس. وهذه التاكيدات هى واضحة من الكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة).

هذا وقد كانت الكنائس الرسولية جمعاء شرقية وغربية تتمم سر المعمودية بالتغطيس كما تسلمت من الرسل حتى القرن الثالث حيث غيرت الكنيسة الرومانية هذه العادة الرسولية واخذت تتمم هذا السر بطريقة الرش ثم نقل عنها البروتستانت مستندين فى ذلك على الحادثة الواردة فى سفر الاعمال التى علق عليها الدكتور وليم ادى الامريكانى فى شرحه لها بقوله (ولم يذكر

هنا شئ من كيفية المعمودية بالرش كانت ام بالتغطيس والارجح انها كانت بالرش لان الوقت يضيق بتغطيس ثلاثة الآف والاحوال لا توافق ذلك) هذا هو تعليقه على تلك الحادثة مع انه ليس هنالك في الحقيقة مايمنع من تغطيس مثل هذا العدد او اكثر منه في احد الانهار كالاردن مثلا في يوم واحد ولا سيما ان ذلك تم على يد الهيئة الرسولية كلها (راجع اع ٢:٣٧).

(٢) جواز العماد بالرش: اما الرش فتجيزه الكنيسة في أحوال استثنائية كالمرض الشديد والاشراف على الموت وذلك شاذ والشاذ مما لا يستقيم به القياس.

قال القديس كبريانوس (ان سر المعمودية لا يعدم قوته ولا صحته اذا تم عند الضرورة بالرش).

الفصل الرابع

فى

علة عدم اعادة المعمودية

تعترف كنيسة المسيح المقدسة بمعمودية واحدة فقط. اى انه لا يعاد سر المعمودية لمن اعتمد قانونيا وذلك للاسباب الآتية :-

(١) لان المعمودية مثال موت المسيح ودفنه . والمسيح له المجد مات مرة واحدة (رو ٦:٩).

(٢) لانها ولادة روحية والانسان لا يولد الا مرة واحدة (يو ٣:٥).

(٣) لانها ترسم فى كل واحد ختما لا يمحى ولا يستاصل بل يستمر باقيا عليه كل ايام حياته.

ولهذه الأسباب مجتمعة لا يمكن اعادة المعمودية مطلقا. ولقد كان بعض المؤمنين فى عهد الرسل يتوهمون انه يسوغ لهم ان يكرروا العماد اكثر من مرة تطهيرا من خطاياهم فأزال بولس الرسول وهمهم هذا ودفع ضلالهم بقوله: لان الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركة الروح القدس وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى وسقطوا لا يمكن تجديدهم (اى تعميدهم) أيضا للتوبة اذ هم يصلبون لانفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه (عب ٦:٤) ومعنى ذلك أن الذين اعتمدوا ثم فعلوا الاثم على أن يعتمدوا ثانية فيغفر اثمهم ويتطهروا منه لا يجوز لهم ذلك ولا يقدرون عليه لانه ممتنع مستحيل لان العماد

هو مثال صلب المسيح وصورة موته وكما ان صلب المسيح وموته ثانية من الممتنع المستحيل لان المسيح قد مات مرة واحدة وما عاد يموت بعد ولا يتسلط عليه الموت كذلك العماد ثانية فانه من الممتنع المستحيل أيضا.

قال يوحنا فم الذهب (فقد ذقنا معه للمعمودية للموت وكما انه غير ممكن أن يصلب المسيح مرة ثانية هكذا لا يقدر من اعتمد مرة واحدة ان يقتبل معمودية ثانية) ومن ثم نقول فى قانون الايمان (وأؤمن بكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية واعترف بمعمودية واحدة).

الفصل الخامس

في

(١) أنواع المعمودية (معمودية يوحنا - معمودية التلاميذ - معمودية المسيح بقسميها اى معموديتى الماء والدم)

(٢) الفرق بين معموديتي يوحنا والسيد المسيح

(١) أنواع المعمودية: ان أنواع المعمودية ثلاثة (١) وهى:

(أولا) معمودية يوحنا. هذه المعمودية وإن كان مبداها من السماء (مت ٢١:٢٥) إلا أنها كانت خالية من الروح القدس ومغفرة الخطايا وذلك لعدم إتمامها باسم الثالوث الاقدس الآب والابن والروح القدس من جهة ولكونها لم تكن سرا كمعمودية المسيح من جهة أخرى بل كانت فقط تأمر بالابتعاد عن الشرور والمعاصى وأن يعمل قابلها أثمارا تليق بالتوبة (مت ٣:١١) ولذا كان يتحتم على من تعمد بهذه المعمودية أن يعمد بمعمودية المسيح مرة أخرى كما جاء في الحادثة الواردة في سفر الأعمال حيث قيل: فحدث فيما كان ابلوس في كورنثوس ان بولس

---

(١) اما معمودية موسى التى يقول عنها بولس الرسول: وجميعهم (اى بنو اسرائيل) اعتمدوا لموسى فى السحاب وفى البحر الأحمر (١ كو ١٠:٢) فقد كانت رمزية لا حقيقية. فموسى رمز للكاهن وعصاه للصليب. والبحر الأحمر رمز لجرن المعمودية والسحاب لنعمة الروح القدس. كما ان الاسرائيليين كانوا رمزا للمتعمدين. أما فرعون والمصريون فرمز الى الابالسة والشياطين.

بعد ما اجتاز فى النواحى العالية جاء الى افسس فاذ وجد تلاميذا قال لهم قبلتم الروح القدس. لما آمنتم قالوا له ولا سمعنا انه يوجد الروح القدس فقال لهم فبماذا اعتمدتم فقالوا بمعمودية يوحنا فقال بولس أن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلا للشعب ان يؤمنوا بالذى يأتى بعده اى بالمسيح يسوع فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع (اع ١٩: ١-٧).

(ثانيا) معمودية التلاميذ باسم المسيح قبل موته . ان هذه المعمودية كانت تقرب من معمودية يوحنا اى انها كانت تهئ الناس للتوبة وقبول المسيح الآتى إلى العالم ليدخلوا فى ملك نعمته فقط.

قال القديس ترتليانوس بشان هاتين المعموديتين. اى معموديتى يوحنا والتلاميذ (اننا نجد فى أعمال الرسل ان الذين اعتمدوا من يوحنا لم يكونوا قد اخذوا الروح القدس ولا كانوا سمعوا به . وهذه المعمودية كانت للتوبة وكمقدمة لمعمودية يسوع المسيح الآتية لترك الخطايا وخلاص الانفس فاذا كان يوحنا ينادى بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا لم يكن ذلك إلا بالنظر إلى المغفرة اللاحقة لأن التوبة تتقدم والمغفرة تلحقها. لكن معمودية يوحنا تحدد صريحا فى الانجيل الشريف بانها تهئ الطريق المؤدية الى الايمان بالمسيح فتلاميذ المسيح عمدوا كخدام ويوحنا كذلك عمد كسابق. فتكون معمودية التلاميذ هى معمودية يوحنا نفسها لا معمودية اخرى إذ لم توجد ولن توجد معمودية اخرى سوى المؤسسة من ربنا يسوع المسيح وهذه المعمودية لم يكن ممكنا ان تتم وقتئذ من التلاميذ لان فى ذلك

الوقت لم يكن مجده تعالى قد اتضح تماما وفاعلية الحميم لم تكن بعد قد تأيدت بآلامه وقيامته).

(ثالثا) معمودية المسيح أما هذه المعمودية فهي كاملة لانها تهب الخلاص وغفران الخطايا بقوة الروح القدس المجددة (تى ٣:٥) وهذا ليس اعتقاد الكنائس الشرقية والغربية فقط بل هو اعتقاد الكنائس المسيحية جمعاء بدليل ماجاء عن ذلك فى مجلة الشرق والغرب وهو (فالمعمودية فى زمن يوحنا كانت اشارة الى ان المتعمد قد تاب وتعهد أن يكون تلميذا فى الملكوت. اما المعمودية التى وضعت فيما بعد فلم تكن رمزا فقط بل واسطة لحلول الروح القدس لجميع الذين يقبلونها بالايمان والتوبة).

هذا من جهة معمودية المسيح بالماء، وهناك ايضا معمودية اخرى يقال لها معمودية الدم.

اما معمودية الدم فتكون إذا احتمل احد الناس الاستشهاد لأجل الايمان وهو غير معمد. وقد جاء عن هذه المعمودية فى الباب العشرين من الدسقلية مانصه (وان كان موعوظا فليمض بلا الم قلب لان الألم الذى قبله لأجل المسيح يكون له معمودية مصطفاة لانه مات مع الرب لما نال مثال موته).

قال القديس باسليوس (إن بعضا نالوا الموت بالجهادات التى هى حسن العبادة لاجل المسيح حقيقة ولم يحتاجوا الى شئ من الرسوم التى من الماء لخلاصهم لانهم تعمدوا بدمهم).

وقال القديس كيرلس (من لا يقبل المعمودية لا خلاص له ماعدا الشهداء وحدهم الذين بدون الماء ينالون الخلاص لأن المخلص لما كان يفتدى العالم كله بالصليب نخس فى جنبه الذى خرج منه دم

وماء ليعتمد البعض بالماء في أوقات السلام وليتمموا ذلك بدمهم في أوقات الاضطهادات. ان المخلص نفسه دعا الشهادة صبغة قائلا: أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها أنا وان تصطبغا بالصبغة التي اصطبغ بها أنا (مت ٢٠:٢٢).

(٢) الفرق بين معموديتي يوحنا والسيد المسيح

ان الفرق بين هاتين المعموديتين هو:

(أولا) ان معمودية يوحنا كانت بالماء فقط. وأما معمودية سيدنا يسوع المسيح فقد كانت بالماء والروح القدس. أي ان معمودية يوحنا كانت تطهر الأجساد فقط وأما معمودية المسيح فكانت تطهر الأجساد والأنفس معا. وهذا الفرق يورده يوحنا نفسه بقوله: أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتي بعدي ... سيعمدكم بالروح القدس ونار (مت ٣:١١).

(ثانيا) إن معمودية يوحنا من حيث انها كانت تعطى لاجتذاب الناس الى أعمال التوبة فكانت المعمودية تتقدم والتوبة تتبعها. أما معمودية سيدنا يسوع المسيح فمن حيث انها لا تعطى للذين بلغوا سن التمييز الا بعد عمل التوبة فكانت تتأخر والتوبة تتقدمها. ومن ثم لم يقل بطرس الرسول في اشارته اليها (اعتمدوا وليتب كل واحد منكم) بل قال: توبوا وليعتمد كل واحد منكم باسم يسوع المسيح (اع ٢:٣٨).

(ثالثا) ان معمودية يوحنا لم تكن سرا مقدسا بل طقسا متوسطا بين الناموس والانجيل مرتسما من الله الى مدة يسيرة. ومن ثم لم يدع يوحنا (معمدانا) لان الله تعالى رسم على يده سر المعمودية بل لانه أول من عمد ولاجل أنه عمد يسوع المسيح ربنا.

الفصل السادس

في

ثمار معمودية المسيح له المجد

ان معمودية المسيح لهى ذات ثمار خلاصية جليلة نافعة واشهرها مايأتى :-

(١) تمنح نعمة التقديس(١) والتبرير(٢) وغفران(٣) الخطايا الجدية والفعلية التى ارتكبت قبل العماد بنعمة الروح القدس المجانية. قال بطرس الرسول: توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس (اع ٢:٣٨) وقال ايضا: الذى مثاله يخلصنا نحن الآن اى المعمودية لا ازالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح (١ بط ٣:٢١) وقال بولس الرسول: لكى يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شئ من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب (اف ٥:٢٦) وقال ايضا: وهكذا كان أناس منكم لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم (١ كو ٦:١١) وهو قول حق لا ريب فيه ولاشك. لاننا وان كنا نرى امامنا ماء عاديا ولكن نعمة الله الغير المنظورة هى التى تعمل ذلك العمل العجيب تحت

---

(١) التقديس هو التطهير (٢) التبرير هو النجاة من غضب الله الذى وجب علينا بخطايانا (٣) الغفران هو تغطية الخطيئة وازالتها من القلب.

ستار الماء البسيط. وما تطهير نعمان السرياني من برصه بمجرد غطسه فى نهر الاردن الا برهانا حسيا على امكانية تطهير الخاطئ من برص الخطيئة بماء المعمودية .

قال القديس يوستينوس (يجب ان نفتش ونعرف من اية طريق يمكننا أن ننال صفح الخطايا ونمتلك رجاء ميراث الخيرات الموعود بها ولنا فى ذلك طريق واحدة فقط وهى أن نعرف يسوع ونغتسل بالمعمودية لغفران الخطايا وهكذا نبتدئ ان نعيش بالقداسة).

وقال القديس باسيليوس (المعمودية فدية الماسورين وصفح الأوزار وموت الخطيئة واعادة ولادة النفس وثوب نير وختم لا ينفك ومركبة الى السماء تؤدى الى الملكوت ومنحة التبنى).

(٢) تمنح نعمة التبنى لله والوراثة فى السماء والوحدة فى كنيسة المسيح التى لا تتجزأ. قال بولس الرسول: لانكم جميعا أبناء الله بالايمان بيسوع المسيح لان كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ليس يهودى ولا يونانى ليس عبد ولا حر ليس ذكر وانثى لانكم جميعا واحد فى المسيح يسوع (غل ٣:٢٧) وقال: اذا لست بعد عبدا بل ابنا وان كنت ابنا فوارث لله بالمسيح (غل ٤:٧) وقال ايضا: لاننا جميعنا بروح واحد ايضا اعتمدنا الى جسد واحد يهودا كنا أم يونانيين عبيدا أم أحرارا وجميعنا سقينا روحا واحدا (١ كو ١٢:١٣).

(٣) تمنح نعمة الميلاد الثانى اى الميلاد الروحى. لان الله تعالى أوجد الانسان وجودا طبيعيا وذلك باخراجه اياه من العدم فى حال خلقته. وثانيا أوجده وجودا روحيا وذلك فى حال ميلاده

من الماء والروح القدس بالمعمودية المقدسة. وكما أنه فى تكوين العالم تكون أكثر الأشياء حتى السموات من الماء المخلوقة فى اليوم الاول كذلك فى الكون الجديد أراد الله تعالى ان الانسان نفسه يأخذ وجودا جديدا من الماء أعنى وجودا روحيا الهيا. وهذا يوافق ماجاء فى انجيل يوحنا عن محادثة السيد لنيقوديموس فى هذا الصدد حيث قال: اجاب يسوع وقال له الحق أقول لك ان كان احد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله قال له نيقوديموس كيف يمكن الانسان أن يولد وهو شيخ العله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد فاجاب يسوع الحق الحق أقول لك ان كان احد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح. لا تتعجب انى قلت لك ينبغى أن تولدوا من فوق الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا الى اين تذهب هكذا كل من ولد من الروح (يو ٣:٣-٩) وقال بولس الرسول: ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس (تى ٣:٥) وقال يعقوب الرسول: شاء فولدنا بكلمة الحق لكى نكون باكورة من خلائقه (يع ١:١٨) وقال بطرس الرسول: مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية الى الأبد (١ بط ١:٢٣).

هذه هى أهم واشهر النعم والبركات التى يحصل عليها المؤمن من معمودية المسيح وهى تشمل سائر انواع المجد والسعادة فى الحياة الحاضرة والعتيدة.

الفصل السابع

فى

(١) وجوب تعميد الأطفال (٢) حال الأطفال الذين يموتون بلا عماد (٣) بدعة تعميد الجنين وهو فى رحم امه

(١) وجوب تعميد الاطفال

لقد اتضح مما سبق أن المعمودية لازمة وضرورية للجميع بلا استثناء كبارا وصغارا رجالا ونساء أطفالا وشيوخا. لانه لا سبيل للحصول على الخلاص والنجاة من دينونة الله الرهيبة الا بالمعمودية. قال له المجد: من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن (مر ١٦:١٦) وقال ايضا: إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر ان يدخل ملكوت الله (يو ٣:٥).

اما اذا اعترض احد وقال ان الأطفال قاصرون عن ادراك الايمان فليسوا مكلفين بالعماد. قلنا ان الاطفال وان كانوا لا يدركون الايمان ولكنهم يعمدون على ايمان والديهم. كما كان الحال مع أطفال العهد القديم حيث كانوا يختنون على ايمان والديهم. وواضح أن الختان كان رمزا الى العماد وكما صح ذاك هكذا يصح هذا ايضا. قال بولس الرسول: وبه ختنتم ختانا غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح مدفونين معه فى المعمودية التى فيها اقمتم ايضا معه بايمان عمل الله الذى اقامه من الاموات (كو ٢:١١).

هذا وقد شهد الكتاب ان الرسل عمدوا عائلات كاملة ولا يمكن

ان تخلو هذه العائلات من الأطفال. قال لوقا الانجيلي: فكانت تسمع امراة اسمها ليدية بياعة ارجوان من مدينة ثياتيرا متعبدة لله ففتح الرب قلبها لتصغى الى ما كان يقوله بولس فلما اعتمدت هي واهل بيتها طلبت قائلة ان كنتم حكمتم انى مؤمنة بالرب فادخلوا بيتي وامكثوا فالزمتنا (اع ١٦:٢٤) وقال بولس الرسول: وعمدت أيضا بيت استفانوس (١ كو ١:١٦) ولا يعقل ان بيتا كاملا كهذا يكون خاليا من الأطفال.

قال يوحنا فم الذهب (وان كان المتعمدون أطفالا أو طرشا لا يستطيعون استماع التعليم فليجاوب اشابينهم عنهم وهكذا يعمدون حسب العادة).

وقال القديس اغسطينوس (ان الكنيسة دائما كانت تتمسك بتعميد الأطفال متسلمة اياه من السلفاء ولم تزل حافظة اياه الى الآن وسوف تحفظه الى الانقضاء أيضا).

وقال العلامة اوريجانوس الذى عاش فى الجيل الثالث (ان الكنيسة تسلمت من الرسل تقليد تعميد الأطفال أيضا فالأطفال يعمدون لمغفرة الخطايا ليغسلوا من الوسخ الجدى بسر المعمودية).

وقال القديس كبريانوس (إذا كان الذين اخطأوا سابقا امام الله إذ يؤمنون يأخذون صفح خطاياهم ولا يمنع احد منهم عن المعمودية والنعمة وإن كان قد فعل خطايا غير محصاة بالأطفال الذين ضميرهم غير متفتح ولم يخطئوا فى شئ والذين نظرا للخطية الجدية الكامنة فيهم تدنسوا بها وصاروا مشاركى الموت الادمى يحتاجون هم أيضا إلى المعمودية لانها شرط لنوال الخلاص

والصفح ليس عن الخطايا الشخصية بل الجدية).

ومماسبق يتضح أن المعمودية ضرورية للاطفال كالكبار لاجل محو الخطيئة الجدية التى هم ايضا تحت تبعتها.

(٢) حال الاطفال الذين يموتون بلا عماد

أما الاطفال ابناء المؤمنين الذين يموتون قبل اقتبال العماد المقدس فقد قال عنهم فريق من اللاهوتيين انهم يكونون فى حال متوسطة من الراحة اى انهم لا يعذبون لانهم لم يفعلوا شيئا يستحقون عليه العذاب ولا يتنعمون التنعم كله لانهم لم يقتبلوا العماد الذى هو شرط أساسى للنجاة من العقاب وللحصول على مجد الخلود (مر ١٦:١٦) وقال الفريق الآخر أنهم يعدمون حقا مشاهدة الله إلى الابد لسبب الخطيئة الأصلية إلا انهم لا يتعذبون فى النيران الابدية.

قال القديس اغريغوريوس (ان الاطفال غير المعمدين لا يمجدون ولا يعذبون لانهم وإن كانوا غير مستنيرين وغير مقدسين بالمعمودية لم يخطئوا خطيئة شخصية ولذا لا يستحقون كرامة ولا قصاصا).

(٣) بدعة تعميد الجنين وهو فى رحم امه

توجب الكنيسة الرومانية تعميدا لجنين وهو فى رحم امه. وقد جاء عن ذلك فى كتاب علم اللاهوت الادبى للاب بطرس غورى المجلد الثانى صحيفة ٢٠٣ مانصه.

س - هل يصح تعميد الولد وهو فى رحم أمه؟

ج - بالايجاب على الاكثر احتمالا إن امكن إيصال الماء إليه بآلة بحيث يمسه الماء وذلك لانه حيث كان انسانا مسافرا صح

تعميده ولا يمنع من ذلك كونه مكنونا فى غشاء لان هذا الغشاء بمثابة جزء منه ومع هذا فيجب تعميده بصورة شرطية لعدم تيقن صحة العماد فى هذه الحالة وعليه فان ولد بعد حيا وجب إعادة تعميده أيضا بصورة شرطية).

هذا هو رأى الكنيسة الرومانية الخاص بتعميد الأجنة فى بطون أمهاتهم. وحيث ان الوحى الآلهى لم يصرح باستعمال طريقة كهذه للعماد كما أن التقاليد الرسولية لم يرد فيها مايؤيدها فكنيسة المسيح لا تقرها بل ترفضها وتستنكرها لأنها تراها خارجة عن دائرة اختصاصات الرعاة وواجباتهم فوق كونها مخالفة لروح الكتاب أى مخالفة.

الفصل الثامن

فى

(١) جحد الشيطان (٢) الاشبين أو العراب

(١) جحد الشيطان

جحد الشيطان هو عبارة عن نكران الشيطان واعماله وهو يتم بان يتلو المتعمد أو من ينوب عنه القانون المتضمن رفض الشيطان وجنوده وسائر الاعمال المعاثرة للمبادىء المسيحية ثم بمسحه الكاهن بالزيت المقدس بعد الصلاة الخاصة بذلك مثالا لما فعلته المرأة بالسيد له المجد فى بيت عنيا قبيل موته (مت ١٢:٢٦) وبذلك يكون أهلا لنوال نعمة المعمودية التى هى مثال لموت ربنا وقيامته.

ولقد اعتادت الكنيسة المقدسة ان تمارس هذا العمل منذ أيام الرسل حتى الآن حيث قيل فى سفر الاعمال: وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين باعمالهم (اع ١٩:١٨).

وقال الدكتور وليم ادى البرتستانتى فى شرحه لهذه الآية مانصه (أى يخبرون بما فعلوه من الشر ويتعهدون انهم يعتزلون كل خداع وما يتعلق بخدمة الشيطان لانه لا يخلو من انهم ادعوا اخراج الشياطين كذبا او مارسوا السحر او استشاروا السحرة المعزمين).

وقال ايضا موسهيم المؤرخ البروتستانتى عن ذلك (وكان الاسقف او القسوس تحت امره يعمدون مرتين فى السنة أى فى الفصح

والاحد الذى بعد الفصح. اما من جهة الطالبين فيقن انهم كانوا يغطسون فى الماء كليا مع الابتهال للثالوث حسب امر المسيح بعد ان يكونوا قد تلوا مايسمونه القانون ورفضوا كل خطاياهم ومعاصيهم ولا سيما الشيطان وجنوده).

(٢) الشبين او العراب أو الوصي أو الوكيل

الشبين هو من يتلقى الطفل من جرن المعمودية بعد ان يكون رفض الشيطان واعترف بالايمان عوضا عنه وهو يقوم مقام الوالد عند الضرورة اى عدم وجوده فيعلم الطفل ما يتعلق بالايمان والآداب والى غير ذلك من الأمور اللازمة فى الحياة.

قال يوحنا فم الذهب (وان كان المعمدون اطفالا أو طرشا لا يستطيعون استماع التعليم فليجاوب أشابينهم عنهم وهكذا يعمدون حسب العادة).

ولقد وجد الشبين فى الكنيسة منذ فجر المسيحية وذلك لان الوالدين فى العصور الأولى كانوا عرضة للقتل أو النفى أو الاضطهاد وكثيرا ماكانت تلقى الجنود الرومانية اطفال أولئك المقتولين او المنفيين على قارعة الطريق ويتركونهم حتى يموتوا جوعا وعطشا الا اذا مر بهم بعض المسيحيين فيلتقطونهم ويعتنون بأمرهم ويربونهم تربية مسيحية . ومن هنا نشات هذه العادة فى الكنيسة وهى تعين الشبين أو الوصى أو الكفيل.

الفصل التاسع

فى

خادم سر العماد

ان الخادم الرسمى لسر العماد انما هو الكاهن وحده وذلك لان ربنا له المجد لم يمنح هذا السلطان الا لتلاميذه فقط بقوله لهم: اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (مت ١٩:٢٨) ثم أن الرسل منحوا هذا السلطان للقسوس أيضا.

قال القديس ترتليانوس (ان السلطة فى تتميم المعمودية منوطة بالاسقف ثم بالقسوس مع الشمامسة) ومن ثم لاتصرح الكنيسة مطلقا لغير الأساقفة أو القسوس أن يعمدوا الا عند الضرورة القصوى كان يكون الطفل قد أشرف على الموت ولم يكن فى الاستطاعة احضار كاهن ليعمده وقتئذ فيجوز حينذاك لأى انسان ان يعمده.

(راجع ماجاء عن ذلك فى صحيفة ٢٠٩)

(٢) سر المسحة

أو الميرون (١) المقدس

الفصل الأول

فى

(١) حد سر الميرون وحقيقته (٢) استقلاله عن سر المعمودية

(٣) علاقته بسر المعمودية

(١) حد سر الميرون وحقيقته

سر الميرون أو المسحة المقدسة هو أحد أسرار الشريعة الجديدة السبعة به ينال المعتمد ختم موهبة الروح القدس والثبات فى الايمان.

اما حقيقة هذا السر فتتبين من كونه يشتمل على مايقتضيه السر من الاشياء الثلاثة الذاتية الضرورية لكل سر وهى (١) الطقس الخارجى (٢) الحصول على النعمة (٣) فرض المسيح له المجد إياه.

فالطقس الخارجى حاصل بالمادة والصورة أى بمادة الميرون والألفاظ التى تقال اثناء ممارسة هذا السر.

والحصول على النعمة تتبين مما جاء عنه فى سفر الأعمال من ان بطرس ويوحنا عندما وضعا ايديهما على المعتمدين باسم يسوع حلت عليهم نعمة الروح القدس (أع ٨:١٧).

---

(١) ميرون أى طيب أو مسحة.

واما فرض المسيح لهذا السر فيتبين من السلطان الذى به كان الرسل يمنحون نعمة الروح القدس بمجرد وضع أيديهم على المعتمدين. وذلك لا يمكن ان يكون من تلقاء انفسهم بل هو نتيجة السلطان المعطى لهم.

(٢) استقلال سر الميرون عن سر المعمودية

أما كون هذين السرين مستقلين عن بعضهما فذلك لان كلا منهما كان يمنح بصلاة وترتيب خاص منفصلا الواحد منهما عن الآخر. ولقد ورد فى سفر الأعمال حادثتان مريحتان تؤيدان استقلال هذين السرين عن بعضهما استقلالا تاما جاء فى الحادثة الأولى مانصه: لما سمع الرسل الذين فى أورشليم ان السامرة قد قبلت كلمة الله أرسلوا اليهم بطرس ويوحنا اللذين لما نزلا صليا لاجلهم لكى يقبلوا الروح القدس لانه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم غير انهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع حينئذ وضعا الايادى عليهم فقبلوا الروح القدس (اع ٨:١٧).

وجاء فى الحادثة الثانية مانصه: لما سمعوا (اى المؤمنون) اعتمدوا باسم الرب يسوع ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم (اع ١٩:٥).

ومن هاتين الحادثتين يتضح جليا أن سر الميرون الذى كان يمنح فى بداية المسيحية بوضع اليد هو سر مستقل عن سر المعمودية استقلالا تاما.

قال القديس كبريانوس (من اعتمد ينبغى أن يمسح ايضا لكى يصير بواسطة المسحة ممسوحا لله ويأخذ نعمة المسيح) وقال أيضا (كما أن الرسولين بطرس ويوحنا بعد صلاة واحدة استحدرا

الروح القدس على سكان السامرة. فبوضع الايدى هكذا فى الكنيسة ايضا من ذلك الحين جميع المتعمدين ينالون الروح القدس ويختمون بختمه عند دعاء الكهنة ووضع ايديهم).

(٣) علاقة سر الميرون بالمعمودية

لقد علمنا مما سبق اننا بالمعمودية نولد ميلادا جديدا (اى ميلادا روحيا) وبما أن الانسان على اثر ميلاده الجسدى ودخوله فى هذا العالم يحتاج طبعا الى مايحفظ حياته ويمونها ويقوى جسده وينميه كالطعام والماء والهواء هكذا يحتاج ايضا بعد ميلاده الروحى (اى المعمودية) الى مايحفظ حياته الروحية ويقويها وينميها فى الكمال المسيحى ولا شئ يتكفل بسد هذه الحاجة الهامة سوى الميرون المقدس الذى به يحصل المعتمد على نعمة الروح القدس التى تحفظه وتمونه وتنمى فيه الايمان والفضيلة (راجع ماقيل عن ذلك فى ١ يو ٢:٢٧).

(ملاحظة) كما أن المعتمد يمسح بالمسحة المقدسة ظاهرا ليكتسى بالروح القدس داخلا لثباته فى الايمان المقدس هكذا بهذه المسحة تتقدس ايضا الهياكل والمذابح والأوانى المقدسة (أنظر خر ٣٠:٢٣-٣٠).

الفصل الثانى

في

(١) فوائد سر الميرون (٢) ضرورته (٣) علة حلول الروح القدس على كرنيليوس قبل نواله سرى المعمودية ووضع الايدى

(١) فوائد سر الميرون

ان لهذا السر فوائد هامة وثمارا جليلة اشهرها مايأتى:

(أولا) أنه يختم كلا من طبيعتى الانسان الروحية والجسدية بختم موهبة الروح القدس وبذلك تصير هاتان الطبيعتان خاصة الله وملكه اى مكرستين له تعالى(١). قال بولس الرسول: ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضا واعطى عربون الروح فى قلوبنا (٢ كو ١: ٢١).

وقال القديس اغسطينوس (كل مسيحى يقبل ختم المسحة صار جنديا صالحا لله).

(ثانيا) يقوى الانسان ويثبته فى الايمان بالله والاعتراف باسمه تعالى بجراة وشجاعة. ثم يخوله معرفة مايلزم للحياة

---

(١) لقد أمر الله ان تمسح شحمة اذن الكاهن اليمنى وابهام يده ورجله اليمنى بالدهن المقدس لكى تختم هذه الأعضاء بذلك الختم المقدس وتتكرس لله فلا تسمع ولا تعمل إلا مايوافق مسرته الصالحة (راجع خر ٢٩: ٢ ولا ٨: ٢٣).

وحسن العبادة بانارة ذهنه وتجديد فكره وكما ان الزيت اذا وضع فى السراج أوقده وادام نوره هكذا مسحة الروح القدس فانها متى كانت فينا أنارتنا وعلمتنا وجلبت الينا النشاط والقوة. قال يوحنا الرسول: وأما انتم فالمسحة التى اخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم الى ان يعلمكم احد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شئ وهى حق وليست كذبا كما علمتكم تثبتون فيه (١ يو ٢:٢٧) وقال ايضا: وأما انتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ (١ يو ٢:٢٠).

قال القديس كيرلس (بعد ذلك تمسحون على صدوركم لكي تلبسوا درع العدل وتثبتوا لدى حيل الشيطان وكما أن المسيح بعد المعمودية وحلول الروح القدس خرج وحارب المعاند هكذا انتم بعد المعمودية المقدسة والمسحة السرية تثبتون لدى القوة المضادة لابسين سلاح الروح القدس الكامل وتحاربونها قائلين (انى استطيع كل شئ فى المسيح الذى يقوينى).

(٢) ضرورة مسحة الميرون

إن مسحة الميرون لازمة وضرورية للغاية وبدونها تكون المعمودية ناقصة وغير قانونية (اع ٨:١٤) وذلك لان بتغطيسنا فى الماء تتجدد ولادتنا ونغتسل من خطايانا اما بالميرون فنمتلك عربون النعمة وختم الروح القدس. وكما أن ربنا يسوع المسيح حل عليه الروح القدس شبه حمامة على اثر عماده فى نهر الاردن هكذا يجب مسح المعتمد بالميرون على أثر خروجه من جرن المعمودية ايضا لان الميرون إن هو إلا عوضا عن الحمامة التى

حلت على السيد بعد عماده.

قال يوحنا فم الذهب فى لزوم هذا السر وضرورته للجميع (ان الذين كانوا يمسحون فى العهد العتيق هم إما كهنة وإما انبياء وإما ملوك. اما نحن المسيحيين اصحاب العهد الجديد فيجب ان نمسح لكى نصير (١) ملوكا متسلطين على شهواتنا (٢) كهنة ذابحين أجسادنا ومقدمين إياها لله ذبيحة حية (٣) انبياء لاطلاعنا على اسرار عظيمة وهامة للغاية).

وتتضح ضرورة مسحة الميرون من ممارسة الكنيسة إياها منذ العصر الرسولى. فقد شهد على ذلك موسهيم المؤرخ بقوله (اما من جهة الطالبين فيظن انهم كانوا يغطسون بالماء كليا مع الابتهال للثالوث الأقدس حسب امر المخلص بعد أن يكونوا قد تلوا مايسمونه القانون ورفضوا كل خطاياهم ومعاصيهم ولا سيما الشيطان وجنوده وكان يرسم الصليب على المعمدين ويمسحون ويستودعون الله بالصلاة ووضع الأيدى "كتاب ١ قرن ٢ قسم ٢ فصل ٤ عدد ١٣".

وقد شهد بذلك أيضا القس بنيامين شنيدر البروتستانتى فى كتابه ريحانة النفوس فى اصل الاعتقادات والطقوس ص ١٦١ فقال (قد أبتدىء استعمالها قديما (اى مسحة الميرون) فان ترتوليانوس الذى توفى سنة ٢٢٠ يشير اليها ولهذا بيان انها كانت موجودة فى آخر الجيل الثانى أو اول الجيل الثالث. إلا ان وجودها فى ذلك العصر كعادة مقبولة من عامة الكنيسة تتضح من كيرلس ومن الكتاب المدعو القوانين الرسولية ومن ابرونيموس).

(٣) علة حلول الروح القدس على كرنيليوس قبل نواله سرى المعمودية ووضع الأيدى

قد يزعم البعض ان سرى المعمودية والميرون ليسا بضروريين للحصول على موهبة الروح القدس بدليل ان كرنيليوس واهل بيته حل عليهم الروح القدس قبل نوالهم هذين السرين (اع ١٠:٤٤) فردا على ذلك نقول : إن مواهب الروح القدس الخاصة بالتجديد والانارة لاتحل على إنسان ما إلا بعد نواله سرى المعمودية والمسحة . اما ماحدث لكرنيليوس وقتئذ فقد كانت الغاية منه إزالة كل ريب من قلب بطرس فى اهلية اولئك القوم وسائر الأمم لقبول سر المعمودية وانضمامهم لكنيسة المسيح اسوة باليهود. كما انه كان شهادة حسية صادقة بأن ما تكلم به بطرس من جهة الأمم وهو ان الله وهب لهم الخلاص كما وهبه لليهود هو حق وموافق للمقاصد الالهية (اع ١٠:٣٤) اما موهبة الروح القدس التى تمنح بالمعمودية ووضع الايدى فقد نالها ذلك الانسان وأهل بيته بعد ان عمدهم بطرس ووضع يديه عليهم (راجع اع ١٠:١-٤٨).

الفصل الثالث

في

تأسيس سر المسحة المقدسة

ان وقت تاسيس هذا السر غير معلوم بالضبط ومن ثم تعتقد بعض الكنائس الرسولية انه تاسس إما بعد القيامة حين قال السيد المسيح للرسل: كما ارسلني الآب أرسلكم ايضا (يو ٢٠: ٢١) لأنه بهذا القول قلدهم الولاية الاسقفية على جسم الكنيسة السرى. وإما في وقت تناول العشاء بعد فرضه سر الافخارستيا لأنه في هذه الليلة العظيمة أودع تلاميذه أسرار شتى ازمع على الصلب وترك العالم.

اما بعض الكنائس الرسولية الأخرى ومن بينها الكنيسة القبطية فتعتقد ان هذا السر تاسس في اليوم الأخير من عيد الفصح عند ماوقف ربنا له المجد ونادى قائلا: ان عطش أحد فليقبل إلى ويشرب من آمن بي كما قال الكتاب تجرى من بطنه انهار ماء حي قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين ان يقبلوه لأن الروح القدس لم يكن قد اعطى بعد (يو ٧: ٣٧) ومن تامل في هذا النطق الالهي ير فيه تاسيسا واضحا لهذا السر لأنه تضمن وعدا صريحا باعطاء الروح القدس لعامة المؤمنين على الاطلاق وذلك لا يكون بالضرورة إلا بمسحة الميرون المقدسة لانها هي التي تمنح للمؤمنين على السواء كبارا وصغارا رجالا ونساء.

أما مواهب الروح القدس الغير العادية التى تعطى أحيانا لبعض المؤمنين لمقاصد خاصة كالتنبؤ وعمل الآيات والمعجزات فلا يمكن أن ينطبق عليها هذا الوعد انطباقا تاما لأن هذه خاصة وتلك عامة .

إذن ينتج من هذا التدليل أن الوعد باعطاء الروح القدس الوارد ذكره فى هذه الآية إنما يشير إشارة خاصة إلى مسحة الميرون المقدسة وبالتالى كان تأسيسا لهذا السر الجليل.

الفصل الرابع

فى

كيفية استعمال سر المسحة فى بداية المسيحية

لقد كان الرسل يمارسون هذا السر بوضع أيد على المتعمدين ومن ثم سمى سر الميرون بسر وضع الايدى. وقد كان ذلك محصورا فى الرسل وحدهم كما يظهر مما جاء فى سفر الاعمال حيث قيل: ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم ان السامرة قد قبلت كلمة الله أرسلوا لهم بطرس ويوحنا اللذين لما نزلا صليا لاجلهم لكى يقبلوا الروح القدس لانه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم غير انهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع حينئذ وضعا الايادى عليهم فقبلوا الروح القدس (اع ٨:١٤-١٨) ومن قوله ايضا: ان بولس بعد ما اجتاز فى النواحى العالية جاء الى أفسس فان وجد تلاميذ قال لهم هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم قالوا له ولا سمعنا انه يوجد الروح القدس فقال لهم فبماذا اعتمدتم فقالوا بمعمودية يوحنا ... فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم (اع ١٩:١-٦).

غير انه عندما ازداد عدد المؤمنين وامتد الدين المسيحى فى سائر انحاء العالم واصبح متعذرا على الرسل وخلفائهم ان يطوفوا فى كل مكان لكى يضعوا ايديهم على المتعمدين لهذا راى الرسل تحت قيادة الروح القدس وارشاده ان يستبدلوا وضع الأيدى بالميرون المقدس كما نرى ذلك واضحا جليا فى الفصول الآتية.

الفصل الخامس

فى

العلة التى لأجلها أختير الميرون ليكون علامة لحلول الروح القدس

لقد اختارت الكنيسة الميرون ليكون علامة لحلول الروح القدس وفضلته على أى مادة أخرى لانها رأت ان الله جل شانه بغزارة حكمته الفائقة كان يمنح الروح القدس لملوك وكهنة العهد القديم بهذه العلامة عينها. وماسر به الله وارتضى كان خليقا بالبشر تقديسه وتكريمه وإجلاله محل القبول والرضى قال الله لموسى: وانت تاخذ لك أفخر الاطياب مرا قاطرا خمس مئة شاقل وقرفة عطرة نصف ذلك مئتين وخمسين، وقصب الذريرة مئتين وخمسين . وسليخة خمس مئة بشاقل القدس. ومن زيت الزيتون هينا(١) وتصنعه دهنا مقدسا للمسة عطر عطارة صنعة العطار دهنا مقدسا للمسحة يكون وتمسح به خيمة الاجتماع وتابوت الشهادة والمائدة وكل انيتها والمنارة وأنيتها ومذبح البخور ومذبح المحرقة وكل انيته والمرحضة وقاعدتها وتقدسها فتكون قدس اقداس كل مامسها يكون مقدسا وتمسح هرون وبنيه وتقدسهم ليكهنوا لى .. يكون هذا لى دهنا مقدسا للمسحة فى اجيالكم على جسد انسان لا يسكب وعلى مقاديره لا تصنعوا مثله . مقدس هو ويكون مقدسا عندكم كل من ركب مثله ومن جعل منه على اجنبى

---

(١) الهين مكيال يسع أربع أقق.

يقطع من شعبه (خر ٣٠:١٢-٣٣) ومن هذا يتضح ان مادة الميرون المقدس لم تكن وليدة اختيار البشر واستحسانهم وانما اخذت مبداها من الله نفسه وذلك كف لاحترامها وتقديسها.

هذا ولا يبرح عن ذهننا أيضا أن نوعد الله بمن يزدرى بهذا الدهن المقدس باقصى العقوبات وافدحها كما راي في هذا النطق الالهى يذكر نابان الميرون بعد الصلاة عليه واستدعاء الروح القدس ليس هو دهنا بسيطا عاديا بل هو موهبة المسيح وحضور الروح القدس فاعلا فعل الوهيته فحقت له الكرامة كلها. ومن يزدرى به ويعتبره دهنا عاديا فقد عرض نفسه لعقاب شديد وقصاص مريع (راجع خر ٣٠:٣٤).

الفصل السادس

فى

ممن تسلمت الكنيسة منع الميرون

لقد تسلمت الكنيسة منع الميرون المقدس من الرسل وذلك ان الرسل قد حفظوا ماكان من الحنوط على جسد ربنا يسوع المسيح حين دفنه مع الحنوط الذى احضرته النسوة (يو ١٩ :٣٩ ومز ١٦:١) ثم اذابوه فى زيت الزيتون وقدسوه فى علية صهيون وصيروه دهنا مقدسا خاتما للمعمودية ووزعوه فى كل الجهات التى ذهبوا اليها للتبشير وصاروا يدهنون به المؤمنين المعتمدين. فلما اتى القديس مرقس الرسول الى مصر كان معه جزء منه فاستعمله وخلفاؤه من بعده إلى أيام اثناسيوس الرسولى العشرين فى البطاركة الاسكندريين. فهذا الأخير راى ان جزءا قليلا بقى عنده وحده بينما ان ماوزع على الجهات الاخرى قد نفذ جميعه، وان هذا الجزء الموجود غير كاف لان يوزع منه على المحال الغير الموجود فيها فاضاف عليه الافاوية (١) العطرية كما امر الله عبده موسى (خر ٣٠ :١٢)وبعد ان طبخ الميرون(٢) هو والأساقفة والكهنة فى مدة ثلاثة ايام وثلاث ليال مداومين تلاوة الكتب المقدسة وهى الناموس والأنبياء ونشيد الانشاد والاناجيل والرسائل بعث منه الى البلاد المسيحية لكل كرسى من كراسى بطاركة رومية وانطاكية والقسطنطينية. وقد استن سنته البطاركة من بعده يعملون عمله حتى لا تنفذ هذه الذخيرة المقدسة.

---

(١) الأفاوية جمع افواه والافواه هى التوابل ونوافح الطيب واصناف الشئ وانواعه (٢)يطبخ الميرون بخشب الزيتون او فون مكسرة.

الفصل السابع

فى

تاريخ المرات التى عمل فيها

الميرون من عهد الرسل حتى الان

لقد عمل الميرون المقدس من عهد الرسل الى الآن ٢٧ مرة وهى :-

(١) فى علية مهيون من الحنوط الذى كان على جسد المخلص على يدى التلاميذ الأطهار.

(٢) فى عهد الانبا اثناسيوس الرسولى(١) العشرين من الآباء البطاركة فى اوائل القرن الرابع سنة ٣١٨ - سنة ٣٦٤ م(٢).

(٣) فى عهد الانبا مقاره ٥٩ سنة ٦٤٩ ش وسنة ٩٣٣ م.

(٤) فى عهد الانبا ثاوفانيوس ٦٠ سنة ٦٦٩ ش وسنة ٩٥٨ م.

(٥) فى عهد الانبا مينا ٦١ سنة ٦٧٤ ش وسنة ٩٥٣ م.

(٦) فى عهد الانبا ابرام السريانى ٦٢ سنة ٦٨٧ ش ٩٣٣ م.

(٧) فى عهد الانبا مقاره(٣) ٦٩ سنة ٨١٧ ش سنة ١١٠١ م.

(٨) فى عهد الانبا مرقس بن زرعه ٧٣ سنة ٨٣٣ ش سنة ١١٨٩ م.

(٩) فى عهد الانبا كيرلس بن لقلق ٧٥ سنة ٩٥١ ش سنة ١٢٤٣ م.

---

(١) عمل الميرون بعد عهد الانبا اثناسيوس مرات كثيرة لم تذكر

(٢) هذه السنين تبين زمن جلوس هؤلاء البابوات.

(٣) ورد فى كتاب عمل الميرون باسم (كيرلس).

(١٠) فى عهد الانبا اثناسيوس بن كليل ٧٦ سنة ٩٦٧ ش سنة ١٢٥٠م

(١١) فى عهد الانبا غبريال ٧٧ سنة ٩٨٥ ش و ١٢٦٨ م.

(١٢) فى عهد الانبا يؤانس ٧٨ سنة ٩٧٨ ش و ١٢٦٢ م.

(١٣) فى عهد الانبا تاؤدوسيوس ٧٩ سنة ١٠١٠ ش و ١٢٩٤ م.

(١٤) فى عهد الانبا يؤانس بن القديس ٨٠ سنة ١٠١٦ ش و ١٣٠٠ م.

(١٥) فى عهد الانبا يؤانس المذكور مرة اخرى.

(١٦) فى عهد الانبا بنيامين ٨٢ سنة ١٠٤٣ ش و ١٣٢٧ م.

(١٧) فى عهد الانبا بطرس ٨٣ سنة ١٠٥٦ ش و ١٣٤٠ م.

(١٨) فى عهد الانبا يؤانس المؤتمن ٨٥ سنة ١٠٧٩ ش و ١٣٦٣ م.

(١٩) فى عهد الانبا غبريال المحرقى ٨٦ سنة ١٠٨٦ ش و ١٣٧٠ م.

(٢٠) فى عهد الانبا يؤانس ٨٩ سنة ١١٤٤ ش و ١٤٢٨ م.

(٢١) فى عهد الانبا متاوس ٩٠ سنة ١١٧٠ ش و ١٤٦٥ م.

(٢٢) فى عهد الانبا يؤانس ١٠٣ سنة ١٣٩٢ ش و ١٦٧١ م.

(٢٣) فى عهد الانبا يؤانس ١٠٧ سنة ١٤٨٦ ش و ١٧٦٩ م.

(٢٤) فى عهد الانبا بطرس ١٠٩ سنة ١٥٢٦ ش و ١٨٠٩ م.

(٢٥) فى عهد الانبا يؤانس ١١٣ سنة ١٦٤٦ ش و ١٩٣٠ م.

(٢٦) فى عهد الانبا كيرلس ١١٦ سنة ١٦٨٣ ش و ١٩٦٧ م.

(٢٧) فى عهد الانبا شنودة ١١٧ سنة ١٦٩٧ ش و ١٩٨١ م.

الفصل الثامن

فى

العقاقير التى يمنع منها الميرون المقدس

اما العقاقير التى يمنع منها الميرون فهى عقاقير عطرية تمثل عذوبة المواهب الروحية واختلاف انواعها وهى :-

نوار الفندول - او الدار شيشعان - او زهر الفتنه - عيدان السليخة وهى القرفة الخشبية.

حماما - او تين الفيل * اصل السوسن الاسمانجونى - قصب الذريرة * قسط زبدة * ورد احمر عراقى منزوع الاقماع.

مندل مقاصيرى ابيض مدقوق مسحوق.

قرفة وقرنفل وعيدانه * عود قاقلى.

زر نباد - او كافور الكعك. قشور السليخة الحمراء الجيدة.

جوازايوا كبار - او جوزة الطيب.

سنبل الطيب عصافيرى - او الخزامى - او الاوندا - قرنفل.

بسباسة وتسمى دار كسته (قشور جوز الطيب).

اصطرك ابيض وهو الميعة السائلة - او لبان الرهبان.

دار صينى الصين * زعفران شعر * عود هندى.

المر السقطرى. الصبر السقطرى.

زعفران * زر ورد * دهن البلسان. الزيت الطيب الفلسطينى.

هذه هى العقاقير التى يمنع منها الميرون المقدس. فتدق وتطبخ بواسطة الكهنة كما هو مدون فى كتب عمل الميرون ثم توضع عليها الخميرة المقدسة التى يمتد تاريخها الى الدهن الذى منحه الرسل كما سلفت الاشارة.

الفصل التاسع

في

(١) وجوب مسح المتعمد بالميرون بعد خروجه من المعمودية

(٢) خطا الكنيسة الرومانية في تاخير المسحة لبلوغ سن الرشد

(١) وجوب مسح المتعمد بالميرون بعد خروجه من المعمودية

يتحتم مسح المتعمد بالميرون المقدس على أثر خروجه من المعمودية وذلك للأسباب الآتية :

(١) لأن السيد المسيح حالما صعد من نهر الأردن حل عليه الروح القدس مثل حمامة (مت ٣:١٦) وفي ذلك دليل قاطع على ان سر الميرون الذي هو عبارة عن الحمامة التي حلت على السيد له المجد يجب أن يعطى للمتعمد في الحال.

(٢) لأن الرسل كانوا يمنحون هذا السر للمتعمدين على اثر خروجهم من المعمودية كما فعلوا مع أهل السامرة وسكان أفسس حيث قيل: فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم (اع ٨:١٤ و١٩:١-٦) فالصلاة ووضع الأيدي هما صورة هذا السر الالهي. أما مادته التي كان يستعملها الرسل وخلفاؤهم فهي ماذكرت في الفصل السابق.

(٣) لأن الكنيسة اعتادت منذ الأجيال الأولى أن تمنح هذا السر للمتعمد بعد خروجه من المعمودية حالا. قال العلامة ترتليانوس الذي عاش في الجيل الثاني (بعد خروجنا من حميم المعمودية مسحنا بزيت مقدس تبعا للتكملة القديمة كما كانوا قديما

يدهنون بزيت القرن لنوال الكهنوت).

وقال القديس كيرلس الأورشليمي (ولنا أيضا بعد خروجنا من جرن المجاري المقدسة أعطيت مسحة وهي رسم المسحة التي مسح بها المسيح. فهذه هي الروح القدس).

(٢)<u>خطأ الكنيسة الرومانية في تأخير المسحة لبلوغ سن الرشد</u>

لقد كانت الكنيسة الرومانية تتمم سر المسحة بعد المعمودية حالا كسائر الكنائس الرسولية ولكنها أخذت منذ القرن الثالث عشر أن تفصل المسحة عن المعمودية وتمنحها للمتعمدين بعد تجاوزهم سن الطفولية أي من السنة السابعة من عمرهم إلى الثانية عشر لزعمها أن الأطفال لا يستفيدون من هذا السر إلا بعد بلوغهم سن الرشد مع أن امتلاء يوحنا من الروح القدس وهو في بطن أمه (لو ١:١٥) من أكبر الأدلة على بطلان هذا الزعم وفساده. قال الأب بطرس غوري (الكاثوليكي) في كتابه مختصر اللاهوت الأدبي المجلد الثاني ص ٢٣١ (الأهل لقبول سر التثبيت إنما هو كل إنسان اعتمد ولم يثبت وإن لم يكن مميزا إذ من شأن هذا السر إكمال الحياة الروحية التي تنال بالمعمودية وهو نظير المعمودية من جهة كونه مشروعا من أجل الجميع. ولكن بمقتضى الاصطلاح الجاري في الكنيسة لا ينبغي تثبيت الأطفال مالم يبلغوا سن التمييز).

أما وجه خطأ الكنيسة الغربية في ذلك فلكونها :

(١) غيرت عادة قديمة تسلمتها الكنيسة من الرسل وخلفائهم.

(٢) حرمت الأطفال الذين يموتون قبل أن ينالوا هذه المسحة المقدسة من ثمارها الصالحة الطيبة.

الفصل العاشر

فى

(١) من له حق تقديس الميرون ومن له حق ممارسته

(٢) عدم إعادته

(١) من له حق تقديس الميرون ومن له حق ممارسته

ان تقديس الميرون خاص برؤساء الكهنة. اما ممارسته فعامة لجميع الكهنة سواء أكانوا اساقفة أم قسوسا. لأن الاسقف لا يمتاز عن القس فى تكميل الاسرار إلا فى سر الكهنوت فقط. قال يوحنا فم الذهب (ان الاساقفة يعلون على القسوس بالشرطونية وحدها فقط وبها وحدها يسمون عليهم).

اما الكنيسة الرومانية فتحصر التقديس وتتميم هذا السر فى الاساقفة وحدهم كما ورد فى احد قوانينها (من قال الخادم الرسمى للتثبيت المقدس ليس الاسقف فقط بل أيضا كل كاهن بسيط فليكن محروما) غير انها تصرح للكاهن ممارسة هذا السر باذن خاص من البابا كما جاء فى مختصر اللاهوت الادبى ص ٢٣٠ مجلد ٢ (يحق للحبر الأعظم تقليد الكاهن البسيط خدمة سر التثبيت فيكون خادما غير رسمى له بل بموجب إذن مخصوص).

(٢) عدم إعادة سر الميرون

ان هذا السر هو كسرى المعمودية والكهنوت لا يمكن إعادته مطلقا. أما المسحة التى تمنحها الكنيسة للملوك عند تتويجهم كملوك الحبشة فهى ليست بالميرون ولكنها بالزيت لتمنحهم نعمة الروح القدس التى تقدرهم على القيام بواجباتهم الملوكية التى هى واجبات سامية ذات قوة فائقة ومفروضة من الذات الالهية.

(٣) سر الافخارستيا (١)

أو القربان المقدس

تمهيد: لسنا نوضح خافيا اذا قلنا ان سر الافخارستيا سر عجيب مدهش بل خلاصة الأسرار المقدسة التى ابتدعتها حكمة الله ورحمته لأجل خلاص البشر وتقديسهم. وهو ينبوع نعم الله وعربون الحياة الابدية ومعجزة المعجزات الآلهية. ومن ثم يستحق العبادة والسجود اللائقين بالله نفسه.

قال يوحنا فم الذهب (هذا الجسد لما كان بعد فى المذود خجل منه المجوس ورجال كفرة وبرابرة تركوا أوطانهم وبيوتهم وقطعوا طريقا طويلة وأتوا بخوف وارتجاف كثير وسجدوا له فلنتقيدن اذن بالبرابرة على الأقل نحن ابناء السماء).

الفصل الاول

في

(١) ماهية سر الافخرستيا (٢) مادته (٣) اعتقاد الكنيسة فيه (٤) حقيقة الخبز والخمر وقت التناول

(١) ماهية سر الافخارستيا

سر الافخارستيا هو سر جسد ربنا يسوع المسيح ودمه تحت عوارض الخبز والخمر. يمنح ذكرا لذبيحة الصليب ويعطي لنيل النفوس والاجساد الحياة الروحية اى حياة النعمة فى هذا العالم وحياة

---

(١) الافخارستيا كلمة يونانية معناها الشكر.

المجد فى العالم الآتى.

لاننا متى اكلنا وشربنا من هذه المائدة المقدسة واختلط جسد مخلصنا باجسادنا ودمه بدمائنا تطهرنا واصبحنا كالاعضاء له. وهو كالراس لنا حينئذ تستنير عقولنا وتتنبه افكارنا وتتقوى ارواحنا على مقاومة الجسد وشهواته.

وكما أن الخبز الجسدى يكمل ما نقص من السخونة الطبيعية بقوة الحرارة الحادثة فى الجسم هكذا الخبز السمائى يكمل مانقص من حرارة انفسنا بسبب الشهوة الرديئة التى هى مادة جميع الخطايا واصلها. وكما أن الطعام الزائل يصون الحياة ويحفظها كذلك الطعام الدائم فانه يصون الحياة ويحفظها أيضا. غير أن الاول يحفظها الى مدة محدودة اما الآخر فيحفظها الى الابد (يو ٦:٥١).

(٢) مادة سر الافخارستيا

ان مادة سر الافخارستيا هي الخبز والخمر كما رسم السيد له المجد. اذ أنه فى العشاء الاخير اخذ خبزا وخمرا وقدسهما جاعلا اياهما جسده ودمه. ومن ثم قررت الكنيسة انه لا يصلح أن يكون مادة الافخارستيا إلا خبز الحنطة الجيد وعصير الكرمة المختمر الممزوج بالماء اليسير تذكارا للماء الذى خرج من جنب السيد اثناء صلبه (يو ١٩:٢٢).

ولكرامة هذا السر العظيم واحترامه رتبت الكنيسة أن يصنع الخبز والخمر بمعرفة رجالها ولم يكن غرضها من ذلك مجرد الاطمئنان على نقاوة المادة ونظافتها فقط بل ليكون الخبز

والخمر مقدسين بالصلوات التى تتلى عليها وقت منحها (١)

(٣) اعتقاد الكنيسة في سر الافخارستيا

تعتقد الكنيسة فى هذا السر العظيم انه يحتوى حقيقة بحالة ذاتية وجوهرية على جسد ودم ونفس ولاهوت ربنا يسوع المسيح. اى ان الخبز والخمر يستحيلان وينتقلان بكلمات التقديس الى جسد المسيح ودمه لا على وجه رمزى أو اشارى ولا بحسب حلول اللاهوت وحضوره فى مادتى الخبز والخمر بل أن الخبز والخمر يصيران حقيقة وفعلا وبحسب جوهرهما جسد الرب ودمه نفسه ولم يبق من الخبز والخمر شئ إلا القواهر الخارجية فقط. لان المسيح قال (هذا هو جسدى) فلو بقى جوهر الخبز مع جسد المسيح لما كان ذلك القول صادقا. تنزه له المجد عن ذلك وتقدس.

ولنعلم ان العبارة التى ينطق بها الكاهن وقت التقديس وهى (خذوا كلوا هذا هو جسدى) ليست خبرية عما كان قبلا بل انشائية أى صانعة مالم يكن سابقا ان يكون بالحضرة وموضحة ماصار عند لفظ تلك الكلمات لانها تصنع ماقيل بها فى نفس قولها. لان الكاهن لا يلفظ كلام التقديس بمنزلة تاريخ أو خبر فقط بل بنوع انشائى وعملى ايضا كان الكاهن شخص المسيح إذ يقوم مقامه فى ذلك.

(٤) حقيقة الخبز والخمر وقت التناول

ان الخبز والخمر اللذين يتناولهما المؤمن إنما هما عين

---

(١) تفرض الكنيسة على من يمنح القربان ان يتلو المزامير اثناء ذلك.

الجسد الذى اخذه المسيح له المجد من القديسة مريم وهو الذى تألم ومات وقام من بين الأموات لأجل خلاص العالم لانه ليس للمسيح سوى جسد واحد ومن ثم تشهد الكنيسة فى الاعتراف الملحق بخدمة القداس قائلة (اؤمن ان هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح من سيدتنا كلنا والدة الاله الطاهرة القديسة مريم وجعله واحدا مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير).

على ان هذا السر العجيب وان كان يتمم فى جميع الكنائس المتفرقة فى سائر أنحاء العالم فى وقت واحد إلا ان جسد المسيح ودمه فى جميع الأمكنة والأزمنة هو واحد وكذلك إذا انقسم ذلك الجسد إلى اجزاء متعددة فلا يبرح المسيح موجودا فى كل جزء من هذه الأجزاء صغيرها وكبيرها. لانه من حيث أن المسيح له المجد هو الكاهن إلى الأبد. الذى لن يموت مطلقا ليخلفه كاهن آخر فله السلطان المطلق على حياته وموته. وله ايضا ان يوجد جسده ودمه فى القربان المقدس حال وجوده وان يجعله موجودا على الدوام فى شتى المواضع. كما انه يقدر ان يمنح خدامه سلطانا أن يفعلوا هذه الأفعال عينها بقوة كلمته إلى انقضاء الدهر ومن ثم اجمعت كل الكنائس الرسولية على الحقائق الآتية :-

(١) ان الكاهن حالما يتلو كلام الرب الفاعل التقديس ففى تلك اللحظة يهدم جوهر الخبز والخمر ويوجد مكانهما جسد سيدنا يسوع المسيح ودمه الكريم.

(٢) بعد هدم جوهر الخبز والخمر تستمر عوارضهما اى اللون

والصورة والرائحة والطعم قائمة بغير جوهرها.

(٣) ان هذه الأعراض مع تعريتها من جوهرها تفعل فى حواسنا بعد التقديس مثل ماكانت تفعل قبل التقديس اى اننا ننظر فيها اللون والصورة والشكل نفسه الذى كنا ننظره من قبل ونشم الرائحة ونذوق الطعم ونغتذى به اغتذاء مساويا لكميتها مثل ماكنا نغتذى بها قبل ذلك.

(٤) ان جسد ربنا يسوع المسيح يحتوى بالتمام تحت جسم مغير من الخبز والخمر ويؤكل من المتناولين خلوا من انه يفسد او يفنى.

(٥) انه اذ يوجد فى القربان المقدس لا يترك السماء لكنه يوجد بقوته الآلهية فى السماء وفى القربان معا. وهكذا لا يترك قربانه لكى يكون فى الاخرى بل يوجد معا فى السماء وفى جميع القربانات.

(٦) انه لا ينكسر حين تكسر القربانة بل انه يبقى جسده بالتمام فى كل جزء منها كوجود الروح فى الجسد.

(٧) انه يكون فى القربان المقدس متصفا بالصفات المختصة بالاجساد وبالصفات المختصة بالارواح معا. أى أنه ذو لون ومع ذلك غير منظور بالاعين الجسدية. وهو ملموس ومع ذلك غير محسوس باللمس. وهو مادى الا انه غير منقسم. ويؤكل الا انه لا يفسد. وهو حى الا انه بحال ميت. أى أنه من جهة الحال الذى هو فيه عادم جميع الأفعال المنسوبة للحياة فلا يسمع ولا يتكلم ولا يتحرك ومع ذلك فهو حى ويمنح الحياة لمن يتناول منه.

وهذا الاعتقاد هو طبق ماجاء فى رسالة بطاركة الشرق التى

نصها(١) (انه وان كانت تتم فى المسكونة خدمات كثيرة فى ساعة واحدة بعينهـا لكن المسيح ليست له اجساد كثيرة بل هو ذاته يحضر وجسده واحد ودمه واحد فى كنائس المؤمنين المتفرقة جميعهـا. وليس ذلك بأن جسد السيد الذى فى السماء ينحدر على المذبح بل خبز التقدمة الموضوع فى جميع الكنائس المتفرقة ينتقل بعد التقديس ويستحيل بجوهره ويصير ويلبث الجسد الواحد الذى فى السماء نفسه لان جسد المسيح واحد لا كثير فى اماكن كثيرة ولذا يسمى هذا السر بنوع خصوصى عجيبا وهو عجيب وبالايمان وحده يدرك).

غير أن بعض الناس يصدهم عن الايمان بذلك عدم ادراكهم كيفية وجود جسد المسيح بكماله تحت جزء بسيط من الخبز. وقد كان يلزمهم ان يفكروا بأن الله قادر على كل شئ وكما أبدع الطبيعة يمكنه ان يخرق نظامها ايضا.

ليت شعرى الم تجمع العين مع صغرها كميات كبيرة من البيوت والناس والاشجار واذا كان هذا يحدث بقوة الطبيعة فلم لا يستطيع الله القادر على كل شئ أن يصنعه بنوع فائق الطبيعة بجسد المسيح. واذا كانت النفس توجد كلها فى الجسد كله وفى كل جزء منه فلماذا يعد أمرا عسيرا أن يوجد المسيح فى القربانة كلها وفى كل جزء منها!

---

(١) الانوار ص ١٧٥

الفصل الثانى

فى

تأسيس سر الافخارستيا

لقد اسس ربنا هذا السر المقدس فى ليلة آلامه اذ أخذ خبزا وبارك وكسر وأعطى تلاميذه قائلا: خذوا كلوا هذا هو جسدى واخذ الكاس وشكر واعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لان هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦:٢٦).

وقد كان جل شانه سبق ومهد لهذا السر الجليل بوعود صريحة أعدت تلاميذه لفهمه وقبوله وأوضحت لهم طبيعته وقوته وضرورته حيث جاء فى انجيل يوحنا انه بعد ان أطعم الجموع بالخبز المادى انتهز هذه الفرصة المناسبة واخذ يتكلم عن الخبز السمائى الذى هو جسده بقوله: أنا هو خبز الحياة آباؤكم اكلوا المن فى البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الانسان ولا يموت انا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الأبد والخبز الذى انا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم (يو ٦:٢٨-٥١).

ولقد فهم اليهود وقتئذ من قوله هذا أنه يعطيهم جسده حقا بقولهم: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل (يو ٦:٥٢) ثم أن أكثر تلاميذه تذمروا وقالوا: هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه (يو ٦:٦٠) كما انه هو نفسه تحقق أن اليهود وتلاميذه فهموا

كلامه حرفيا ومع ذلك لم يغير اقواله حتى يرفع من قلوبهم الشك والعثرة ولم يحول معنى اكل جسده ودمه الى معنى آخر خلاف ظاهره بل على العكس وبخ تلاميذه لتشككهم فى ذلك واقام الحجة على وجوب تصديقه فيما قرره قائلا: الحق الحق اقول لكم ان لم تاكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم من ياكل جسدى ويشرب دمى فله حياة ابدية وانا اقيمه فى اليوم الأخير لان جسدى ماكل حق ودمي مشرب حق. من ياكل جسدى ويشرب دمي يثبت فى وانا فيه. هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ليس كما اكل آباؤكم المن فى البرية وماتوا من ياكل هذا الخبز فانه يحيا الى الأبد (يو ٦:٥٣-٥٩).

قال يوحنا فم الذهب (حكم اليهود بأن المسيح لا يقدر أن يعطيهم جسده لياكلوه واكدوا أن هذا مستحيل ولكنه أبان لهم انه ممكن وليس ممكنا فقط بل ضروري واضطراري وشرط لازم للحياة الأبدية وان لم يبين كيف يصير ذلك. فكما انه فى الفصح اليهودى كان لحم الخروف ودمه ضروريين لنجاة الاسرائيليين من الهلاك الذى نزل بالمصريين. كذلك لا ينجو المؤمن من هلاك الخطيئة ولا تكون له حياة فيه مالم ياكل جسد ابن الانسان ويشرب دمه. وكما أن الخبز والشراب ضروريان لحياة الجسد كذلك جسد المسيح ودمه ضروريان لحياة النفس. فليس لاحد حياة روحية بالذات فالله قد اعد هذه الطريق الفائقة الادراك لنوالها).

الفصل الثالث

فى

الاستحالة

لا يخفى ان مادة سائر الأسرار تلبث غير متغيرة ولا مستحيلة بعد التقديس. اما مادة الافخارستيا فيستحيل جوهرها وتتغير بعد التقديس.

ومعنى الاستحالة هى أن الخبز والخمر يصيران حقيقة وفعلا وبحسب جوهرهما جسد الرب ودمه نفسه. وذلك بالقوة الآلهية التى تحل عليهما. واننا لو تجردنا من الجسد الهيولى وصارت انفسنا فى العالم الآخر لشاهدنا ذلك المسكن الأرضى. ومن ثم يوجد فرق عظيم بين معتقد الكنائس البروتستانتية والكنائس الرسولية فى هذا السر المجيد.

فالكنائس البروتستانتية تعتقد أن حضور المسيح فى الخبز والخمر يكون بولوجه او نفوذه فى الخبز والخمر مع بقائهما على حالتهما وتمام جوهرهما لان وجوده لا يؤثر فيهما شيئا سوى أنه يوجد بجسده ودمه فى الخبز أو مع الخبز او تحت الخبز.

أما الكنائس الرسولية فتعتقد ان حضور المسيح فى السر يتم بتغيير وانتقال واستحالة جوهر الخبز والخمر الى جسده ودمه

الحقيقي الذي ولد في بيت لحم اليهودية من القديسة مريم.

ولا غرابة في ذلك. لان القوة التي حولت الماء خمرا في قانا الجليل. وعصا موسى الى حية. ومياه النيل الى دم. وامراة لوط الى عمود ملح. ومازالت تحول الخبز والماء وسائر الأغذية الى دم ولحم بطريقة غامضة عنا غموضا كليا هي نفسها قادرة ايضا على تحويل الخبزوالخمر الى جسد المسيح ودمه الأقدسين.

واذا قيل إن تحويل الماء الى خمر أو الى دم. وتحويل عصا هرون الى حية دل ظهورها على تحويلها عن أصلها. أما الخبز والخمر فيبقيان على أصلهما. قلنا أن الحكمة الآلهية اقتضت ان يكون تحويل تلك الذوات ظاهريا لأن الغاية منها لم تكن سوى مشاهدة العيان في وقتها فقط. أما الأعمال السرية ذات الغايات الروحية الدائمة فلم تر حكمة الله أن تكون ظاهرة للعين اللحمية بل للعين العقلية لأننا في سائر امورنا الروحية نسلك بالايمان لا بالعيان (٢ كو ٥:١٧).

قال القديس يوحنا الدمشقي (ان الخبز والخمر ذاتهما ينتقلان الى جسد الرب ودمه حقا. واذا كنت تسأل عن الطريقة كيف يصير ذلك فيكفيك ان تسمع أنه بقوة الروح القدس. ولا نعلم اكثر من ذلك. بل أن كلمة الله صادقة فعالة وقادرة على كل شئ. وأما الطريقة فلا تدرك ولا تفحص. وليس مستقبحا ان نقول هذا أيضا وهو كما أن الخبز والخمر والماء تنتقل طبعا بالاكل والشرب الى جسد ودم الذى اكلها وشربها ولا تصير جسدا آخر غير جسده

الأول هكذا خبز التقدمة أيضا والخمر يستحيلان بالدعاء وحلول الروح القدس بوجه يفوق الطبيعة الى جسد يسوع المسيح ودمه . وليسا بعد ذلك جسدين بل هما جسد واحد).

وقال يوحنا فم الذهب (اذا كان الكلمة يقول هذا هو جسدى فلنقبل ونطيع ونؤمن وننظر اليه بعين العقل لان السيد المسيح لم يسلم الينا شيئا محسوسا لكن الأعيان هى محسوسة غير انها كلها عقلية . هكذا فى المعمودية تكون الموهبة بشئ محسوس هو الماء والذى يكمل هو شئ عقلى وهو الميلاد الجديد . ولو كنت مجردا من الجسد لكان قد اعطاك هذه المواهب مجردة عن الجسم . ولما كانت النفس مشتبكة بالجسد اعطاك العقليات فى اشياء محسوسة).

الفصل الرابع

فى

شهادة الأنبياء

لقد ورد فى الأنبياء نبوات صريحة تشير الى حقيقة هذا السر الذى لا يتناهى فضله بأقوال واضحة جلية. منها قول اشعياء النبى: فيعرف الرب فى مصر ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم ويقدمون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذرا ويوفون به (اش ١٩:١٩) وقول ملاخى النبى: لانه من مشرق الشمس الى مغربها اسمى عظيم بين الامم وفى كل مكان يقرب لاسمى بخور وتقدمة طاهرة لان اسمى عظيم بين الامم قال رب الجنود (مل ١:١١).

ومن تأمل فى هاتين النبوتين يجدهما يشيران الى ثلاثة امور:

(١) ان الله كان عتيدا ان يرذل ذبائح اليهود.

(٢) انه عوضا عن كل ذبائح اليهود الرمزية كان عتيدا ان يرسم ذبيحة حقيقية هى ذبيحة القربان الطاهر.

(٣) ان ذبيحة القربان الطاهر تقدم له فى كل اقطار المسكونة.

واذا قال قائل ان هذه النبوات تشير الى ذبيحة الصليب قلنا: انه غير ممكن أن تفهم هذه النبوات عن ذبيحة الصليب للسببين الآتيين:

(١) ان ذبيحة الصليب لم تقدم فى سائر الامم ولكن فى الأمة اليهودية وحدها.

(٢) لم تقدم فى كل العالم ولكن فى اورشليم فقط .

واذا قال ايضا ان هذه الذبيحة تشير الى الذبيحة الباطنية اى ذبيحة محبتنا. قلنا. ان ذلك غير ممكن ايضا. لأن الذبيحة الباطنية ليست بذبيحة جديدة مرتسمة حديثا لكى تكون عوضا عن كل الذبائح العتيقة. بل هى ذبيحة قديمة كانت ولم تزل مقدمة لله على الدوام من قبل الصالحين المستقيمى القلوب. لاسيما وان هذه النبوة تدل على ذبيحة ظاهرة حسية لا على ذبيحة باطنة سرية .

فاذن هذه النبوات لا تشير الا على ذبيحة القربان المقدس التى تقدم لله تعالى فى كل أقطار المسكونه .

واذا قال المعترض. ان كانت ذبيحة القربان المقدس هى ذبيحة حقيقية فاذن مامعنى قول الرسول: وانما حيث تكون مغفرة لهذه لا يكون بعد قربان (ذبيحة) عن الخطيئة (عب ١٠:١٨) لان من هذا القول ينتج حسب رأى لوثر فى مؤلفه القداس ودرجة الكهنوت المنشور سنة ١٥٣٤ (ان ذبيحة القداس ليست هى بذبيحة لكنها شئ باطل وكفر).

فنجيب أن معنى قول الرسول (لا يكون بعد قربان عن الخطيئة) اى أنه بعد موت سيدنا يسوع المسيح لن نحتاج الى ذبيحة قابلة لأن يوفى بها عن الخطيئة وتكون فدية واجبة للنجاة من أسر الشيطان وللحصول على التبرير والتقديس. ولكنه لم ينف الواسطة التى بها نستحق تلك الفدية التى قدمت على الصليب وهى ذبيحة القداس. أو بعبارة اخرى ان الرسول انكر كل ذبيحة تستحق وتمنح ثمنا واجبا لاجل فدائنا. ولكنه لم ينكر الوسائط

المرتبة من المسيح نفسه لتمنحنا استحقاق تلك الفدية التي قدمت عنا على الصليب. وهذه الوسائط هي ذبيحة القداس وغيرها من الأسرار المقدسة.

فاذن ذبيحة القداس لا تشعر بقصور ذبيحة الصليب كما كانت إعادة الذبيحة التابعة تشعر بقصور السابقة في الشريعة القديمة كلا لان ذبيحة القداس كما قلنا إن هي إلا واسطة لجر منافع ذبيحة الصليب الينا. كما أن المعمودية والتوبة وباقي الاسرار وسائط لجر منافع ذبيحة الصليب ايضا. وإلا إذا كانت ذبيحة القداس تشعر بقصور ذبيحة الصليب للزم أبطال المعمودية وبقية الأسرار لأنها وسائط لجر منافع الذبيحة المذكورة وهذا باطل بالبداهة.

ولنعلم ان سيدنا يسوع المسيح قدم لأبيه الأزلي بموته على الصليب الثمن الكافي لخلاص العالم جميعه ومن ثم اعد للجميع غفران خطاياهم. فالكاهن بتقديمه هذه الذبيحة يستخرج قسما من ذلك الثمن الغير المتناهي ويخصه لغفران خطايانا اليومية. ولا تصير هذه الذبيحة ذبيحة جديدة منفصلة عن ذبيحة الصليب الكافية للكل لكن تصير ذكرا لتلك الذبيحة وتقسيما جديدا لمغفرة خطايانا اليومية فقط لأن ذبيحة القداس هي مداومة ذبيحة الصليب وهي وتلك واحدة.

وفضلا عن ذلك فأن الوحي الآلهي شهد أن ربنا يسوع المسيح يقدم نفسه في السماء لله أبيه بغير انقطاع لمغفرة خطايانا (عب ٩:٢٤) فكما أن هذا التقديم الذي يصير في السماء خلوا من انقطاع ليس هو إلا مداومة ذكر ذبيحة الصليب هكذا ايضا تقدمة

هذه الذبيحة الالهية على ايدي الكهنة على الارض ليست الا مداومة ذكر ذبيحة الصليب.

وكما ان فى تقدمة قرابين العهد القديم كان الكاهن يقدم لله الذبيحة فى حال ذبحها وبعد ذلك أيضا يذهب إلى القدس ويقدم لله دم تلك الذبيحة. وبهاتين التقدمتين لم تكن تكثر الذبيحة لكن تستمر ذبيحة واحدة هكذا أيضا بتقدمة ذبيحة القداس لا تكثر ذبيحة الصليب لكن تستمر ذبيحة واحدة.

الفصل الخامس

فى

(١) حد الذبيحة (٢) من له حق تتميم ذبيحة القداس

ان الذبيحة بوجه العموم على حسب معناها الخاص هى تقدمة شئ ظاهر حسى لله بهدم ما لذلك الشئ المتقدم وتغييره لتادية العبادة الواجبة لجلاله الالهى على الخليقة الناطقة بوساطة خادم لائق رسمى.

(١) أما قولنا أن الذبيحة هى تقدمة شئ ظاهر حسى لله فذلك لتمييز الذبيحة المنظورة من الذبيحة الباطنة الغير المنظورة. فالذبيحة الباطنة الغير المنظورة هى تقدمة نفوسنا لله تعالى لخدمته ولتكميل مشيئته. أما الذبيحة الظاهرة المنظورة فهى تقدمة شئ حسى منظور كذبيحة القداس المقدمة بجسد سيدنا يسوع المسيح ودمه مستترين تحت عوارض الخبز والخمر. غير أن هذه الذبيحة الظاهرة لن يرتضى الله بها ولا يتمجد من قبلها إن لم تكن باطنية ايضا. أى صادرة من القلب بجزيل المحبة وذلك لأن: الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا (يو ٤:٢٤).

(٢) اما قولنا بهدم ماللشئ المقدم وتغييره فلان ذبيحة القداس هى تذكار لذبيحة المسيح الكائنة على جبل الجلجلة التى هدم بها الشئ المقدم الذى هو جسده الاقدس هدما حقيقيا وذلك بموته على الصليب. إلا أن بهذه الذبيحة لا يصير هدم حقيقى

فعلى الذى هو موت سيدنا يسوع المسيح لكن يصير هدم رسمى فقط لانه لا ضرورة لأن يوجد فى ذبيحة القداس هدم حقيقى منفصل من ذلك الهدم الكائن على الصليب لأن ذبيحة القداس هى مداومة ذبيحة الصليب وهى وتلك واحدة . ومع ذلك يوجد بذبيحة القداس هدم سرى أيضا . وهو هدم جوهر الخبز والخمر المقدمين ليوجد فيهما جسد سيدنا يسوع المسيح ودمه اللذان هما فقط ذبيحة القداس الحقيقية .

(٣) اما قولنا لتأدية العبادة الواجبة على الخليقة الناطقة لجلاله الالهى فذلك لأنه ليس للخليقة الناطقة افضل من هذه الوسيلة وهى تقديم الذبيحة لتأكيد اعتقادهم بسيادة الله والتكريم الواجب لعظمته الفائقة .

(٤) أما قولنا بوساطة خادم لائق رسمى فلأن الله تعالى نفسه رتب ان لا تقدم له هذه الذبيحة إلا على أيدى الخدام المنتخبين منه لهذه الخدمة وهم الرسل وخلفاؤهم الاساقفة والقسوس فقط بقوله لهم : اصنعوا هذا لذكرى (لو ٢٠:١٩) وقول بولس الرسول لاهل كورنثوس: كاس البركة التى نباركها والخبز الذى نكسره (١ كو ١١:٢٤) وبذلك اثبت أن حق تقديس الافخارستيا خاص بهم وحدهم وخلفائهم أى الأساقفة والقسوس لأنه قال التى نباركها لا التى تباركونها والذى نكسره لا الذى تكسرونه .

على انه وان كانت هذه الذبيحة لا يقدمها الا الكهنة خدام المسيح ونوابه الا أنه لا يغيب عن افهامنا أن الكاهن الخصوصى الذى بقوته الآلهية يتحول الخبز والخمر الى الجسد والدم الأقدسين هو المسيح له المجد فهو وحده الحبر الاعظم المطلق

السلطان الثابت الى الأبد وهو الذى ذبح نفسه ذبحا حقيقيا على الصليب ويذبح نفسه ذبحا سريا على المذابح. اما الكهنة فما هم الا نوابه فقط والمسيح نفسه هو الذى يلفظ الكلام الجوهرى بفمهم ولهذا السبب لا ينطق الكهنة بتلك الكلمات المختمة بالتقديس الا بحسبما نطق بها هو نفسه. اذ يقول كل منهم كانه يتكلم بشخص المسيح: خذوا كلوا هذا هو جسدى واشربوا منها كلكم لان هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦:٢٦).

قال يوحنا فم الذهب (ان هذه الافعال ليست هى افعال قوة بشرية بل ان الذى صنعها فى ذلك الحين هو نفسه الذى يصنعها الآن فنحن الكهنة خدام له وهو نفسه الذى يقدس الموضوعات ويحولها) وقال ايضا (كما ان تلك الكلمة التى قيلت فى البدء اى انميا واكثرا واملأا الأرض صارت فاعلة الى الأبد هكذا هذه الكلمة اعنى خذوا كلوا هذا هو جسدى وخذوا اشربوا هذا هو دمى قيلت دفعة واحدة فى تلك الليلة وهى التى تعمل الآن فى الموضوعات وتنقلها).

قال القديس كبريانوس (ان سيدنا يسوع المسيح حتى اليوم والى انقضاء الدهور يصنع ويقدس ويبارك جسده).

الفصل السادس

فى

القداس

القداس ويسمى بالقبطية (أنا فورا) وباليونانية (افخولجيون - خولاجى) وبالاتينية وغيرها (لتورجيه) وبهذا الطقس تتم الذبيحة المقدسة. لانه عندما يتلو الكاهن قول السيد له المجد: خذوا كلوا هذا هو جسدي. وهذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦:٢٦) ثم يتلو صلاة استدعاء الروح القدس يتحول الخبز والخمر الموضوعان على المذبح الى جسد المسيح ودمه الطاهرين.

ويرجع ترتيب القداس الى الرسل انفسهم حيث اثبت التاريخ الكنسى ان يعقوب الرسول هو أول من وضع قداسا وسلمه لكنائس أورشليم.

أما القداسات المعتبرة فى كنيستنا القبطية فثلاثة:

الأول: القداس الكرلسى لواضعه مارى مرقس الانجيلى كاروز الديار المصرية. وقد نسب للبابا كيرلس الرابع والعشرين من بابوات الاسكندرية لانه هو الذى رتبه بشكله الحالى.

الثانى: القداس الباسيلى وقد وضعه القديس باسيليوس الكبير رئيس اساقفة قيصرية الكبادوك بآسيا الصغرى المولود سنة ٣٢٩م.

الثالث: القداس الغريغورى لواضعه غريغوريوس الثاولوغس

بطريرك أرمينية الأول المولود سنة ٣٢٨ م.

ولقد ورد فى دائرة المعارف البريطانية مايؤيد ان القداسات وضعت منذ العصر الرسولى حيث جاء فى مجلد ١٤ ص ٧٠٧ تحت عنوان قداسات القديس مرقس الرسول الاسكندرى ماياتى:

(يشمل هذا القسم من القداسات. القداسات اليونانية للقديسين (مرقس) وباسيليوس وغريغوريوس).

وجاء فى تاريخ موسهيم المؤرخ البروتستانتى مايثبت وجود القداسات منذ العصر الرسولى حيث قيل (لما مارس المسيحيون العشاء الربانى وذلك كان غالبا فى يوم الاحد كانوا يقدمون بعض خبز قرابين الشعب وخمرها بصلوات معلومة يتلوها الرئيس اسقف الجماعة وكانت الخمر ممزوجة بماء والخبز يقسم فتاتا وكان يرسل حصص من الخبز والخمر المقدسين الى الغائبين والمرضى شهادة بمحبتهم الأخوية لهم وكان هذا الطقس الاقدس يعتبر عندهم ضروريا لنوال الخلاص. والبراهين على ذلك كثيرة. ولهذا لا أجترىء ان اغلط الذين يعتقدون أن العشاء الربانى كان يعطى فى هذا القرن (الثانى) فى شمال افريقا للاطفال. كتاب ١ قرن ٢ قسم ١ فصل ٤ ص ٧٥).

أما اذا سأل ما الغرض من ذكر الملائكة وجميع القديسين فى القداس الالهى مع أنه خاص بذبيحة المسيح. فنجيبه: ان القديسين والملائكة يذكرون فى القداس الذى هو خاص بذبيحة المسيح للأسباب الآتية :-

(١) لأن القديسين لم يمتلكوا مجدهم وسعادتهم الا بفضل استحقاقات ذبيحة سيدنا يسوع المسيح على خشبة الصليب المداومة بذبيحة القداس الالهي.

(٢) لأن جميع القديسين هم أعضاء سيدنا يسوع المسيح وهو رأسهم ،لانه تعالى يتمجد بهذه الذبيحة فلابد من أن يفاض مجده على أعضائه الغير المنفصلين منه لأن مجد الراس لابد من أن يشمل الأعضاء أيضا.

(٣) لأن كل القديسين متحدون مع رأسهم سيدنا يسوع المسيح اتحادا غير مفترق فلذلك يقدمون نفوسهم لله مع المسيح فى ذبيحة القداس الالهى التى هى ذبيحة الجسد كله أى الراس سيدنا يسوع المسيح والأعضاء أى كل القديسين.

الفصل السابع

فى

(١) شهادة الكنيسة (٢) شهادة زعماء البروتستانت

(أولا) قال الآباء أعضاء مجمع نيقية وهو المجمع الاول المسكونى (لا ينبغى أن ننظر على المائدة المقدسة الى الخبز والكاس كأنهما مقدمان على بسيط الحال بل يجب أن نرفع الروح فوق الحواس ونتفهم بالايمان أن حمل الله الرافع خطيئة العالم يستريح ههنا مذبوحا من الكهنة وانهم يتناولون جسد الرب نفسه ودمه الكريم نفسه اللذين نؤمن بانهما رسوم لقيامتنا).

وقال آباء المجمع الثالث المسكونى الملتئم فى افسس (اننا نقدم فى الكنائس الذبيحة الغير الدموية وهكذا نلمس الأسرار المقدسة والمباركة ونتقدس باشتراكنا بالجسد المقدس جسد المسيح مخلص العالم كله وبدمه الكريم).

(٢) قال القديس كيرلس بابا الاسكندرية (اننا ننادى بأن ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح مات بالبشرة ونقر بقيامته وبصعوده الى السموات فتتم فى الكنائس الذبيحة الغير الدموية وهكذا نقترب من الأسرار المباركة ونتقدس اذ نشارك جسد يسوع المسيح مخلصنا المقدس ودمه الكريم ... لكن لا ينبغى أن ننظر الى جسده كما الى جسد انسان مماثلنا من كل الوجوه فى أهوائنا بل يجب أن نوقن أنه بالحقيقة جسد الذى قد صار وسمى لاجلنا ابن الانسان نفسه).

(٣) قال القديس كيرلس الاورشليمى (لكونه هو نفسه تكلم وقال عن الخبز هذا هو جسدى فمن يجسر بعد ذلك ان يرتاب ولكونه هو نفسه ثبت وقال هذا هو دمى فمن يتوهم أو يقول انه ليس بدمه. لان الذى حول وقتا ما الماء الى خمر فى قانا الجليل باشاراته افليس مصدقا اذا قال انه حول الخمر الى دم. وقد دعى الى عرس جسدى فصنع فيه تلك العجيبة الفائقة فكيف لا نعترف له انه بالاحرى منح بنى العرس التمتع بجسده ودمه فلنتناولهما اذن باليقين التام انهما جسد المسيح ودمه. لانه برسم الخبز يعطى لك الجسد وبرسم الخمر يعطى لك الدم. لكى بتناولك من جسد المسيح ودمه تصير متحدا معه جسدا ودما. لاننا بهذه الحالة نصير لابسى المسيح اى بامتزاج بجسده ودمه فى اعضائنا وبهذه الواسطة نصير مشاركى الطبيعة الآلهية كما يقول بطرس المغبوط. فلا تنظر اذن الى الخبز والخمر كأنهما عاديان اذ هما جسد ودم حسب القول السيدى. لانه وان كان الحس يظهرهما لك عاديين لكن الايمان يحقق لك انهما جسد ودم فلا تحكم اذن بحسب الذوق الحسى بل تحقق من الايمان وتأكد بلا ارتياب انك قد أهلت لجسد المسيح ودمه.

(٤) قال يوحنا فم الذهب (فيا للعجب من كون المائدة مهيأة وحمل الله قد قدم لاجلك ذبيحة والنار الروحية قد اشرقت من مطلع المائدة الرهيبة والكاروبيم محدقون بها والسارافيم ذوو الستة الأجنحة يتطايرون وهم يحجبون وجوههم خوفا والقوات العلوية بأسرها المنزهة عن الاجسام تبتهل مع الكاهن فى شأنك والنار الآلهية منحدرة من فوق لاجلك والدم الكريم مسفوك فى

الكأس من الجنب الطاهر لتطهيرك وانت تلتحي عنها غير خائف ولا مرتعد ... ولا تحسب انك تتناول من يد انسان حاشا بل لاشك انه من يد الساروفيم بالملعقة النارية تلك التي رآها أشعياء النبي عيانا وتيقن ان مايتناوله بها انما هو الجسد الالهي لا غير وتكون كانك قد قربت بشفتيك نحو الجنب الطاهر الالهي وتناولت منه ذاك الدم المخلص الذى شربته).

(ثانيا) شهادة زعماء البروستانت

(١) لقد جاء فى تاريخ الاصلاح للعلامة ميرك روبينياه المترجم من الانجليزية جزء ٢ ص ٣٨٢ عن لوثر أنه قال (انى أختلف عن أخصامي فى تعليم عشية الرب وانى أختلف دائما عنهم فان المسيح قد قال هذا هو جسدى فليبينوا لى أن الجسد ليس هو جسده وانى أرفض العقل والعرف والاحتجاجات اللحمية والبراهين التعليمية فان الله هو أعلى من الهندسيات. عندنا كلام الله فيجب علينا أن نكمله ونحترمه).

(٢) وجاء فى كتاب الاعتراف بحرية الايمان المطبوع سنة ١٨٦٨ فصل ١٣ ص ٧٥ (إنهم متى تناولوا هذا السر يكونون حقا قد اكلوا جسد المسيح المكسور لاجلنا وحقا قد شربوا دمه المسفوك لاجلنا).

(٣) وجاء فى كتاب شرح حال الكنيسة ص ٢١٣ أنه بعد أن مدح زونكل وساواه بلوثر قال (ان زونكل ذهب الى أن العشاء السرى عيد لتذكار موت المسيح فقط ولكن لوثر ذهب الى انه وسيلة للمناوله من عين جسد المسيح ودمه الحقيقيين).

(٤) وجاء فى (الثلاثة عشر رسالة ص ١٨٨ و ٢٢٢) عن الكنيسة الرومانية أنها لما نسبت للمعلم كين البروستانتى الشهير انه ينكر وجود المسيح فى القربان رد عليها احد البروستانت بقوله (واما كين فانه لم ينكر وجود المسيح فى هذا الخبز ولذلك فشكواكم لا اصل لها. ويقول ان المعلم كين بقوله عن القربان انه خبز لم ينكر وجود المسيح فيه).

الفصل الثامن

فى

الاعتراضات على هذا السر والرد عليها

أما الاعتراضات على هذا السر المجيد فكثيرة غير انها باطلة بجملتها ولا نصيب لها من الصحة على الاطلاق واشهرها مايأتى :

اولا: المجاز : يعترض الذين لا يعتقدون بالاستحالة أن قول السيد المسيح عن الخبز والخمر انهما جسده ودمه إنما هو قول مجازى من قبيل قوله تعالى عن نفسه : انا هو الباب والطريق (يو ١٠ : ٩ و١٤ : ٦) وعن هيرودس أنه ثعلب (لو ١٣ : ٣٢) وعن يوحنا : أنه إيليا (مت ١١ : ١٤) وعن تعليم الفريسيين: انه خمير (مت ١٦ : ٥).

مع أن الفارق بين هذه العبارات والعبارة الخاصة بجسده ودمه الاقدسين بعيد الجوانب. فتلك عبارات مجازية حقا. وأما هذه فصريحة لا لبس فيها. وإيضاحا لذلك نأتى بحد المجاز والغرض منه في أقوال ربنا لنرى مايدخل فى حكمه من تلك الاقوال وما يخرج عنه حتى يتبين فساد هذا الاعتراض وتزييفه.

اعلم أن المجاز غير الحقيقة وهو استعارة اسم شئ لغيره لتناسب بعض صفاته له. وان ماورد فى أقوال ربنا على سبيل المجاز يكاد ينحصر في نوعين: احدهما ماكان الغرض المقصود منه ظاهرا فلم يحتج الى بيان لانه مشفوع بقرنية تدل على انه مجاز. والآخر ماكان غامضا فاحتاج الى البيان والايضاح.

فالظاهر كتسمية هيرودس ثعلبا وذلك لمكره وخديعته وهى صفات

الثعلب. وتسمية يوحنا ايليا لنسكه وزهده ومدافعته عن الحق وهى صفات ايليا نفسه.

أما الغامض فكقوله تعالى (انا هو الباب. وانا هو الطريق) ومن ثم فسر كلامه الاول بقوله: ان دخل بى أحد يخلص (يو ٧:٩) وفسر كلامه الثانى بقوله ليس احد يأتى الى الآب الا بى (يو ٦:١٤) اما قوله عن الخبز انه جسده فلم يدخل لا فى النوع الظاهر ولا الغامض من كلامه. اما كونه لا يمكن ان يكون من النوع الظاهر فلانه لا علاقة بين الخبز والخمر وبين الجسد المصلوب والدم المسفوك الا اذا تقرر ان الخبز والخمر يستحيلان الى الجسد والدم الاقدسين.

واما كونه لا يمكن أن يكون من النوع الغامض فلان ربنا لم يفسره ويوضحه كما فعل بغيره بل بالعكس عندما راى اليهود قد أخذوا كلامه على ظاهره ونفروا منه قائلين (كيف يعطينا جسده لنأكله) لم يعدل عن الكلام الظاهر لكلام آخر بل زاده تأكيدا بقوله: الحق الحق أقول لكم ان لم تاكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم (يو ٦:٥٣) مع ان الضرورة كانت تقضى عليه عندما رآهم فى تلك الحيرة ان يشرح كلامه ويوضحه لهم كما فعل مع نيقوديموس اذ اصلح له غلطته عندما رآه اخذ الكلام على ظاهره وفهم حرفيا أن الانسان يولد من بطن أمه مرة ثانية (يو ٣:٣) وكما فعل تلاميذه عند ما رآهم فهموا بالحرف ما قاله عن خمير الفريسيين. ونوم اليعازر (مت ١٦:٦-١٥ ويو ١١:١١-١٤) هذا وان ربنا له المجد لو كان يقصد ان يعطينا خبزا وخمرا بسيطين لما جاز له أن يعبر عنهما بأقوال

كهذه لان التعبير عن حقيقة أمر ليس فى وسع أعظم فيلسوف ان يعبر عنه بكلام أوفق وأسهل وأوضح مما استعمله هو فى التعبير عن هذا الموضوع.

أما اذا كان بعد هذا التعبير الواضح الصريح يقصد معنى آخر غير الظاهر لجاز لنا أن نقول انه تقدس اسمه وضع عثرة لجميع المسيحيين قصدا وعمدا (وذلك ما ننزهه عنه تنزيها كاملا).

ومما يبرهن على ان ربنا لم يقصد المجاز فى تكلمه عن هذا السر هو ان بولس الرسول نفسه فهم كلام سيده على ظاهره ومن ثم افرغ قوله عنه فى قالب الحقيقة وحذر من يتقدم اليه بدون استعداد واستحقاق تحذيرا رهيبا بقوله (من يأكل هذا الخبز او يشرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرما فى جسد الرب ودمه). ولكن ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس لان الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب. من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون (١ كو ١١:٢٧-٣١) فلو كانت الكأس تحوى خمرا عاديا لما ساغ للرسول أن يدعوها كأس الرب ولما كان الذى يتناول منها بلا استحقاق يعتبر مجرما فى جسد الرب ودمه. ولما كانت هناك ضرورة ايضا لامتحان الانسان نفسه قبل تناوله من هذه المائدة الممتازة.

ليت شعرى كيف يأكل الانسان ويشرب دينونه لنفسه. وكيف يعرض ذاته للهلاك الابدى وقصاص الله المريع ان لم تحو هذه المائدة جسد الرب ودمه حقا. وبأى عدالة يطالب المتجاسر على تناولهما بتبعة جسد ابن الله ودمه اذا كان الخبز والخمر اشارة الى

الجسد والدم فقط. وكيف تكون اقوال الرسول هذه موافقة للذوق السليم وذات معنى معقول لو لم تكن الافخارستيا جسد ودم ربنا الحقيقيين ! حقا ان من ينكر حقيقة هذا السر فقد أنكر اوضح وأجلى برهان فى العالم.

وعدا ماذكر فان اعطاء جسد المسيح ودمه تحت شكلى الخبز والخمر هما ميثاق أو صك شرعى عاهد به تلاميذه عهدا جديدا (لو ٢٢:٢٠) ولا يمكن أن تكون الالفاظ الدالة على الميثاق ألفاظا مجازية مطلقا كما انه لا يمكن أن يستمر المجاز فى كل ماورد فى الانجيل عن ذلك الميثاق الالهى العظيم. قال أحد علماء الكتاب (وقول المسيح هذه الكاس هى العهد الجديد بدمى يعنى هى مثل صك شرعى يتضمن عهد الله الجديد مع البشر وبهذا الدم يثبت ويتقرر هذا العهد على قياس العهد القديم فانه كان اثباته وتقريره بدم الذبائح كما ورد فى (خروج ٢٤).

ثانيا: تذكار: يدعى المعترضون على هذا السر المجيد أن الخبز والخمر ليساهما جسد المسيح ودمه ولكنهما تذكار لذلك الجسد والدم فقط ارتكانا على قوله تعالى: اصنعوا هذا لذكرى (لو ٢٢:١٩) وقد جهلوا أو تجاهلوا بأنه لا مانع من أن يكون الشئ تذكارا لنفسه كما كان المن الذى وضعه موسى فى القسط تذكارا لنفسه. وعصا هرون التى وضعت فى التابوت تذكارا لنفسها أيضا (خر ١٦:٣٢) فكما أنه فى العهد القديم لم يشأ الله تعالى أن يتمتع اليهود بلذة المن الذى انزله لهم من السماء فقط. بل اراد أيضا أن يحفظوا منه وعاء مملوءا عندهم تذكرة لتلك النعم التى تفضل بها عليهم فى حين خروجهم من

مصر. هكذا سيدنا يسوع المسيح لم يشأ أن نكتفى باقتبالنا هذا السر الالهى فقط. بل أن نحققه على المذبح دائما لكى نتذكر محبته الالهية الغير المتناهية حتى لا تبرح ذكر حسناته من عقولنا مطلقا. فعندما يأكل المؤمنون هذا الخبز السمائى ويشبعون ويحسون ان به تحيا وتتقوى قلوبهم حينئذ يتذكرون الههم المذبوح على الصليب من أجلهم الذى يقتبلونه هو نفسه بهذه الذبيحة الغير الدموية. لان قصد سيدنا يسوع المسيح الأخص برسم هذا السر الجليل لا ليمنحنا الحياة الابدية فقط بل ليكون لنا بمنزلة المشاهدة والتذكار الغير المنقطع لمحبته الجزيلة نحونا.

ولا يغرب عن أذهاننا ان سيدنا يسوع المسيح قدم ذبيحة واحدة بنوعين مختلفين اعنى بسفك دم، وخلوا من سفك دم. فقدم نفسه ذبيحة بسفك دم على خشبة الصليب. وقدم نفسه ذبيحة بغير سفك دم فى ليلة الفصح المجيد حين منح تلاميذه جسده الطاهر ودمه الكريم (لو ٢٢:٩) وأراد أن تكون تقدمته هذه التى هى بغير سفك دم تذكرة لتقدمته تلك التى كانت بسفك دم ليوضح لنا بذلك شدة رغبته فى أننا نتذكره دوما. لانه تعالى اذ عرف أننا عاجزون عن تقدمة الشكر والمكافاة اللائقة له لاجل احساناته العظيمة المسداة لنا بآلامه ارتضى بحنوه أن يكمل نقصنا هذا بأن صير نفسه قربانا لنا لنقدمه تذكارا لتلك الحسنات العظمى بمنتهى التكريم والبركة والشكر هاتفين مع النبى قائلين: ماذا أرد للرب من اجل كل حسناته لى (مز ١١٦:١٢).

واذا قال المعترض اذا كان القربان المقدس هو تذكار ذبيحة

الصليب فكيف يدعى هو ايضا ذبيحة! قلنا انه كما ان ذبائح العهد العتيق قد كانت عبارة عن ذبيحة الصليب ومع ذلك كانت ذبائح حقيقية. كذلك ذبيحة القربان المقدس هي تذكار ذبيحة الصليب ومع ذلك هي ذبيحة حقيقية وذبيحة واحدة جوهرية مع ذبيحة الصليب. والفرق الموجود فيما بينهما ليس هو إلا من جهة الشكل فقط لان المذبوح على الصليب وعلى المذبح شئ واحد. والكاهن الذابح له واحد ايضا وهو سيدنا يسوع المسيح الذى قدم نفسه على الصليب لمغفرة خطايانا وهو نفسه الذى يقدم نفسه على المذابح أيضا ولكنه قدم نفسه على الصليب بسفك جملة دمه وبالامه وموته الحقيقى ويقدم نفسه على المذابح خلوا من سفك دم وموت حقيقى.

ثالثا: رمز ومثال: يدعى المعترضون ايضا أن الخبز والخمر انما هما يرمزان لجسد ربنا ودمه فقط. ويرجع ان أول من ابتدع هذه البدعة هو شماس ظهر فى القرن الحادى عشر فى كنيسة عيد خان من أعمال فرنسا وفحوى تعاليمه هو (أن الخبز والخمر فى سر الشكر إنما هما رمز عن جسد المسيح ودمه ورسم لهما. لا انهما ينتقلان ويستحيلان إلى جسد المسيح ودمه) وهو اعتقاد فاسد للغاية لأن الرمز من شانه أن يستعمل لاشياء لم تظهر بعد فى عالم الوجود وبظهورها يبطل ذلك الرمز ويحل محله المرموز اليه. فهو إذن - أى الرمز - لا ياتى بعد الحقيقة بل يسبق الحقيقة ويتقدمها. وكفى برهانا على ذلك ذبائح العهد القديم التى كانت ترمز للمسيح الذبيحة الحقيقية فانها لم تلبث أن اتى هو حتى بطلت وعفت آثارها. وكذلك خروف الفصح الذى به نجا

الاسرائيليون من ضربة الملاك المهلك فانه بطل والغى بمجئ خروف الفصح الحقيقى الذى به نجا العالم من عبودية الموت وسلطانه وهكذا قل ايضا عن الآباء والانبياء الذين كانوا يرمزون الى المسيح بأشباه وانواع شتى. قال بولس الرسول: الله بعد ماكلم الآباء والانبياء قديما بانواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الايام الاخيرة فى ابنه (عب ١:١) ومن ثم اذا اعتقدنا أن الخبز والخمر يرمزان لجسد المسيح ودمه فيكون المسيح لم يأت بعد ونحن مازلنا فى خطايانا وذلك كفر شنيع.

هذا فضلا عن أنه لابد وان تكون هناك علاقة بين الرمز والمرموز اليه. والحال انه لا علاقة بين الخبز والخمر بدون تغيير ولا تحويل وبين جسد المسيح ودمه الذى سفك على الصليب لانه يستحيل أن توجد العلاقة بين الخبز والخمر وبين الجسد المصلوب إلا إذا تقرر أن الخبز والخمر يتحولان الى جسد المسيح ودمه. وفى هذه الحالة تتفق الذبيحتان معا فى المذبوح وتكونان ذبيحة واحدة هى ذبيحة الصليب مكررة بالذكرى فى ذبيحة القداس التى تقدم لمغفرة الخطايا فى كل زمان ومكان.

رابعا: <u>الجسد لا يفيد شيئا</u>: يقول المعترضون أن المسيح قال: الروح هو الذى يحيى أما الجسد فلا يفيد شيئا (يو ٦:١٣) ومن قوله هذا ينتج أن الخبز لم يتحول الى جسده ودمه. غير انهم قد تعسفوا فى فهم هذه الآية تعسفا شديدا. لانها لم تتناول معنى الاستحالة وعدمها بل معناها ان أكل جسد المسيح وشرب دمه لا يكون بنوع لحمى كما كان يظن السامعون وقتئذ بل بنوع روحى تحت أعراض الخبز والخمر. لان اكله على هذا النحو لا يسبب كرها

للآكل من جهة ولا يغير الجسد من جهة اخرى. قال يوحنا فم الذهب في شرحه لهذه الآية (أراد المسيح بالجسد. الفهم الجسدي. فكأنه يقول ان فهمكم الجسدي الذي به تظنون أنكم تقطعون جسدي وتأكلونه كلحم الضأن. لا يفيد شيئا في الحياة الأبدية بل الروح (أي الفهم الروحي) الذي تفهمون به أنكم تأكلون جسدي متحدا بلاهوتي تحت اعراض الخبز والخمر هو الذي يحيي النفس والجسد ولذا قال (الكلام الذي اكلمكم به هو روح وحياة) فهو روح بمعنى أنه يلزم فهمه بنوع روحي وسري وهو حياة بمعنى أنه يمنح الحياة للذين يتناولونه. وكثيرا ماورد الروح والجسد بمعنى الروحي والجسدي (انظر ٢ كو ٣:٦ ومت ١٦:١٧ ويو ٣:٦).

<u>خامسا</u>: يقول المعترضون. ان أكل جسد الانسان وشرب دمه أمر قبيح ومضاد للذوق البشري فنجيبهم. ان هذا القول حق لو كان الجسد والدم يظهران للعين اللحمية بحسب شكلهما الطبيعي. اما وانهما في سر الافخارستيا معجزة المعجزات يظهران للعيان تحت شكلي الطعام والشراب العاديين والموافقين للصحة والذوق تمام الموافقة فقد بطل ذلك الاعتراض وسقط.

<u>سادسا</u>: يقول المعترضون. كيف يمكن أن يكون جسد المسيح في مكانين في السماء وفي أمكنة عديدة على الارض. فنجيبهم بما اجاب به أحد علماء كنيستنا وهو أن المسيح واحد وحيد قد أعطى ويعطي جسده ودمه تحت شكلي الخبز والخمر يحلو له فيهما لاهوتيا وصيرورتهما جسدا ودما له. لانه بلاهوته غير محصور ومالئ السموات والأرض ويحل في هذه التقدمات وتلك وينقلها وهو مازال كائنا في السماء في حضن ابيه وجالسا عن يمينه. وقد

يقرب فهمنا لذلك القياس الآتي وهو. اذا وضعنا عدة أوان مكشوفة ممتلئة ماء فى فضاء تحت السماء فاننا نرى قرص الشمس بمحيطه فى كل واحدة من هذه الأواني مهما كثر عددها والشمس واحدة. فاذا كان ذلك ممكنا لاحد مخلوقاته تعالى فكيف يتعذر عليه وهو يستطيع كل شئ.

سابعا: يقول المعترضون بما أن الافخارستيا دعاها الرسول خبزا (١ كو ١١:٢٧) فاذن لم تتحول الى جسد المسيح ودمه فنجيبهم بأن الكتاب إعتاد ان يسمى الشئ المتغير باسمه الاصلى مثال ذلك عصا هرون فانها دعت عصا بعد ان صارت حية (خر ٧:١٢) والماء الذي استحال الى خمر بقوة المسيح دعى ماء (يو ٢:٩) والعازر بعد أن قام من القبر سمى ميتا (يو ١١:٤٤) والملائكة الذين زاروا ابراهيم اذ ظهروا فى شكل بشرى دعوا رجالا (تك ١٧:٣).

ثامنا: يقول المعترضون. ان المسيح قال: انا لست معكم فى كل حين (مت ٢٦:١١) وهذا دليل على ان الخبز لم يتحول جسده. فنجيبهم أن هذا القول لا علاقة له بهذا الموضوع وإنما المراد به لا يكون عندهم بحضوره المنظور ليتعاطوا معه بهذه الصورة وهى دهن جسده بالطيب كما فعلت المراة التى دهنته قبيل صلبه. والا لو كان هذا الاعتراض صحيحا لما قال: ها أنا معكم كل الأيام والى انقضاء الدهر (مت ٢٨:٢٠).

الفصل التاسع

فى

(١) وجوب التناول من جسد الرب ودمه

(٢) وجوب الاستعداد لهذا التناول

(١) وجوب التناول:

ان ربنا له المجد عندما وعد تلاميذه ومؤمنيه باعطائهم جسده ودمه الأقدسين قال: ان لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم (يو ٦:٥٣) انا هو خبز الحياة. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء ان اكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الابد (يو ٦:٥٠) ومن هذا النطق الكريم يتضح ان جسد ربنا ودمه هما طعام النفوس وغذاء الأرواح. ومن ثم أصبح من اوجب الواجبات على كل مؤمن أن يتناول منهما باستمرار والا حرم نفسه من مجد الحياة الابدية.

ولقد فرضت الكنيسة على أبنائها التناول من جسد الرب ودمه فى كل حين. وان لم يتيسر فاربع مرات كل سنة فى الاصوام المفروضة. أو مرة واحدة فى عيد الفصح على الأقل.

(٢) وجوب الاستعداد للتناول:

حيث ان سر الافخارستيا هو جسد ودم ربنا يسوع المسيح حقا الذى لا تستحق الملائكة مع طهارتهم الفائقة ان ينظروا اليه فيجب على من يريد التناول منه أن يستعد استعدادا كاملا قبل أن يتقدم اليه وذلك بأن يفحص نفسه دقيقا وينقيها بقدر

نصها(١) (انه وان كانت تتم فى المسكونة خدمات كثيرة فى ساعة واحدة بعينها لكن المسيح ليست له اجساد كثيرة بل هو ذاته يحضر وجسده واحد ودمه واحد فى كنائس المؤمنين المتفرقة جميعها. وليس ذلك بأن جسد السيد الذى فى السماء ينحدر على المذبح بل خبز التقدمة الموضوع فى جميع الكنائس المتفرقة ينتقل بعد التقديس ويستحيل بجوهره ويصير ويلبث الجسد الواحد الذى فى السماء نفسه لان جسد المسيح واحد لا كثير فى اماكن كثيرة ولذا يسمى هذا السر بنوع خصوصى عجيبا وهو عجيب وبالايمان وحده يدرك).

غير أن بعض الناس يصدهم عن الايمان بذلك عدم ادراكهم كيفية وجود جسد المسيح بكماله تحت جزء بسيط من الخبز. وقد كان يلزمهم ان يفكروا بأن الله قادر على كل شئ وكما أبدع الطبيعة يمكنه ان يخرق نظامها ايضا.

ليت شعرى الم تجمع العين مع صغرها كميات كبيرة من البيوت والناس والاشجار واذا كان هذا يحدث بقوة الطبيعة فلم لا يستطيع الله القادر على كل شئ أن يصنعه بنوع فائق الطبيعة بجسد المسيح. واذا كانت النفس توجد كلها فى الجسد كله وفى كل جزء منه فلماذا يعد أمرا عسيرا ان يوجد المسيح فى القربانة كلها وفى كل جزء منها!

---

(١) الانوار ص ١٧٥

الفصل الثانى

فى

تأسيس سر الافخارستيا

لقد اسس ربنا هذا السر المقدس فى ليلة آلامه اذ أخذ خبزا وبارك وكسر واعطى تلاميذه قائلا: خذوا كلوا هذا هو جسدى واخذ الكاس وشكر واعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لان هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦:٢٦).

وقد كان جل شانه سبق ومهد لهذا السر الجليل بوعود صريحة أعدت تلاميذه لفهمه وقبوله واوضحت لهم طبيعته وقوته وضرورته حيث جاء فى انجيل يوحنا أنه بعد ان أطعم الجموع بالخبز المادى انتهز هذه الفرصة المناسبة واخذ يتكلم عن الخبز السمائى الذى هو جسده بقوله: أنا هو خبز الحياة آباؤكم اكلوا المن فى البرية وماتوا هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الانسان ولا يموت انا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الأبد والخبز الذى انا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم (يو ٦:٢٨-٥١).

ولقد فهم اليهود وقتئذ من قوله هذا أنه يعطيهم جسده حقا بقولهم: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل (يو ٦:٥٢) ثم أن أكثر تلاميذه تذمروا وقالوا: هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه (يو ٦:٦٠) كما انه هو نفسه تحقق أن اليهود وتلاميذه فهموا

الفصل العاشر

فى

وجوب استعمال الخمير ورفض الفطير

لقد تسلمت الكنيسة من الرسل الاطهار بان مادة الجسد المقدس يجب أن تكون من الخبز المختمر المصنوع من دقيق الحنطة الجيد. وظلت على هذه الحال شرقا وغربا من عهد الرسل حتى القرن الحادى العاشر حيث انفردت الكنيسة الغربية عن هذا الاجماع وجاهرت بجواز استعمال النوعين مع تفضيل الفطير عل الخمير.

ويرجع ان أول من جاهر باستعمال الفطير فى تكميل سر الشكر هو ابيون الهرطوقى الذى ظهر فى الجيل الاول وعنه اخذ اللاتينيون. وكان أول من استعمل الفطير فى الكنيسة الغربية هو اسكندر الأول اسقف رومية سنة ١٢٠ م ولم يرتض رعاة الكنيسة أن يجاروه فى ذلك بل كانوا يكملون سر الشكر بخمير مثل الشرقيين إلا أنهم فيما بعد صاروا جميعا يقدسون على فطير.

وهاك ماورد فى كتاب اللاهوت الادبى للاب بطرس غورى عن ذلك - جزء ٢ ص ٢٤٣.

س - ما القول فى الخبز الفطير والخمير هل يصح ويجوز كل منهما مادة لهذا السر ؟

جـ - اما أمر الصحة فلا خلاف فيه لأن كلا منهما خبز حقيقى ولفظ الخبز يتناولهما إذ قول الكتاب المقدس مطلق وكلاهما

يصنعـان من دقيق الحنطة ويعجنان بالمـاء الطبيعى وما يدل على الصحة تحديد الكنيسة. فان المجمع الفلورنتينى نص على الصحة فـى منشور الاتحـاد بقولـه (نحكم بأن جسد المسيح يتم بتقديس الخبز سواء كان فطيرا او خميرا).

وأمـا أمـر الجواز فنجيب عنه بأنه محتم على اللاتينيين أشد الحتم استعمال الفطير وعلى اليونانيين استعمال الخمير أى أن كل أمة تسلك على حسب طقسها.

ومـن هـذا يتضح أنـه يتحتم على الكنائس اللاتينية استعمال الفطير مع انه لا يوجد أقل دليل يؤيد رأيهم هذا بل على العكس هنـاك أدلة قوية عقلية ونقلية تؤيد الرأى القائل بأن المسيح لـه المجد اعطى جسده لتلاميذه تحت أعراض الخبز والخمر - أما الأدلة العقلية فهى :-

(١) انـه مـوافق للعقـل تمام الموافقة ان يكون الخبز الذى حولـه ربنـا الـى جسده خـبزا مختمرا. وذلك لأنه بهذا الفصح الجديد أبطل نظام الفصح العتيق وإلا كان النظامان واحدا. وهذا لا يقره عقل ولا يسلم به عرف.

(٢) أن تقدمـة المسيح كـانت عـلى تـرتيب ملكيصادق وتقدمة ملكيصادق لم تكن سوى خبز وخمر (تك ١٤ : ١٨).

أما الأدلة الكتابية فهى :-

ان كتبـة الانجيل اتفقـوا جميعا على أن الرب فى ليلة آلامه أخذ خـبزا ولم يقل احدهم إنه أخذ فطيرا حيث عبر متى عن ذلك بقولـه : أخـذ يسوع الخـبز وبـارك (مت ٢٦ : ٢٦) وعبر عنه مرقس بقولـه : اخـذ يسوع خبزا وبارك وكسر واعطاهم (مر ١٤ : ٢٢) وعبر

عنه لوقا بقوله: وأخذ خبزا وشكر وكسر وأعطاهم (لو ٢٢:١٩).

وفضلا عن ذلك فان لفظة خبز الواردة فى هذه النصوص ترجمت كلها فى اليونانية بكلمة (ارطوس) ومعناها خبزا مختمرا ومرتفعا. وكذلك عبر بولس الرسول عن ذلك بهذا التعبير عينه حيث قال: ان الرب يسوع في الليلة التي اسلم فيها أخذ خبزا (١ كو ١١:٢٣) فلو لم يكن ذلك الخبز مختمرا لما كان هناك ما يمنعهم أن يقولوا أخذ فطيرا لاسيما وان التكلم عن هذه المادة تكرر مرات عديدة فى أمكنة مختلفة فكان بدهيا أن يشذ واحد منهم عن هذا الاجماع ويغير هذا التعبير فيقول (فطيرا) ولو مرة واحدة.

أما وأنهم اتبعوا طريقة واحدة فى التعبير عن هذه المادة فذلك دليل قاطع على انها كانت خبزا مختمرا وليس فطيرا.

أما اذا قال المعترض انه لم يكن فى ذلك الوقت خبز مختمر لان اليهود كانوا ينزعون كل خبز مختمر من بيوتهم فى أسبوع الفصح قلنا انه يرجح كثيرا أن ربنا له المجد صنع العشاء السرى قبل أن يبدأ الفصح اليهودى كما هو واضح من انجيل يوحنا حيث قيل: ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية وكان صبح ولم يدخلوا هم دار الولاية لئلا يتنجسوا فيأكلون الفصح (يو ١٨:٢٨) وهذا يدل على أن فصح اليهود لم يكن قد بدأ فى يوم الجمعة صباحا ولم يكونوا أكلوه بل كانوا مستعدين لأكله يوم الجمعة مساء بيد أن السيد كان سبق وصنع العشاء السرى فى الليلة البارحة. نعم ان كثيرين من علماء الكتاب يقولون ان الانجيلى بقوله (فيأكلون الفصح) لم يعن بذلك خروف

الفصح المخصوص بل المقصود بالفصح فى هذه الآية ماياكله اليهود من الفطير وذبائح السلامة المفروضة فى سبعة أيام العيد ويؤيدون رأيهم هذا بان لو أكل المسيح الفصح قبل الوقت لخالف الشريعة ،لم يمكنه اجبار الكهنة على القيام بما يتعلق بذلك من ذبح الخروف وغيره .

وهبهم صادقين فى رايهم هذا فان اورشليم وقتئذ كانت تحت حكم الرومان فكان الخبز المختمر يوجد بكثرة داخل المدينة وخارجها فلم يصادف التلاميذ أقل عناء في إيجاد خبز مختمر ليتمم به سيدهم الفصح الجديد ويلغى العتيق.

وخلاصة الامر. أن الخبز المختمر موافق للعقل ومطابق لنص الكتاب وادعى للحق والصواب.

الفصل الحادى عشر

فى

(١) وجوب تناول سر الشكر تحت كل من شكلى الخبز والخمر (٢) وجوب تناول الاطفال

(١) وجوب التناول من الشكلين:

لقد تسلمت الكنيسة من السيد المسيح نفسه ان تعطى هذا السر الاقدس للمتناولين تحت شكلى الخبز والخمر. وقد حافظت الكنيسة الشرقية على هذا النظام الى الآن وستظل هكذا بنعمته تعالى حتى منتهى الدهور.

غير ان الكنيسة الرومانية تحدت هذا الترتيب والوضع الالهى واعطت هذا السر تحت شكل الخبز وحده حيث قيل فى كتاب علم اللاهوت الادبى ص ٢٨٣ مانصه (من قال أن كل المؤمنين بالمسيح وكل فرد منهم يلزمهم من قبل وصية الله أو من باب ضرورة الخلاص أن يتناولوا سر الافخارستيا تحت الشكلين فليكن محروما).

ولقد دخلت هذه الضلالة الكنيسة الرومانية فى القرن الثانى عشر فى عهد البابا بسكال الثانى. وعلة ذلك انه كان من عادة كهنة تلك الكنيسة أن يغمسوا جسد الرب فى الدم الكريم وهكذا يوزعونه على الشعب فاراد البابا المذكور أن ينقض هذه العادة فكتب رسالة الى بنطيوس رئيس دير كاونيون يامره باعطاء هذا السر تحت شكل كل من الخبز والخمر على حدة فلم يقبل الكهنة

ان يتركوا عادة التغميس. واذ رأى البابا عدم إطاعة الكهنة لمنشوره امر بان يعطى هذا السر تحت شكل الخبز وحده فقبله اكثرهم ومن ذلك الحين اخذت هذه العادة تمتد في الكنيسة الغربية شيئا فشيئا حتى تعممت واصبحت واجبة.

على أن ذلك مناقض كل التناقض لما رسمه ربنا له المجد الذى أعطى هذا السر لتلاميذه تحت شكلى الخبز والخمر معا حيث قيل: وفيما هم يأكلون اخذ يسوع الخبز وبارك وكسر واعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لان هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦:٢٦) وقد اخذ عنه رسوله العظيم بولس فقال: من اكل هذا الخبز او شرب كأس الرب (١ كو ١١:٢٧).

ومما تجب ملاحظته أن ربنا عندما أعطى الكأس لتلاميذه لم يقل لهم شربوا منها فقط بل قال اشربوا منها (كلكم) وفي ذلك برهان من اوضح البراهين واقطعها على وجوب تناول الجميع شعبا وكهنة من الدم المقدس لا أن يستأثر به الكهنة وحدهم.

قال القديس يوستينوس الذي عاش في الجيل الثاني (وبعد ان يتتم الخادم الشكر ويقول الشعب آمين يتناول الحاضرون من الخبز والخمر والماء).

(٢) وجوب تناول الاطفال:

كان من عوائد الكنيسة منذ القرون الأولى ان تعطى الافخارستيا للاطفال حالما يتعمدون لاعتقادها بانه لا حياة بلا تناول. قال القديس اغسطينوس: ان الخلاص والحياة الابدية من

دون هذين السرين (اى المعمودية والافخارستيا يوعد بعض الاطفال باطلا - فى الخطايا المميتة كتاب ١ راس ١٤) وقال أيضا (انه بغير المعمودية والاشتراك بمائدة الرب لا يقدر احد ان ينال ملكوت الله او الخلاص).

وقال البابا اينوشنسيوس محتجا ضد البلاجيين (بان الاطفال لا يمكن أن يخلصوا من دون معمودية لانهم بدون معمودية لا يقدرون أن ينالوا الافخارستيا وبدون الافخارستيا لا يمكنهم ان ينالوا الحياة الابدية).

الا انه رغما من ذلك فقد حكم المجمع التريدنتينى بالغاء تناول الأطفال الغاء تاما بقوله (اذا قال أحد ان قبول الافخارستيا ضروري للاطفال قبل أن يبلغوا سن التمييز فليكن محروما (مجمع تريدنتيني جلسة ٢١: قانون ٤).

(٤) سر التوبة أو الاعتراف

الفصل الاول

فى

علة اقامة سر التوبة

بما أن الانسان بعد تطهيره من الخطيئة بماء المعمودية لا يعتق مطلقا من نتائج الخطيئة الجدية والفساد الارثى الذى هو الميل الطبيعى الى الشر(١) بل قد يجنح الى الخطيئة تارة باختياره وطورا بالرغم منه فلهذا اقيم سر التوبة دواء شافيا من الخطايا المفعولة بعد اقتبال سر المعمودية ومن ثم دعاه آباء الكنيسة (معمودية ثانية).

ولما كان فساد طبيعة الانسان ووراثته الخطيئة عن الجد الأول

---

(١) تعتقد الكنيسة اعتمادا على ماجاء فى الكتب الآلهية ان خطيئة آدم عمت سائر نسله ومن ثم أخطأ كل البشر وصاروا يولدون بطبيعة فاسدة وعاجزة عن عمل الصلاح وذلك خلافا لمعتقد بيلاجيوس الفاسد ومن ذهب مذهبه . ولد بيلاجيوس فى احدى مدن بريطانيا سنة ٤٠٥ م وكان راهبا عالما غير أنه سقط فى بدعة شنيعة مؤداها أن الخطيئة الجدية لم تكن وانه وان فرضنا ان الجدين الأولين أخطأ افخطيتهما لم تسر فى الجنس البشرى باسره . فكل أنسان ولد بلا خطيئة وان نعمة الله ليست بضرورية للانسان لكى يعيش عيشة فاضلة زاعما انه لو كان العون الالهى ضروريا للانسان لكان لا وجود للحرية .

من القضايا العويصة المعقدة التى تستدعى مزيد الشرح والبيان لذا أرى لزاما علىّ ان أشرح هذه القضية موضحا إياها لشدة مساسها بهذا السر فاقول:

ليس خافيا أن الانسان الاول خلق بحال النعمة اى ليفعل افعالا جيدة موافقة ناموس الله الازلى. ولم يخلق بهذه النعمة فقط بل خوله الله نعمة اخرى يدعوها علماء اللاهوت (نعمة البر الأملى) لكونها منحت له مع الوجود وكانت عتيدة ان تعطى لجميع المولودين منه حال وجودهم .

أما هذه النعمة أى نعمة البر الأملى فكانت تفيض فى نفس آدم مواهب شتى أشهرها ماياتى :-

(١) نورا وافرا ينزع من نفسه كل جهل نحو معرفة الامور الواجبة عليه .

(٢) تجعل له معرفة كاملة دقيقة بجميع الأمور الطبيعية .

(٣) تجعل الجسد يتحد مع الروح وتحفظه سالما من كل وجع وتعب وغم وخوف ومن الموت أيضا .

(٤) تجعل خوفه منبسطا على كل ذى جسد وسلطانه ممتدا على وحوش البر وطيور السماء .

وبحسب هذه الحال كان له أن يحيا فى السعادة الكاملة مالكا كل نوع من الخيرات عائشا بكمال الطمانينة والراحة كصورة الله ونائبه حتى اذا ما أرضى خالقه بعد سنين متعددة معروفة فى خدمته تعالى ينقله الى ملكوت السماء ويشركه فى سعادة الملائكة . أى أن آدم لو لم يخطئ لما مات ولما كنا نحن أيضا نموت بل نحيا حياة سعيدة على الارض وأسعد منها بغير قياس فى

السماء.

غير أن هذه المواهب الجليل قدرها فقدت بالمخالفة وزالت وجرحت الطبيعة البشرية بسهام الخطيئة القتالة وفسدت فسادا لاحد له حتى أنها انصبت الى الشرور وتهافتت على الملاذ المحرمة بصورة مروعة. لان الخطيئة اوجدت في نفس الانسان معصية الجسد على الروح وكما ان الروح عصى على الله بمخالفته ناموسه هكذا اتفق بمقتضى العدل الالهي أن يعصى الجسد على الروح ويجمح الى طلب اللذات الجسدية بخلاف ما يامر به العقل الذي كان من قبل خاضعا له. ومن ثم قال بولس الرسول: اما أنا فجسدي مبيع تحت الخطيئة (رو ٧: ١٤).

والنتيجة ان الانسان كان قبل الخطيئة كل شئ صالح وخيري في العالم واما بعد الخطيئة فهو كل شئ باطل(١) وذلك لانه في حال بره كان متمطا بفضلين يمتلك بهما كل الخيرات الموجودة في العالم. وهذان الفضلان احدهما عدم الموت والآلام من جهة الجسد. وثانيهما من جهة الروح.

اما بعد سقوطه في الخطيئة فقد استحوذ عليه شران فاشترك بهما في كل شر موجود في العالم. وهذان الشران هما قبول جسده الموت وروحه الخطيئة. فمن كونه مائتا من جهة جسده فانه

---

(١) اعني انه باطل بكل نوع من الانواع وبكل وجه من الوجوه سواء نظرن اليه من جهة شرف نسله أم من جهة حسن صورته أم من جهة سمو قدرته أم من جهة كثرة خبراته ام من جهة عقله وعلمه وحكمته.

يسقط فى كل النقائص وفى كل انواع الشقاء والذل المستحق على المخلوقات الدنيئة. ومن كونه قابلا الخطيئة من جهة روحه فهو يشترك فى تعذيب البرايا الشريفة اى الملائكة المرذولين.

هذا من جهة فساد الطبيعة البشرية بالخطيئة أما علة كون خطيئة آدم امتدت الى جميع نسله فذلك لان آدم فى حال بره كان ينظر اليه بحسب وجهين. اى انه كان ينظر اليه (أولا) بحسبما هو أب أول للبشر كافة (ثانيا) بحسبما هو رئيس ووكيل برسم الله لجميع المولودين منه. أو بعبارة أخرى كان ينظر اليه بوجهين أى وجهى الطبيعة والارادة.

فبحسبما هو أبونا لم يستطع أن يخلق لنا سوى الطبيعة البشرية المعتلة فورثناها عنه صاغرين.

أما اتلادنا منه خطاة وشركاء فى اثمه فذلك لا لان كل واحد منا فعل هذه الخطيئة بارادته الذاتية بل لكون ذلك الجد فعلها بارادته وحده والله جل شانه بقوة سلطانه المطلق على ارادة البشر اقامه شخصا عاما حاويا ارادة البشر كلهم فى ارادته. نعم اننا لم نكن حينئذ فى الوجود ولكنا كنا فيه من حيث انه مقام بامر الله رئيسا علينا ووكيلا لنا ولهذا لم تكن فعلته كفعل شخص خصوصى بل كفعلة (ولى) عام على جميع العائلة ومن ثم تنسب اليهم جميعا وان لم يشتركوا فيها معه.

ليت شعري أليست ارادة القاصر متعلقة بارادة وليه حتى ان كل ما يفعله الولى يحتسب ان القاصر نفسه فعله. فاذن لا عجب ان كنا نرى الخالق جل شانه يعلق جميع ارادة البشر بارادة أبيهم الذى أقامه وليا عليهم لكى يكون كلما اراده هو أرادوه

هم انفسهم.

اما كون طبيعتنا قد فسدت لاننا ورثناها عن جدنا هكذا معتلة فمسلم به لأنه حكم عادل لا ظلم فيه. ولكن لماذا رسم الله أن يضع فى ارادتنا ارادة آدم أبينا لنشترك فى خطيئته وتعذيبه.

ان ذلك لسببين (أولهما) سلطان الله المطلق وارادته المطلقة (وثانيهما) لكى يصير آدم بهذا الوجه عبارة عن المسيح الذى هو آدم الثانى الذى أراد الله ان يجعل فى يديه وارادته خلاصنا الأبدى لكى يستحق لنا النعمة والمجد كما أن آدم استحق لنا الخطيئة والعذاب. ومن ثم ينتج أن آدم لم يكن ليصير رئيس الناس ووليهم الا لانه بهذا الوجه يكون عبارة عن المسيح الذى كان عتيدا أن يصير رئيس بنى الله كافة.

اما الآن وقد علمنا اننا ورثنا عن ابينا الخطيئة الأصلية للأسباب المذكورة فهل خطيئتنا التى ورثناها عن آدم تعتبر فى نظر الله كخطيئة آدم نفسه؟

أجل اننا وان كنا ورثنا الخطيئة الأصلية عن جدنا آدم الا ان هناك فرقا عظيما بيننا وبينه.

(١) ان الخطيئة الأصلية فى آدم كانت فعلية مخالفة وصية الله وصادرة عن ذات آدم اما فينا نحن فليست هى الا عدوة من شرها ومخالفة متعدية منه الينا لانه خلفها لنا.

(٢) ان الخطيئة الاصلية مفعولة بآدم بارادته اما فينا فليست مفعولة بارادتنا بل بارادة غيرنا الذى قدمنا وأحضرنا بشخصه من حيث انه وكيلنا ورئيسنا العام. ومن ثم نحسب اننا أخطأنا معه ولكن بارادته لا بارادتنا الذاتية ولذلك تكفينا

إرادة آخر غيرنا لنيل الغفران عن هذه الخطيئة باقتبالنا سر المعمودية .

(٣) ان هذه الخطيئة كانت فى أبينا كالينبوع الأصلى المسموم لانها جرت منه جميع الدهور وامتدت الى جميع اولاده وافسدت جميع نسله اما فينا فليست هى الا رسم لازم لنا غير متعد منا لخلفائنا بل ممتد اليهم من قبل الجد الاول كما تعدى الينا أيضا من قبله من غير أن يكون فى قدرة أحد أن يمنع هذا التعدى الذى امتد الى جميع الدهور.

(٤) هذه الخطيئة هى فى شخص الانسان الاول ينبوع جميع الخطايا وأصلها . واما فينا فليست هى الا ينبوع خطايانا فقط وأصلها .

(٥) ان هذه الخطيئة فى شخص الانسان الاول ليست هى سببا لحرمانه من المواهب الجليلة التى منحها فى حال خلقته فقط بل هى موجبة تعذيبه فى النيران الابدية أيضا . اما نحن فتصيرنا غير متمتعين بتلك المواهب السنية فقط خلوا من ان تصيرنا مستوجبين العقاب فى النيران الابدية .

وخلاصة الامر . حيث أنه ثبت من هذا المبحث أن الانسان أصبح عبدا مبيعا تحت الخطيئة بسبب جريرة جده الاول وطبيعته الفاسدة الموروثة عنه نتج ضرورة إقامة هذا السر فى الكنيسة وإلا وقع الجميع تحت طائلة القصاص الالهى وهلكوا هلاكا ابديا اذ لا سبيل للنجاة من الخطيئة الا بهذه الوسيلة الجليلة الفعالة .

الفصل الثاني

في

(١) ضرورة الاعتراف وحده (٢) تاسيسه (٣) ثماره

(١) ضرورة الاعتراف وحده

لقد اثبتنا في الفصل السابق أن الانسان لا يمكنه أن يعتق من شر الخطيئة القاسي مطلقا لداعي فساد طبيعته الموروثة عن أبويه وتملك الخطيئة في روحه وجسده (رو ٧: ١٤-٢٣).

ومن ثم سر الله بصلاحه الفائق ومحبته العميقة للبشر الضعفاء الساقطين أن يضع لهم علاجا شافيا من سم الخطيئة وشرها القتال وهو سر الاعتراف الذي حده علماء الكنيسة بقولهم:

(الاعتراف بحسب اللفظ اللغوي هو الاقرار بما قاله الانسان وفعله فيما مضى والآن. وبحسب الوضع الشرعي هو اعتراف الانسان للكاهن المسلم له الاعتراف بخطاياه وذنوبه وجرائره وكبائره ومعاصيه وقبح شهواته وسهواته وغفلاته وما اعتمده من ذلك جميعه بأفكاره الردية وأمانيه الكاذبة وأقواله واعماله المباينة للبيعة والمعاندة للشريعة).

(٢) تأسيس سر الاعتراف

لقد أسس ربنا يسوع المسيح هذا السر على أثر قيامته من بين الاموات حيث نفخ في أوجه تلاميذه القديسين وقال: اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت (يو

٢٨:٢٠) وذلك بعد أن معد له قبل قيامته بوعد صادق كريم لا ينقض لاهميته وعظم شانه وحاجة البشر اليه بقوله لبطرس منفردا نائبا عن أخوته: وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطا فى السماء وما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات (مت ١٦:١٩) ثم قوله ايضا لتلاميذه مجتمعين: كل ماتربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء وكل ماتحلونه على الارض يكون محلولا فى السماء (مت ١٨:١٨).

ومن هذا يتضح أن السيد المسيح له المجد منح رسله وخلفاءهم سلطانه الالهى ان يحلوا ويربطوا خطايا البشر بقوة الروح القدس وفعله الغير المنظور للعيان.

واذا قال المعترض لو سلمنا أن المسيح اعطى هذا السلطان لرسله فما دليلنا على انه سلمه لغيرهم قلنا أن السيد المسيح لم يسلم هذا السلطان لرسله فقط. بل لخلفائهم الشرعيين ايضا حتى منتهى الدهر. وذلك لان كنيسته لا تدوم جيلا أو جيلين حتى يعطى هذا السلطان لاناس لا تتجاوز أعمارهم جيلا واحدا بل هى دائمة باقية حتى منتهى الدهور حسب وعده لتلاميذه القائل: ها أنا معكم كل الأيام والى انقضاء الدهر (مت ٢٨:٢٠).

وكما أننا نعتقد انه مادام فى العالم اناس يتعلمون ويتعمدون فسلطان التعليم والتعميد الذى منحه ربنا لرسله يلزم بقاؤه فى كنيسته حتى المنتهى هكذا يلزم بقاء سلطان غفران الخطايا فى الكنيسة الى المنتهى ايضا مادام لكل واحد من المؤمنين خطايا وزلات تحتاج الى حل وغفران.

(٣) ثمار سر الاعتراف

إن أهم ثمار سر الاعتراف هى الحصول على غفران الخطايا والسلام الداخلى. لانه كم يوجد قبل الاعتراف فى نفس الخاطئ من الضيقة وانحصار القلب والغم الشديد وتشويش الضمير والثقل الغير المحتمل. وأما بعد الاعتراف فكم يوجد فى نفسه من السكون والراحة والسلامة والتعزية العظيمة والسرور الباطن. وعلى الحقيقة إن وجد دليل فى هذا العالم على تبرير نفوسنا بهذا السر المقدس فلا شك كان هو هذا السرور والسلام الذى يحس به التائبون توبة حقيقية عن خطاياهم.

الفصل الثالث

فى

(١) شهادة الكتاب (٢) شهادة الكنيسة

(٣) شهادة زعماء البروستانت

(١) شهادة الكتاب

العهد القديم: لقد فرض الله جل شأنه الاعتراف على بني اسرائيل بقوله لعبده موسى: قل لبني اسرائيل اذا عمل رجل او امراة شيئا من جميع خطايا الانسان وخان خيانة بالرب فقد اذنبت تلك النفس فلتقر بخطيتها التى عملت (عد ٥:٩) وقال: اذا أخطأ احد وسمع صوت حلف وهو شاهد يبصر أو يعرف فان لم يخبر به حمل ذنبه ... واذا حلف احد مفترطا بشفتيه للاساءة أو للاحسان من جميع مايفترط به الانسان فى اليمين واخفى عنه ثم علم فهو مذنب فى شئ من ذلك فان كان يذنب فى شئ من هذه يقر بما قد اخطأ (لا ٥:١-٥).

وقد كان على من يخطئ فى العهد القديم أن يقدم ذبيحة كفارة لخطاياه وقبل ذبحها يضع يده على رأسها ويعترف بخطاياه قائلا (قد اخطأت وارتكبت الاثم وتعديت وفعلت كذا وكذا ولكنى اتوب أمامك وهذه كفارتى) وكان الاعتراف من أوائل الامور الضامنة للمغفرة ولرضى الله وقبول الفداء.

قال سليمان الحكيم: من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يرحم (ام ٢٨:١٣) وقال أيوب الصديق: ان كنت كتمت

كالناس ذنبي لاخفاء اثمي في حضني (اى ٣١:٣٣) أنظر أيضا (٢ صم ١٢:١٣ و١ صم ١٥:٢٤-٣٠).

العهد الجديد: أما شهادة العهد الجديد. فانه فضلا عن سلطان الحل والربط الذى منحه ربنا لرسله ويستلزم بالبداهة اعتراف الخاطئ بخطاياه لكى يقف عليها الكاهن ويمنحه غفرانها والحل منها. فقد قال يعقوب الرسول: صلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات (يع ٥:١٥).

وقال يوحنا: ان اعترافنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم (١ يو ١:٩).

وجاء في سفر أعمال الرسل ما يدل على اهتمام المؤمنين الاول بهذا السر وممارستهم اياه بمنتهى الدقة حيث قيل عنهم: وكان كثيرون من الذين آمنوا ياتون مقرين ومخبرين بأفعالهم وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفا من الفضة (اع ١٩:١٨).

وجاء أيضا عن سكان اورشليم واليهودية انهم كانوا يعترفون أمام يوحنا ثم يقبلون منه معمودية التوبة (مت ٣:٥).

(٢) شهادة الكنيسة

قال القديس كبريانوس (فليعترف كل واحد بخطاياه وهو في الحياة لكى يربح ذاته بنصيحة ومساعدة الكاهن) وقال القديس باسيليوس (يلزم أن نعترف بخطايانا للذين تسلموا حمل أسرار

الله) وقال القديس اغسطينوس (لا يقل احد منا بما أنى أخطئ سرا أمام الله فهو يعرف قلبى فيعفو عنى. لان المسيح قال ماتحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء والمفاتيح لم تعط للكنيسة باطلا) وقال ترتليانوس (ان كثيرين ينتبهون الى الخجل أكثر من الخلاص فيهربون من هذا الاعتراف سترة لهم او يؤخرونه من يوم الى يوم كمن أصابه مرض فى الأعضاء المستحى منها فاخفى على الأطباء مرضه فباد بخجله . فاذا أخفينا نفوسنا عن معرفة الناس هل نخفيها عن الله وهل الاولى لنا ان نهلك وذنوبنا خفية من أن تحل وهى مكشوفة) .

قال يوحنا فم الذهب (لان ساكنى الارض والقاطنين فيها قد سمح لهم ان يسوسوا مافى السموات وأخذوا سلطانا لم يعطه الله لا للملائكة ولا لرؤساء الملائكة . لانه لم يقل لاولئك كل ماتربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء وكل ماتحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء . ثم ان للمتسلطين سلطانا فى الارض ان يربطوا ولكنهم يربطون اجسادا فقط واما هذا الرباط فانه يمس النفس عينها ويجتاز السموات وما يعمله الكهنة تحت يثبته الله فوق . ويؤيد السيد رأى العبيد) .

(٣) شهادة زعماء البروتستانت

قال صاحب كتاب علم اللاهوت البروتستانتى ص ١١٧ (قوانين الكنائس اللوثرية والاسقفية تستحسن الاعتراف السرى للراعى فى بعض الاحوال) وقال لوثر فى كتابه سبى بابل فى التوبة (الاعتراف السرى كما يمنع يعجبنى كثيرا وهو نافع بل لازم) .

وورد فى قانون الايمان الذى سنه البروتستانت فى اوغسطا (ان الاعتراف فى الكنائس لم يبطل عندنا).

وجاء فى كتاب الصلاة العامة للاسقفيين (ثم يفحص القس هل تاب حقا من خطاياه ... وهنا يحث المريض على الاقرار بخطاياه اقرارا خصوصيا ان لم يكن يشعر بان ضميره قلق لأمر باهظ وبعد الاقرار يحله القس ص ٢٧٩).

هذه شهادات الكتاب والكنيسة وعلماء البروتستانت ومنها يتبين أن الاعتراف السري كان معمولا به منذ فجر المسيحية.

وحيث أن الاعتراف بالخطايا هو من الأمور الشاقة جدا فاستدامة حفظه فى الكنيسة كل هذه الحقب الطويلة كما ثبت من الشهادات المتقدمة دل على كونه مفروضا من المسيح كشئ ضرورى ووصل الينا بواسطة الرسل بطريق التسلسل.

الفصل الرابع

فى

(١) وجوب الاعتراف للكاهن

(٢) الخطايا الغير القابلة الغفران

(١) وجوب الاعتراف للكاهن

ان الاعتراف السرى للكاهن ضرورى لكل مؤمن ذكرا كان ام أنثى بالغا سن التمييز وليكن ذلك بنوع اخص كل ماسقط في خطيئة مميتة لانه لا يمكن غفرانها بدونه .

ويتعين وجوب الاعتراف للكاهن من قول ربنا لتلاميذه : اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه امسكت (يو ٢٠:٢٣).

ومن قوله هذا يتضح أنه أقامهم وخلفاءهم فى الكنيسة قضاة وأطباء للنفوس. ولا يمكن للقاض أن يحكم فى الدعوى من غير أن يسمعها. ولا للطبيب أن يعالج مريضا مالم يخبره بما يشعر به من الوجع. فينتج ضرورة التزام المذنب أن يعترف بذنبه للكاهن حتى يعرف ان كان مستحقا للحل فيحله والا فيمسك عن حله .

اما اذا كان غير محتوم على الخطاة أن يذهبوا الى الكهنة ويكشفوا لهم خطاياهم فيكون تقليدهم هذا السلطان عبثا وبلا جدوى لانهم ليسوا بآلهة حتى يعرفوا خطايا الناس فيغفروها او يمسكوها من غير ان يفضوا بها اليهم .

ان الاعتراف السرى للكاهن كان ولم يزل مستعملا منذ ابتداء المسيحية كما يتحقق ذلك بشهادات الآباء القديسين الموثوق بصحتها. ومن بين أولئك العلامة ترتليانوس الذى كان يوبخ الذين لا يريدون أن يشهروا خطاياهم ويسمى ذلك خجلا مرذولا ويلاحظ عليهم انهم وان اختلفوا عن البشر لا يمكنهم أن يختفوا عن الله مطلقا. وأنه خير لهم أن يشتهروا ويحلوا من أن يختفوا ويدانوا. ثم شبه الذى لا يعترف بخطاياه ويهلك بها بالمريض الذى يخفى داءه عن الطبيب المزمع أن يشفيه (فى التوبة فصل ٣ و ١٠).

اما الذين يدعون أن الاعتراف ليس خاصا بالكهنة بل بعامة المؤمنين كهنة وشعبا استنادا على قول يعقوب الرسول: اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات (يع ٥:١٥) فقد جهلوا قصد الرسول فى هذه العبارة لأن مثل هذا التعبير كما قال القديس أغسطينوس لا يوجب دائما حصول المشاركة بين كل من الطرفين. أى لا يلزم منه أن يعترف الكهنة للعالميين كما يعترف العالميون للكهنة بل من قبيل قولك علموا بعضكم بعضا وليعالج أحدكم اخاه وليسعف الواحد منكم صاحبه. بمعنى أن العالم يعلم الجاهل. والطبيب يعالج المريض. والقوى يسعف الضعيف. فقوله اذن (اعترفوا بعضكم لبعض) أى ليعترف كل منكم لمن له سلطان الحل على الخطايا.

أما اذا قالوا اذا كان الاعتراف واجبا للكهنة فقط فلماذا لم يقل الرسول صريحا اعترفوا للكهنة. قلنا لئلا يتوهم أن

الاعتراف مقصور على العالميين للكهنة ولا يتناول الكهنة لبعضهم. ومن ثم كان كلامه (اعترفوا لبعض) أسلم وأحوط.

(٢) الخطايا الغير القابلة الغفران

ليست خطيئة فى هذا العالم غير قابلة الغفران متى اعقبتها توبة صادقة واعتراف صحيح مقرونين برجاء ثابت فى استحقاق ربنا يسوع المسيح الغير المتناهى. الا الخطايا التى تعاند روح الله وهى: اليأس والاصرار على الخطايا حتى الموت. والتجديف على الروح القدس.

اما خطيئة التجديف على الروح القدس فلا يأتيها غالبا الا الذين حملوا على أحسن معرفة الحق (كالكتبة والفريسيين) الذين ارتكبوها عمدا وقصدا. ولهذا لم يمكنهم هم ومن شابههم ان يتوبوا ويطلبوا المغفرة لان الذى يقود الخاطئ الى التوبة انما هو الروح القدس. وحيث انهم اغاظوه بمقاومتهم اياه عمدا وقصدا ففارقهم فاصروا على عنادهم وماتوا فى خطيتهم. قال له المجد: لذلك اقول لكم كل خطية وتجديف يغفر للناس. واما التجديف على الروح فلن يغفر للناس ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له واما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى (مت ١٢: ٣٢).

ولقد سبق ان شرحنا هذه الآية بالقسم الخاص بلاهوت السيد المسيح وهنا نأتى بشرح احد اللاهوتيين المشهورين وهو ان السيد بقوله: من قال كلمة على ابن الانسان يغفر له واما من

جدف على الروح القدس فلن يغفر له (مت ١٢:٢١) كأنه يقول من اخطأ ضد ناسوتي وجدف عليه بقوله عنه انه (انسان اكول وشريب خمر مت ١١:١٩) فيغفر له لانه لم يسئ بارادته بل قد جدف عن جهله بالحقيقة واما الذي يشاهد أفعالي ومعجزاتي التي لا يستطيع ان يصنعها الا الله وحده وينسبها الى قوة بلعزبول (كما تقولون انتم الآن) فيجدف على الروح القدس أي على اللاهوت لانه اعتبر اسم الروح القدس من حيث دلالته على الذات التي تصدق على الثالوث كله لان كل اقنوم منه روح قدس. ومن الواضح ان من فعل ذلك فقد اساء باختياره وارادته واهان الله عن معرفته فاخطأ بلا عذر فكان خطاؤه لا غفران له.

الفصل الخامس

في

(١) الشروط المعتبرة في الكاهن القابل الاعتراف

(٢) الشروط المعتبرة في المعترف(١)

(١) الشروط المعتبرة في الكاهن القابل الاعتراف

(أولا) ان يكون كاهنا (ثانيا) ان يامره بطركه او اسقفه بقبول الاعتراف بعد ان يثبت تأهله لتلك الرتبة.

(شروط التأهل)

(١) ان يكون ايمانه حقا (٢) ان تكون اعماله ونسكه واخلاقه مطابقة لصحة عقيدته (٣) أن يكون تعليمه صحيحا مفيدا منتجا وقد عرف بذلك وشهد له به (٤) أن يكون للسر كتوما وكل مايلقيه اليه المعترف لا يتفوه به ولا يخطر بباله بل يمحو من صدره. فان باح به او اطلع عليه زوجته او ولده او صديقه او من يانس اليه أو من يثق به أو حصل وحشة بينه وبين المعترف عليه فاظهره او تفوه بما اعترف به عليه بعد مماته لزم أسقفه أسقاطه من كهنوته. لان هذا باب عظيم لا يجب الترخيص فيه ولا اهمال الاسقف له. فيجب عليه أنه مهما باشره من الامراض اللطيفة والكثيفة أن يدفنها في قلبه ولا ينشرها ويمسحها من سويداء قلبه ولا يبيتها لاحد ولو أكره عليها الى حد القتل فانه خير له أن يهلك جسده ولا تهلك نفسه وجسده معا في نار

---

(١) المجموع الصفوى ص ٤٢٦

جهنم.

(٥) ان يكون له نشاط وقوة على الصوم والصلاة عمن يقبل اعترافه مضافا الى القيام بالصلوات المفروضة عليه واستمرار الاستغفار عنه ليلا ونهارا وفي كل قداس وقربان ويطلب عنه بالبكاء والدموع المرة والتضرعات المتتابعة والأصوام المترادفة. وان كان الكاهن غنيا والمعترف فقيرا يتصدق عنه وقتا بعد وقت بحسب امكانه ويضيف هذا جميعه الى عباداته العملية المفروضة عليه.

(٦) ان يكون له تجربة بالزمان وأهله وبحوادثهم ووقائعهم وتقلباتهم.

(٧) ان تكون له فراسة جيدة صحيحة تدل على حال المعترف من حركاته وفلتات لسانه وشهواته وتقلباته وتغيير احواله واختلافها ويعلم من استقرائه امور صدقه وكذبه فيما يشكوه اليه من أمراضه. فان كثيرين من المعترفين يغلبهم الحياء على كتم بعض أمراضهم على كاهنهم ولا سيما المستقبحة. ومنهم من يخشى صعوبة الحمية وتكلفها ومرارة الأدوية وعسر استعمالها فلا يذكر كل خطاياه التي بالكتابة عنها أو بالتعريض بها. والعياذ بالله بالتصريح بها فلا يذكر له كل هذه الأمراض المختلفة ويتجاوز عن بعضها.

(٨) ان يكون كامل الحذق في طب النفوس وحفظ صحتها عليها ومداواة المرضى منها بحسب امزجة أبدانها ومكانها وزمانها واختلاف أحوالها. وأن يراعي في ذلك عادات اربابها وملكاتهم وما يتجدد في أحوالها وما يتغير من اخلاقهم وما تحتمله

نفوسهم وأبدانهم من الادوية ويقابل كل مرض بضده كما يفعل أطباء الأجسام ولا يصف لاحد دواء لا يقدر أن يسففه .

(٩) أن يطيب مريضه مجانا ولا يقتنى منه شيئا من فوائد الدنيا ولا يقبل منه هدية مادام هو معترفا عليه .

(١٠) أن لا يحابى من يطيبه ولا يستحى منه ويجبهه بالحق ويبكته بالوعظ والتانيب ان كان محتملا لذلك.

(٢) الشروط المعتبرة في المعترف

(١) أن يكون بالغا عاقلا وان يتخذ له أحذق الاطباء الاطهار المتوفرة فيهم الشروط المتقدم ذكرها .

(٢) أن يكون صادقا فى مايدلى به لمعلمه من أمراضه ولا يخفى عنه شيئا منها كثيرها وقليلها . صغيرها وكبيرها . جليلها ودقيقها . لطيفها وكثيفها . فانه متى لم يطلع على كلياتها وجزئياتها وقع عليه عجز عن مداواته وتعسرت عليه معالجته وربما داواه بضد مايشفيه فيكون سوء رأيه قد جلب مرضا آخر على نفسه وربما ادى ذلك الى الهلاك والعياذ بالله تعالى.

(٣) أن يكون صبورا على تناول الادوية المرة المختلفة الانواع ليقتنى بصبره نفسه ويتخلص عند النهاية فى المداواة .

(٤) أن يكون طائعا لطبيبه قابلا لاقواله ولجميع وصفاته . اذ يجعل نفسه قدامه كالميت قدام الغاسل . والآلة قدام صانعها . والعبد الحر الخلق قدام سيده . لا يقدم شيئا من مهماته على العمل بما يصفه له ويداويه به .

(٥) أن يكون له فى طبيبه حسن ظن يتيقن به حصول البرء بواسطة علاج طبيبه له واستعمال ادويته .

الفصل السادس

في

(١) الفرق بين التوبة والاعتراف (٢) الفرق بين التوبة والاستغفار (٣) الشروط اللازمة للتوبة الحقيقية

(١) الفرق بين التوبة والاعتراف

التوبة هي ميثاق او عهد يعقده الانسان بينه وبين الله بأن لا يعاود في مستقبل أيامه استعمال رذيلة كان عليها في ماضيه . او خلق غير جميل مع القدرة عليه .

اما الاعتراف فهو الاقرار بما قاله الانسان وفعله فيما مضى والآن .

(٢) الفرق بين التوبة والاستغفار

ان الاستغفار يتعلق بشئ فعل وبالزمن الماضي. أما التوبة فتتعلق بشئ لم يفعل وبالزمن المستقبل.

والاستغفار يتعلق بندم على سالف أفعال ذميمة سلفت للانسان والرغبة الى الله تعالى في الصفح عنها. اما التوبة فهي عهد لا يفعل في المستقبل مثل الرذائل التي فعلت في السالف.

وكل توبة يقترن بها استغفار. لان العهد من الانسان أن لا يفعل في المستقبل مثل السالف يحتاج الى استغفار ماتقدم من جنس الذي وقعت التوبة منه .

واما الاستغفار فقد يكون ولا توبة فان الانسان إن بلغ الى حد لا تجوز فيه الحياة لم تصح منه التوبة ويصح منه الاستغفار لما تقدم . ومثل ذلك الملم فانه استغفر فغفر له ولم تصح منه

التوبة لانه على شفير الهلاك.

(٣) الشروط اللازمة للتوبة الحقيقية

يجب أن يعلم كل تائب انه لا يوجد شئ أصعب بذاته على الانسان من التوبة الحقيقية وذلك لأن التائب الحقيقى يلزمه ضرورة أن يغير قلبه ويبغض نفسه وينكر ذاته ويتعرى منها بنوع من الانواع اى أنه يبغض ماكان يحبه اولا أشد محبة ويبتدىء بان يحب ماكان يكرهه اعظم كراهة ويميت جميع شهواته ويقهر كل حواسه.

هذا من جهة صعوبة التوبة الحقيقية. أما شروطها اللازمة لها فهى :

(١) الاقرار بالخطايا مشافهة أمام الكاهن.

(٢) الندامة القلبية الصحيحة.

(٣) التفكير بحرارة فى شناعة الخطيئة وقبحها.

(٤) الاتكال الثابت على يسوع المسيح برجاء نيل العفو.

(اولا) الاقرار بالخطايا : إن الاقرار بالخطايا مشافهة امام الكاهن أمر لابد منه للحصول على مغفرة الخطايا. ولهذا استخبر الله آدم وحواء لكى يمحو باعترافهما الشفهى جريرتهما ولم يستخبر الحية لانها ليست مقصودة بغفرانه. ويشترط فى ذلك الاقرار أن يكون (١) كاملا (٢) مقرونا بالاتضاع والخشوع والاغتمام والاحتشام (٣) صادرا بطريق الشكوى. فيكون كاملا اى جليا واضحا صحيحا صادقا بحيث يتناول جميع الخطايا على اختلاف أنواعها المميتة والغير المميتة خلوا من الكذب والحشو والتحسين.

ويكون مقرونا بالاتضاع والاحتشام. أى بالخجل والحزن العميق كما فعل الابن الشاطر حيث تذلل وتواضع لدى أبيه تواضعا محيحا. لان التواضع من أهم لوازم التوبة الحقة. هذا مع استخدام الألفاظ اللائقة للتعبير عن الخطايا المضادة للعفة.

اما أنه يكون صادرا بطريق الشكوى اى لا يجوز للمعترف ان يبسط لخطاياه عذرا البته. فلا يعزوها لنزق شبوبيته وطيشه وجهله (١). ولا ينسبها الى شخص آخر كما نسب آدم خطيئته لحواء. وحواء نسبتها الى الحية بل ينسب كل خطاياه لضعفه ونقصه

---

(١) اعلم ان الجهل نوعان. جهل معذور يدعى الجهل الاضطرارى وجهل غير معذور يدعى الجهل الاختيارى.

فالجهل الاضطرارى المعذور هو الذى ليس فى يد الانسان ان يدفعه عنه. والجهل الاختيارى الغير المعذور هو الذى فى يد الانسان أن يدفعه عنه والا يتصف به ويكون منزها عنه ان احترس على نفسه مجتهدا فى تحصيل معرفة الحق كما هو واجب عليه ولكنه إما أن يتصف بهذا الجهل تهاونا منه فى البحث عن معرفة الحق وإما أن يأبى بتقصد عن أن يعرف ما كان واجبا عليه فعله لانه لا يشاء أن يفعله.

فالانسان المتصف بالجهل الاضطرارى المعذور هو برىء من الخطيئة بمخالفته الناموس الذى ماعرفه ولا استطاع أن يعرفه. أما الانسان المتصف بالجهل الاختيارى الغير المعذور فيخطئ بمخالفته الواجبات عليه وان لم يعرفها لكونه قد كان قادرا على تحصيل معرفتها وملتزما بذلك.

وميوله الخاصة كما فعل داود بقوله: ها انا اخطات وانا اذنبت (٢ صم ٢٤:١٧) لان الاعتذار عن الخطيئة لا يخففها بل بعكس ذلك يزيدها ثقلا وشناعة.

(ثانيا) الندامة القلبية الصحيحة: الندامة هي قصد التجنب والمبراة من الذنب مع حزن القلب وانسحاقه لأجل ارتكاب الخطيئة وكراهته لها.

والندامة نوعان. كاملة وغير كاملة. فالكاملة هى ماكانت كراهية الخطيئة فيها صادرة من الميل الى صلاح الله المحبوب لذاته.

والغير الكاملة هى ماكانت بسبب الخوف من جهنم او للحصول على السعادة الابدية.

والندامة الكاملة هى ماكانت مقرونة:

(١) بالتأسف الشديد والقصد الغير المتزعزع فى القيام بحياة صالحة حميدة أمام الله بعد قطع أسباب الخطيئة وتوطيد العزم على عدم العودة اليها كما فعل الابن الشاطر الذى رجع الى أبيه بانسحاق قلب وتخشع عميق قائلا: اخطات يا ابتاه الى السماء وقدامك ولست مستحقا ان ادعى لك ابنا اجعلنى كأحد اجراك (١٥:١٩).

(٢) وبالبكاء المر كما فعل داود الذى لم ينفك كل ليلة متذكرا خطاياه باكيا مستغرقا بماء الدموع التى لكثرتها كان يغسل بها سريره ويبل فراشه (مز ٦:٦) وكما فعلت المراة الخاطئة التي بلت قدمي المخلص بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها (لو ٧:٣٥) لان البكاء الصادر عن انسحاق القلب له صراخ عظيم

يتصل سريعا الى المسامع الالهية . والدموع هى فى مقام سهام ملتهبة ومرتشقة الى عرش نعمة البارىء تعالى فتستميله الى العفو والمحبة للخاطئ التائب حتى أن الخاطئ اذا كان مستحقا بكثرة آثامه النيران الابدية ورآه الله تعالى باكيا بندامة وتاسف فانه بلا شك يعفو عنه ويفتح له الابواب الملكوتية . قال يوئيل النبى: ولكن الآن يقول الرب ارجعوا الى بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا الى الرب الهكم لانه رؤوف رحيم بطئ الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر (يؤ ١٢:١٢).

قال القديس أغسطينوس منذهلا من اقتدار الدموع الصادرة عن قوة الندامة (يا أيتها الدموع المنسكبة عن قلب مجروح بسيف الندامة ما أقدر سلطتك العجيبة . لأنه ما أعظم الخوف من نظر الحاكم العادل وشقاوة أعدائه ومع ذلك فتدخلين انت وحدك الى حضرة الملك ولا يعود أملك خائبا بل تغلبين من لا يغلب وتقدرين على القادر على كل شئ).

قال القديس يوحنا فم الذهب (اذا كان بكاء بطرس محا خطيئة عظيمة جدا فانت اذا بكيت كيف لا تمحي خطاياك لأن انكار ذلك لسيده لم يكن جريمة صغيرة بل عظيمة وقوية ومع ذلك فقد محت الدموع الخطيئة فابك اذن انت أيضا على خطيئتك ولكن لا يكون بكاؤك على حسب العادة وفى الظاهر فقط بل ابك بحرارة مثل بطرس وقدم ينابيع دموعك من داخل العمق حتى يتحنن السيد ويصفح عن ذنبك).

(ثالثا) التفكير بحرارة فى شناعة الخطيئة وقبحها: ان

التفكر بحرارة فى شناعة الخطيئة وقبحها أمر لازم لصحة التوبة وذلك (١) لأن التفكير فى خطايانا وذكرها بالندامة والتوجع والتذلل أمام الله يحمله تعالى على تركها والصفح عنها (٢)لأن ذكر خطايانا السالفة بالتوجع والأسف يفيد فى تهذيب حياتنا واصلاح سيرتنا اذ أنه ينشئ فينا الاحتراس من ان نسقط فيها مرة أخرى (٣) لأن ذكر خطايانا يقودنا الى الاتضاع واحتقار ذواتنا أمام الله كما فعل العشار حيث حمله ذكر خطاياه على احتقار ذاته فقرع على صدره وقال: اللهم ارحمنى أنا الخاطئ (لو ١٨:١٣) وكان قرعه على صدره دلالة على فرط حزنه من نفسه لأن الصدر ينبوع الخير والشر أى مكان (التفكير) فى كليهما حيث يوجد به القلب (٤) لأن ذكر خطايانا يقدم لنا معرفة احسان المراحم الالهية التى غفرت بها تلك الخطايا ومن ثم قال داود النبى لأنى عارف بمعاصى وخطيئتى أمامى دائما (مز ٥١:٣) أى اننى متذكر خطاياى على الدوام متوجع من جرائها معترف بها بالتذليل والندامة والخشوع وقد نصبتها امامى مفتكرا فيها افتكارا متصلا لئلا انساها فانسى الاحسانات الغزيرة التى غمرتنى بها مراحم الله العظيمة .

(رابعا) الاتكال الثابت على يسوع المسيح برجاء نيل العفو عن الخطيئة . وهذا الرجاء يجب أن يكون ناظرا الى ثلاثة اشياء (١) العفو عن الذنوب (٢) ترك العذاب الأبدى (٣) ترك الجزاء من العذاب الزمنى ايضا . وتلك أمور لا يستطيع ان يفعلها الا ربنا يسوع المسيح وحده ومن ثم قال بطرس الرسول: وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد اعطى بين الناس به

ينبغى ان نخلص (اع ٤:١٢) وقال ايضا: له يشهد جميع الانبياء ان كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا (اع ١٠: ٤٣) قال بولس الرسول: فمن ثم يقدر أن يخلص ايضا الى التمام الذين يتقدمون به الى الله اذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم (عب ٧:٢٥) وقال ايضا: فاذ قد تبررنا بالايمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح الذى به أيضا قد صار لنا الدخول بالايمان الى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله (رو ٥:١).

الفصل السابع

في

قانون التائب

ان من يطلع على الكتاب المقدس بترو وإمعان يرى أن الله سبحانه وتعالى عودنا ان يؤدب من يخالف أوامره وشرائعه المقدسة بأدب مابعد توبته واعترافه بزلته ولو كان ذلك المخالف من أخص أبنائه وأحبهم لديه رجاء اصلاحه وتقويم اعوجاجه كما فعل مع موسى وداود وامثالهما (٢ صم ١١:١-١٤).

ومن ثم قد استنت الكنيسة هذه العادة الربانية مفترضة على أبنائها الذين يخطئون ويتوبون تأديبات يقال لها (قانون) ليتأدبوا بها ويخافوا فينصلحوا. غير أن هذا القانون وان كان أمر لازما لسر التوبة الا أن الغرض منه ليس ايفاء العدل الالهى حقه بل اصلاح الخاطئ وتقويمه ومداواته بالادوية والعقاقير الملائمة لامراضه فقط كالصلاة والصوم والصدقة وغيرها من القوانين الخلاصية الموافقة لأنواع الذنوب وطاقة التائبين. قال صاحب المجموع الصفوى ص ٤٣٥ (واذا اعترف الخاطئ للكاهن بجميع أمراضه أمكنه مداواته ومعالجته وملاطفته بالصوم والصلاة والصدقة ورفع القرابين ومايضعه عليه من القوانين بحسب مزاجه وقدرته ومايطلبه من الله عنه ويستغفر له منه سبحانه. فاذا استعمل له ما وصفه على تمامه وكماله غفر له الله ذنوبه

وسامحه بزلاته واستدامت له محبته وحفظها الله عليه).

ولقد أخذت الكنيسة مبدأ فرض القوانين فى العهد الجديد عن السيد المسيح نفسه اذ قال لتلاميذه: من أمسكتم خطاياه امسكت (يو ٢٠:٢٣) وقد انتهج تلاميذه ماشاء لهم سيدهم كما هو واضح مما أتاه بولس الرسول مع الرجل الزانى حيث انه قامه بفصله عن الكنيسة وقتا ما رغبة فى تاديبه واصلاحه (راجع ١ كو ٥:١ و٢ كو ٢:٧).

الفصل الثامن

في

(١) الفرق بين اعتقاد الكنيسة القبطية والكنيسة الرومانية في (قانون) التائب (٢) أوراق الغفران

(١) الفرق بين اعتقاد الكنيستين القبطية والرومانية في قانون التائب

ان الفرق في ذلك عظيم كما يتضح مما يلي :

(أولا) تعتقد الكنيسة القبطية أن القانون الذي يفرضه أب الاعتراف في وقت سر التوبة انما هو فقط علاج روحي لأجل اصلاح حالة الخاطئ النادم على خطاياه.

اما الكنيسة الرومانية فتعتقد انه قصاص وقتي يجب على الخاطئ ان يتكبده لكي يفي به عدل الله الذي اهانه بخطاياه.

(ثانيا) تعتقد الكنيسة القبطية ان فضائل القديسين مهما عظمت لا تتناول اكثر من المفروض عليهم بحيث يوزع الزائد منها على الغير بل تعتبر في عيني الله ناقصة وغير كاملة مهما تقدم ذووها في الفضل والكمال وذلك اعتمادا على قوله تعالى: متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا اننا عبيد بطالون لأننا انما عملنا ماكان يجب علينا (لو ١٧: ٧-٩).

اما الكنيسة الرومانية فتعتقد أن الابرار والقديسين ليسوا فقط قد اتموا على الارض ناموس المسيح كله اى جميع الفضائل بل زادوا على الواجب عليهم وأن هذه الزوائد محفوظة عند البابا

يوزعها على الخطاة بأثمان معلومة.

(ثالثا) تعتقد الكنيسة القبطية أن التوبة الحقيقية تقوم بانسحاق القلب وندامته على الخطايا السالفة والعزم الثابت على إصلاح السيرة مع الاتكال الثابت على المسيح برجاء نيل العفو من فيض مراحمه مجانا.

أما الكنيسة الرومانية فتعتقد أن الخطاة يمكنهم أن يعتقوا من القصاصات الحاضرة والمستقبلة بمجرد ابتياعهم اوراق الغفران.

(٢) اوراق الغفران

انه فى أواسط القرن الخامس عشر أى حوالى سنة ١٧٤٢ م شرع سكستينوس الرابع بابا رومية أن يوزع أوراق غفران بالصفح التام عما ارتكبه شعبه من الخطايا فى الماضى وما يرتكبه فى المستقبل أيضا.

وكانت هذه الغفرانات تباع فى كل البلاد وكان بائعوها يطنبون فى مدحها اطنابا فائقا حبا فى رواجها وطمعا فى اجتناء الأموال من ورائها.

ولقد زعم بائعو هذه الغفرانات أن هناك ثلاثة امكنة تذهب اليها أرواح الموتى: أحدها المكان الذى تذهب اليه أرواح القديسين فتتمتع بالغبطة الأبدية. والثانى المكان الذى تذهب اليه أرواح الكفرة والأشرار البغاة فتتعذب فى النار الابدية خالدة فيها. والثالث المطهر الذى تذهب اليه أرواح الذين تابوا ولم يتمكنوا ان يتمموا قانون التوبة المفروض عليهم فيعذبون فى ناره الى حين لكى يتمتعوا بعد ذلك بالخيرات

الدائمة . ثم ادعوا ان البابا يمكنه بالابتهال ان يخرج الأرواح من المطهر قبل تمام تطهيرها فتصعد الى السماء وانه بواسطة الغفرانات يمكن اخراجها منه فى برهة عشر سنين او عشرين سنة وإن طال عذابها ففي برهة خمسين سنة . وهذا الوهم الباطل هو الذي ساعد على انتشار أوراق الغفران بين الشعب الروماني.

على أن هذه العقيدة فضلا عن كونها مبنية على غير أساس ومضادة لكل تعاليم الكتاب ولا تتفق مع الصبغة المسيحية ولا تتلائم مع مبادئها لا فى جوهرها ولا فى مظهرها . بل ولا تساير العقلية السليمة المنصفة . فانها تسهل على المعتقدين بها ارتكاب الخطايا وتساعدهم على الامعان والتوغل فيها ولا سيما الاغنياء وذوى الاموال الطائلة .

(٥) سر مسحة المرضى(١)

الفصل الأول

في

(١) حد سر مسحة المرضى (٢) نتائج هذا السر

(٣) الفرق بينه وبين سر التوبة

(١) حد سر مسحة المرضى

مسحة المرضى هي سر به يمسح الكاهن بزيت مقدس المريض ويستمد له الشفاء من الله روحيا وجسديا.

اما اعضاء الجسم التي تمسح بالزيت المقدس بنوع أخص فهي (١) الرأس ولاسيما الجبهة لأنها كرسي للحواس الخمسة والقوة الفكرية (٢) الصدر لأنه مركز القلب (٣) اليدين. وبذلك تتقدس كل جارحة لها علاقة بنجاسة الجسم وطهارته.

(٢) نتائج هذا السر

ان لهذا السر نتيجتين: أحدهما شفائية والأخرى خلاصية.

فالنتيجة الشفائية تقوم بعلاج الجسم وارتداد صحته وعافيته اليه بشرط ان يكون ذلك موافقا لمشيئة الله من جهة وملائما

---

(١) يعرف هذا السر عند عامة الناس بالقنديل. وربما عرف بهذا الاسم لان الزيت المراد تقديسه كان يوضع اثناء اتمام هذا السر في قنديل.

لخلاص نفس العليل ونجاتها من الهلاك الابدى من جهة أخرى. ولقد أشار يعقوب الرسول الى هذا الفعل بقوله: صلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه (يع ٥:١٥).

اما النتيجة الخلاصية فتقوم بمغفرة سائر الخطايا ليست العرضية فقط التى يتدنس بها كل احد بل المميتة ايضا. وقد أشار الرسول الى ذلك بقوله (ان كان فعل خطيئة تغفر له).

ومن ثم يتحتم على كل مريض يرغب فى الحصول على هاتين النتيجتين أن يعترف بخطاياه للكاهن اولا والا عد مقصرا في اهم الشروط الواجبة عليه وهى التى اشار اليها الرسول بقوله: اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات (يع ٥:١٦).

(٣) الفرق بين سري المسحة والتوبة

ان سر التوبة منح من الله لينال به الخاطئ الشفاء من أمراضه الروحية فقط. اما سر مسحة المرضي فقد منح من الله لينال به الانسان الشفاء من أمراضه الروحية والجسدية معا (يع ٥:١٥).

الفصل الثانى

فى
تاسيس سر مسحة المرضى

ان وقت تاسيس هذا السر غير معروف بالضبط. الا أن الذى أسسه هو ربنا يسوع المسيح لان تاسيس الأسرار انما هو منوط به دون غيره.

وقد اشار الى هذا السر مرقس الانجيلى بقوله: ودهنوا (اى الرسل) بزيت مرضى كثيرين فشفوهم (مر ٦:١٣) ثم اذاعه يعقوب الرسول بقوله: أمريض احد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيملوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطيئة تغفر له (يع ٥:١٤).

ولقد زعم منكرو هذا السر ان مسحة المرضى ليست سرا ولكنها واسطة عادية لشفاء الامراض. غير ان حيازة هذا السر لكل الشروط المطلوبة فى كل سر ابطل هذا الزعم ودحضه.

أما تلك الشروط فهى :-

(١) مادته وهى الزيت المقدس (٢) صورته وهى صلاة الايمان (٣) خادمه وهو الكاهن (٤) القابل لهذا السر الالهى وهو المريض المعتمد (٥) افعاله الخصوصية وهى غفران خطايا المريض وشفاؤه اذا اراد الله شفاءه.

الفصل الثالث

في

(١) شهادة الكنيسة لهذا السر (٢) شهادة البروتستانت

(١) شهادة الكنيسة

قال يوحنا فم الذهب لأن سلطان الكهنة في غفران الخطايا لا ينحصر في البرهة التي يلدوننا فيها بالمعمودية بل يمتد الى ما بعدها أيضا لانه يقول (أمريض احد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيملوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه (يع ٥:١٤).

قال القديس كيرلس الاورشليمي (أما أنت اذا كنت موجعا في أجزاء جسمك فصل هذه الكلمات وادع بها عن نفسك لانك تعمل عملا افضل من أولئك المؤمنين بالسحر اذا كنت تقدم المجد لله لا للارواح النجسة. واني لمتذكر الكتاب الالهي حيث يقول: أمريض احد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيملوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه وان كان قد فعل خطيئة تغفر له (يع ٥:١٤).

(٢) شهادة البروتستانت

قال موسهيم المؤرخ البروتستانتي (ان المسيحيين الأولين لما مرضوا مرضا مخطرا كانوا يدعون شيوخ الكنيسة حسب قول يعقوب (٥:١٤) وبعد أن يعترف المريض لله بخطاياه يستودعه الشيوخ لله بالتضرعات الخشوعية ويدهنوه بزيت) (ك ١ ق ١ قسم ٢ فصل ٤).

الفصل الرابع

فى

اعتراضات منكرى هذا السر والرد عليها

(١) يعترض منكرو هذا السر بأن يعقوب الرسول لم يتكلم عن سر من الأسرار بل عن مسح معجزى ذكر فى الانجيل كان المرضى يشفون به . فنجيبهم أن تعبير يعقوب الرسول عن هذا الموضوع لا يفيد بأنه مسحة معجزية البتة بل انه سر من الأسرار السبعة لأن المعجزات لم ترتبط مطلقا بعلامات معينة كما ارتبط هذا العمل بمسحة الزيت. ولو فرض أنه مسحة معجزية فليس هنالك مانع من ان يكون الرسل منحوا المعجزات بواسطة الأسرار.

(٢) يعترضون بأن مسحة الزيت التى ذكرها يعقوب الرسول كانت واسطة بسيطة عادية لشفاء الأمراض. فنجيبهم انه لو كانت مسحة الزيت واسطة عادية بسيطة لما كان هناك داع لحصرها فى قسوس الكنيسة ولما أمكن ان يتم بواسطتها غفران الخطايا وهو من اخص وظائف الكهنة .

(٣) يعترضون ايضا بقولهم . اذا كانت مسحة الزيت سرا فلم لا يشفى كل المرضى من أمراضهم عند مايمسحون بها والحال ان كل سر لابد أن يكون له أثره . فنجيبهم ان عدم شفاء كل المرضى بهذه المسحة لا ينفى كونها سرا . بل ربما كان ذلك إما لعدم ملاءمة شفاء الجسد لخلاص النفس أو لسبب آخر يعلمه الحكيم الشافي وحده . ليت شعرى أليس سر الافخارستيا يعطى لحياة الأنفس ومع ذلك لأمر ما قد يكون علة هلاكها (راجع ١ كو ١١: ٣٠).

الفصل الخامس

فى

(١) خادم سر المسحة (٢) اعتقاد الكنيسة الرومانية فى هذا السر

(١) خادم سر المسحة

أما خادم هذا السر فهو الكاهن حسب عادة البيعة المقدسة تنفيذا لقول يعقوب الرسول: امريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة (يع ٥:١٤) غير أن قوله قسوس الكنيسة بصيغة الجمع لا يؤخذ منه ان لا يكفى لخدمة هذا السر المقدس قسيس واحد بل قصد به ماجرت عليه العادة قديما وهو أن يرافق الكاهن المدعو لمسح المريض كهنة كثيرون وربما كانوا سبعة لكى يتوسلوا معه الى الله فى شان المريض وبما ان هذا العدد لم يعينه الرسول ولا هو فى الكنيسة من الامور الواجبة فهو اذن عديم الاهمية.

(٢) اعتقاد الكنيسة الرومانية فى هذا السر

تعتقد الكنيسة الرومانية ان هذا السر لا يعطى الا لذوى العقل والتمييز. أما من كانوا عديمى العقل والتمييز طوال حياتهم والاطفال الذين لم يبلغوا سن التمييز فهم غير قابلين لهذا السر.

وكذلك لا يعطى الا للمرضى المشرفين على الموت. ومن ثم يسمى

هذا السر (مسحة المريض الأخيرة أو المسحة الاخيرة) قال الاب بطرس غورى فى كتابه علم اللاهوت جزء ٢ ص ٦٦٢ "هذا السر لا ينبغى اعطاؤه الا لمريض يخشي موته . ولا يعطى لمن لا يكون قد بلغ سن التمييز ولا لمن كان معتوها كل عمره وذلك لانتفاء اقترافهما خطية فعلية".

ولقد دخلت هذه البدعة فى الكنيسة الرومانية فى القرن الثانى عشر وهى من البدع المنكرة لان الرسول بقوله (أمريض احد بينكم) قصد المرضى عموما بلا فارق أو لا تمييز بين الواحد والآخر.

(٦) سر الزواج

تمهيد: لقد خلق الله الكائنات الحية وميزها فى التركيب والجنس بتكوينها من ذكور واناث واحكم بين الجنسين ذلك الجاذب الشديد أو الميل الغريزى الذى يرتبط به الاثنان ويتجاذبان وعليه يتوقف التناسل واستمرار الأنواع الحية فى قيد الوجود.

ولما كان الانسان طوع أمر الطبيعة فى قضاء الفعل الجنسى كسائر الكائنات الحية فمن ثم وضع الله ناموسا يتم بموجبه عقد زواج شرعى بين الرجل والمراة ليكون وسيلة لتنكب طرق الفساد وتجنبها وتعديل الشهوات وتلطيف حدتها ووقاية الأخلاق من التسفل والابتذال. كما أنه (أى الزواج) ينمى ويوطد فى الزوجين محبة البنين وينشط فيهما الشعور بما يجب على كل منهما نحو الآخر وبما يلتزم به كلاهما نحو الأسرة. ومن هنا نشات فكرة التعاون التى عليها قام نظام العائلة ثم تعداه الى نظام المجموع.

وحيث أن لكل هيئة اجتماعية تشريعا خاصا يتم بواسطته عقد الزواج بين افرادها ونحن طبيعيا لا نتوخى فى هذا المؤلف سوى البحث فى الزواج التى يتم بواسطة الكنيسة فلهذا سيكون بحثنا قاصرا على هذا النوع وحده دون سواه ومن الناحية الدينية فقط.

الفصل الاول

في

(١) علة رسم سنة الزواج (٢) علة صيرورة

الزواج سرا (٣) الدليل على انه سر

(١) علة رسم سنة الزواج

الزواج من شؤون الانسان الطبيعية لنفعه وخيره وسعادته وقد رسم من الله سبحانه وتعالى لامور شتى اشهرها ثلاثة :

(١) لاجل ايلاد الاولاد وتبادل التعزية بين المتزوجين هكذا رسم هذا السر المقدس في الفردوس الارضي قبل الخطيئة .

(٢) ليكون بمنزلة دواء ضد هيجان الشهوة التي لا يمكن أن تكون طاعتها حلالا الا بهذا السر المقدس وبحسب ذلك رسم هذا السر بعد الخطيئة .

(٣) ليكون عبارة عن اتحاد المسيح وكنيسته المقدسة الاتحاد الروحي وبحسب ذلك رسم هذا السر المقدس في الناموس الانجيلي.

اما الذين لا يلتمسون من الزواج سوى اللذة والاثراء والجاه فقد تحدوا الغرض الاساسي من الزواج وقلما يتمتعون بعيشة زوجية مسيحية هنيئة .

(٢) علة صيرورة الزواج سرا

ليس من شك في ان الزواج هو ناموس طبيعي لان الله خلق الانسان ذا جهاز جسدي وعواطف عقلية وقلبية وأميال موافقة لمشاركة غيره في الاعمال والافكار والانفعالات ومن ثم انتهز المتهالكون على الشهوة فرصة فساد الطبيعة البشرية وحولوا

الزواج عن المقاصد المقدسة التى وضع لها فى البداية الى اشكال وانحاء مختلفة. ولأجل تقديسه وارجاعه الى المقاصد السامية التى وضع لها صيره ربنا يسوع المسيح فوق كونه ناموسا طبيعيا سرا من اسرار الكنيسة السبعة ليمنح المتزوجين بالنعمة المختصة به قوة تساعدهم على القيام بالواجبات الزوجية الصحيحة وهى:

(١) ليعيشوا مع نسائهم بسلامة ومحبة واتحاد قلبى.

(٢) ليربوا أولادهم ويهذبوهم ويؤدبوهم ماديا وادبيا ليكونوا أعضاء سالمة ومفيدة للكنيسة والمجتمع البشرى.

(٣) ليحفظوا الامانة الصادقة التى يجب ان يتخذوها شعارهم والتى عليها تتوقف سعادتهم وهناء عيشهم.

(٤) ليشاطر بعضهم بعضا الخيرات والشدائد التى تصادفهم فى الحياة.

(٣) الدليل على أن الزواج سرا

أما كون الزواج المسيحى سرا من الاسرار السبعة المقدسة فيستدل عليه:

(١) من رسم الله اياه حيث قيل عنه: فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان (مت ١٩:٦).

(٢) من تسمية الكتاب اياه سرا بقوله: هذا السر عظيم (اف ٥:٣٢).

(٣) من تقليدات البيعة المقدسة ورأى جميع الآباء الأول الذين يذهبون الى أن سيدنا يسوع المسيح منح الزواج قوة لتلد النعمة فى النفوس وذلك حينما حضر فى عرس قانا الجليل (يو

٢:١-١١).

واعلم أن السر هو اشارة حسية تدل على فعل النعمة الالهية الغير المحدودة الصادرة سريا فى نفوسنا. فالسر لكى يكون سرا لابد له من ثلاثة شروط: (١) ان يكون رسما او فعلا حسيا ظاهرا (٢) أن يمنح الله تعالى نعمته بواسطة ذاك الفعل الظاهر (٣) أن يكون لذلك الرسم أو الفعل الظاهر مشابهة مع فعل النعمة الباطن واشارة اليه ومن ثم نقول أن الزيجة بين المسيحيين هى سر مقدس لانها (١) رسم ظاهر وهذا الرسم الظاهر هو الرضى المتبادل فيما بين العريس وعروسه مع الشروط المرسومة من البيعة المقدسة وبركة الكاهن المصلى عليهما (٢) يمنح الله النعمة للمتزوجين وتلك النعمة تخول لهم القيام بالواجبات الزوجية الصحيحة التى سلفت الاشارة اليها (٣) أما المشابهة لذلك الرسم أو الفعل الظاهر مع فعل النعمة الباطن فهى الاشارة الى اقتران المسيح مع بيعته المقدسة بواسطة التجسد.

ومن ذلك يتضح أن الزواج المسيحى سر مرتب من الله يولى النعمة كباقى الاسرار السبعة غير انه ليس ضروريا كغيره من الأسرار لسائر الافراد بل هو ضرورى بالنسبة للهيئة الاجتماعية لحفظ كيانها وصيانة بقائها. (راجع الفصل الاول فى تعريف الاسرار صفحة ٢٠٢).

الفصل الثانى

فى

شهادة الكنيسة للزواج على أنه سر

(١) قال يوحنا فم الذهب محاربا الاغانى غير اللائقة فى الاعراس (قل لى لماذا تسمح من بادىء الأمر بان تمتلئ آذان أبنتك من الشوائب بالاناشيد القبيحة وبذاك الاحتفال الذى لا محل له. أولست تعلم أن الصبوة سهلة الزلق لماذا تهتك سر الزيجة الموقرة. فانه ينبغى أن ترفض كل هذه وتعلم ابنتك الحياء من البدء وتدعو الكهنة وتعقد اتحاد الازواج بالصلوات والبركات لكى ينمو شوق العريس وتزداد عفة العروس ويدخل عمل الفضيلة فى بيتهما بكل وجه).

(٢) وقال العلامة ترتليانوس (كيف يمكننا أن نعبر عن سعادة الزيجة التى تعقدها الكنيسة ويثبتها القربان وتختتمها البركة).

(٣) قال القديس اغسطينوس (ان قداسة السر لها فى زيجتنا قوة أكثر من قوة ثمرة الاولاد فى الأم).

وقال ايضا (يجب على المتزوجين والمتزوجات أن يجروا اتحادهم برأى الاسقف لكى يكون الزواج مطابقا لارادة الله لا بحسب الشهوة).

الفصل الثالث

في

(١) حد الزواج (٢) تاسيسه

(١) حد الزواج

الزواج هو سر فيه تمنح النعمة الآلهية بواسطة صلاة الكاهن وبركته على الزوج وزوجه اللذين ارتبطا علنا امام الكنيسة بوعد كل منهما للآخر أن يحفظا أمانة زوجية مشتركة . وبهذه البركة يتقوى رباطهما ويتطهر فيساعد كل منهما الآخر مساعدة متبادلة ويلدا الأولاد حسب الناموس المسيحي ويربياهم تربية صالحة مقدسة وبذلك يصير اتحادهما مشابها لاتحاد المسيح بكنيسته .

اما كيفية اشارة سر الزواج الى اتحاد ربنا يسوع المسيح مع كنيسته المقدسة فذلك:

(١) لانه كما ان الانسان يترك اباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا (تك ٢:٢٤) هكذا فعل سيدنا يسوع المسيح لانه خرج من قبل الله وأتى الى العالم (يو ٨:٤٣) وترك الامة اليهودية التي هي أمته لان منها والدته القديسة مريم (يو ١:١٠) ثم التصق بالامم الغريبة التي يقول عنها الكتاب: سادعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة (رو ٩:٢٥).

(٢) كمـا أن المتزوجين من المسيحيين لا يوجد عندهم طلاق ولا يمكـن أن يحل هـذا الناموس الانجيلي اعني به قوله تعالى (ما جمعه الله لا يفرقه انسان) الا لعلة الزنى هكذا فعل ربنا يسوع المسيح فانـه اتخذ جماعة الأمم عروسا له ولم يدفع لها كتاب طلاق مطلقـا كما خاطبها بفم هوشع النبي قائلا : واخطبك لنفسي الى الابد واخطبك لنفسي بالعدل والحق والاحسان والمراحم اخطبك لنفسي بالامانة فتعرفين الرب (هو ٢:١٩).

(٣) كمـا أن الرجل هو راس المراة هكذا سيدنا يسوع المسيح هـو رأس الكنيسة . وكمـا أن الـراس يدبـر الجسد والجسد يطيع الـراس هكـذا سيدنا يسوع المسيح الذى اقيم رأسا على البيعة كلهـا فانه يديرها كأنها جسده والبيعة تخضع له فى كل شئ (اف ٥:٢٣).

(٢) تأسيس سر الزواج

لقـد أسس اللـه سبحانه وتعالى سر الزواج وقدسه فى الفردوس حين بـارك آدم وزوجه بقولـه : اثمـروا واكثروا واملأوا الارض واخضعوهـا وتسلطوا عـلى سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الارض لـذلك يتـرك الرجل أباه وامه ويلتصق بامراتـه ويكونـان جسدا واحدا (تك ١:٢٨ و ٢:٢٤) أما معنى كون المتزوجين يكونان جسدا واحدا فلأن جسد كل منهما مباح للآخر.

وقـد اثبتـه ربنـا يسوع المسيح بقوله : فالذى جمعه الله لا يفرقـه انسان (مت ١٩:٦) ثم باركـه بحضوره العرس فى قانا

الجليل (يو ٢:١-١٢)*.

وعدا كون ربنا بارك الزواج بحضوره فى عرس قانا الجليل فان حضوره كان تاييدا للزواج وتكريما له خلافا للذين نهوا عنه بعد ذلك كانه اختراع من الشيطان أولئك الذين عناهم(١) بولس الرسول بقوله: انه فى الازمنة الاخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين فى رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم مانعين عن الزواج (١ تى ٤:١).

---

(١) هم اتباع سيمون وماني وابيون وغيرهم الذين انكروا الزواج مدعين انه من عمل الاله الشرير وهو الشيطان.

الفصل الرابع

فى

(١) تحريم تعدد الزوجات (٢) حكمة الشريعة فى عدم تعدد الزوجات (٣) عدم منع اعادة الزيجة بعد وفاة أحد الزوجين

(١) تحريم تعدد الزوجات

ان تعدد الزوجات ممنوع فى الديانة المسيحية منعا باتا لان الزواج من امرأة واحدة هو ناموس الطبيعة الذى رسمه الله. ويستدل على ذلك من البراهين الآتية :

(١) من خلقة الله للأسرة الأولى فانه خلقهما ذكرا وأنثى أى بعلا واحدا وزوجة واحدة. لا بعلا وزوجين ولا زوجة وبعلين. فأظهر الله بأن خلق الانسان فى اول الامر ذكرا وأنثى ارادته ان لا يكون لبعل واحد سوى زوجة واحدة. ولو شاء جل شأنه ان رجلا واحدا يتزوج من نساء لخلق فى البدء لا امرأة واحدة بل نساء لان آدم كان احوج الناس الى ذلك لنمو الجنس البشرى وقتئذ.

(٢) من ذكر امرأة واحدة للرجل فى كل النصوص الآلهية الخاصة بأمر الزيجة حيث أنه لم يرد نص واحد فى الكتاب صريح أو ضمنى بتعدد الزوجات على الاطلاق.

وإليك بعض النصوص الدالة على ذلك.

قال الله جل شأنه : لذلك يترك الرجل اباه وامه ويلتصق بامراته "وليس بنسائه" (تك ١:٨).

وقال بولس الرسول: ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته "لا نساؤه" وليكن لكل واحدة رجلها (١ كو ٢:٧) وقال: واما المتزوج فيهتم فى ما للعالم كيف يرضى امرأته "وليس نساءه" (١ كو ٣٣:٧) وقال ايضا: واما انتم الافراد فليحب كل واحد امرأته "لا نساءه" (اف ٣٣:٥) وقال له المجد لبطرس: كل من يترك بيوتا أو اخوة او اخوات او ابا او اما أو امرأة او حقولا من اجل اسمى ياخذ مئة ضعف ويرث الحياة الابدية (مت ١٩:١٩) ومن تأمل فى هذا النص بامعان وترو اتضح له ان تعدد الزوجات باطل. وذلك من حيث أن كلامه له المجد كان بصيغة الجمع عن كل الانواع التى لا يمكن أن تكون أكثر من واحد.

أما النوع الذى لا يمكن ان يكون جمعا فتكلم عنه بصيغة المفرد. فقال عن البيت والاخ والاخت والحقل: بيوت واخوة. وأخوات. وحقول. اما الأب والام والزوجة فذكرها بصيغة المفرد فقال أبا وأما وامرأة. لانه كما أن الأب واحد والام واحدة كذلك الزوجة واحدة ايضا.

(٣) من نسبة عدد الرجال الى النساء فانها فى سائر العالم متقاربة والا لو كان ناموس الله الاصلى ان يكون للرجل امرأتان مثلا لكان عدد النساء ضعف عدد الرجال على الاقل. اما وان النسبة متقاربة بين الجنسين في كل زمان ومكان فذلك دليل معنوى على أن للرجل امرأة واحدة وللمرأة بعلا واحدا.

<u>(٢) حكمة الشريعة فى عدم تعدد الزوجات</u>

اما حكمة الشريعة فى كون الرجل لا يتزوج الا من امرأة واحدة فتتضح مما يلى :-

(١) ان الزواج من امراة واحدة من شانه ان يوقع الود الخالص والحب المتبادل والعناية الفائقة والانعطاف الأكيد بين الزوجين فيشعر كل منهما بلذة وانشراح في حياته مع الآخر. أما كثرة النساء فتضعف المحبة الزوجية وتفضى الى النزاع المستمر.

(٢) من سهولة تربية الابناء لان ولد الانسان يحتاج مساعدة والديه سنوات عديدة خلافا لولد البهائم الذى يحتاجها أياما قليلة ولهذا لم يذكر قط فى الكتاب عن الحيوانات ان الله اقرن ذكرا واحدا مع أنثى واحدة كما فعل مع الانسان. ومما لا ريب فيه أن قلة نسبة التناسل عند الانسان بزواج الرجل من انثى واحدة يساعد على تكوين الأسرة اذ يتاح للابوين تركيز العناية بصغارهما فى دائرة ضيقة.

قال أحد علماء الاسلام (لاشك فى ان الزواج الفردى الذى تعترف به المسيحية أقرب الى الطبيعة. لان علاقة الصداقة لا تتوثق ولان تبادل الحب لا ينمو عادة الا بين فردين فقط. ومما يساعد على تطبيق قانون الزواج الفردى أن نسبة عدد الرجال الى عدد النساء فى العالم متقاربة والزواج المسيحى محترم فى حد ذاته حتى أن بعض الملوك والامراء الذين تسمح لهم التقاليد بالزواج اكثر من واحدة يميزون عادة واحدة من نسائهم العديدات (المقتطف مجلد ٨).

ومن ميزات الزواج المسيحى انه لم يمنع تعدد الزوجات فقط بل ساوى بين الرجل والمراة فى الحقوق. وعن هذه المساواة تتولد طاعة متبادلة وحياة زوجية متناسبة تسفران عن ظل سعادة وارفة يتفيا بها أعضاء الأسرة رائعة فى رياض السلام والهناء.

(٣) عدم منع إعادة الزيجة بعد وفاة احد الزوجين

ان الكنيسة ولئن كانت تحرم تعدد الزوجات الا أنها لا تمنع إعادة الزيجة عن الذين يريدون أن يتحدوا بزيجة ثانية رجالا كانوا أو نساء بعد وفاة احد الزوجين قال بولس الرسول: ولكن اقول لغير المتزوجين وللارامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما انا ولكن ان لم يضبطوا انفسهم فليتزوجوا لان التزوج اصلح من التحرق (١ كو ٧:٨) وقد شرح القديس اغسطينوس هذه الآية فقال: (من عادة الناس أن يتباحثوا فى مسألة الزواج الثالث او الرابع وهلم جرا. وعليه فاجيب باختصار لا اتجاسر ان اشجب شيئا فى مثل هذا الزواج ولا اقدر أن أحدد مالم يحدده الرسول نفسه. فانه يقول ان المراة مقيدة بالناموس مادام زوجها حيا. ولم يقل الزوج الاول أو الثانى أو الثالث او الرابع. بل قال ان المراة مقيدة مادام رجلها حيا فاذا مات زوجها تعتق فلتتزوج بمن تشاء لكن فى الرب فقط. غير انه أفضل لها ان استمرت على ماهى عليه. فهل يمكن أن يزاد شئ على هذا الحكم او يستثنى منه شئ مما يتعلق بهذا الامر لا أعلم).

اما صاحب المجموع الصفوى فيعتبر التزويج الرابع زنا ظاهر: بقوله فى صحيفة ٢٤٢ (ومن جسر على أن يصير الى التزويج الرابع الذى ليس هو تزويجا. فلا يحتسب مثل هذا زواجا ولا المولودون منه بنين مختمين يعرفون ويلقى فى عقاب المتدنسين بأوساخ الزنا).

الفصل الخامس

فى

واجبات الزوجين

قال الوحي الآلهي: الرجل هو راس المراة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة (اف ٥:١٣).

وبما أن الرجل هو رأس المراة. والرأس من شأنه ان يدبر الجسد والجسد يطيعه هكذا يجب أن يكون الانسان المسيحى مدبرا امراته لكونه رأسها كما أن امراته يجب عليها أن تبالغ فى تكريمه وطاعته.

وكما أن الرأس لا يدبر الجسد فقط بل يحبه حبا خالصا ويهتم بكل ما يؤدى لسعادته ولا يوجد بينه وبين اعضائه محاربة او بغضة على الاطلاق فمثل ذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كما يحبون أجسادهم لأن الذى يحب امرأته يحب نفسه الا ان المحبة التى تطلب من المتزوجين أن يحب بعضهم بعضا بها ليست جسدية شهوية بل هى محبة طاهرة مسيحية لان تلك سرعان ماتزول وهذه تدوم أبدا. قال بولس الرسول: أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب الكنيسة وهو مخلص الجسد ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن فى كل شئ ايها الرجال احبوا نساءكم كما احب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لاجلها لكى يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة لكى يصيرها

لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن او شئ من مثل ذلك. بل تكون مقدسة وبلا عيب كذلك يجب على الرجال ان يحبوا نساءهم كأجسادهم من يحب امراته يحب نفسه فانه لم يبغض احد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب ايضا للكنيسة لاننا اعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه من اجل هذا يترك الرجل اباه وامه ويلتحق بامراته ويكون الاثنان جسدا واحدا هذا السر عظيم ولكن انا اقول من نحو المسيح والكنيسة واما انتم الافراد فليحب كل واحد امراته هكذا كنفسه واما المراة فلتحب رجلها (اف ٥:٢٢-٣٣) ويؤخذ من هذا النص الالهي انه يجب على الزوجة أن تخضع لزوجها لانه راسها وتطيع أوامره وتنفذها باخلاص ووقار. وعلى الزوج من جانبه أن لا يستغل هذا الخضوع فيستبد ويدفعه الغرور والنزق الى اعتبار الزوجة كخادمة بل يحترمها ويحبها كنفسه. قال القديس توما اللاهوتي (انه كان لائقا ان تتكون المراة من ضلع الرجل اما اولا فبيانا لوجوب الالفة بين الرجل والمراة لانه ليس يجب أن تتسلط المراة على الرجل ولذلك لم تتكون من الراس. وليس يجب ان تحتقر من الرجل كانها خاضعة له خضوعا عبديا ولذلك لم تتكون من الرجلين).

ولقد أوصى ارسطا طاليس الفيلسوف النساء المتزوجات بوصايا قيمة للغاية قال (١) لتكن المراة ميتة الهوى ليتأتى لها الخضوع لزوجها. وليكن عندها رجلها بمنزلة القلب والعين واللسان. تسر بسروره وتحزن لحزنه لا عن تظاهر ورياء بل بالاخلاص والصدق كأنها من جسده ولتكن واياه بروح واحد (٢) لا

تخاصم اهل بيتها ولا تكن شتامة ولا معاندة بعلها ولا محبة للخمر ولا مبتذلة ولا متفاوتة فى التحلى والتزين فان ذلك يروق الغير ويسوء زوجها (٣) لا تسمح لأحد أن يلج بيتها دون رضى زوجها ولا تطلع احدا على مافى بيتها مما لا يريد زوجها اظهاره (٤) تهذب اولادها وتبالغ فى تثقيفهم ولا تدعهم يبتعدون عن مرآها ولا ينطقون بالمجون والكلام السفيه كما أنها هى لا تنطق بذلك أمامهم.

الفصل السادس

فى

تحريم الطلاق بغير ماورد فيما يفسخ الزيجة

خلق الله فى البدء رجلا وامرأة وأزوجهما ورسم بان عهد الزيجة لا يمكن نقضه بشريعة سياسية ولا شريعة كنسية ولا يمكن أن ينقضه غير الله وذلك باماتة احد الزوجين.

قال بولس الرسول. ام تجهلون أيها الاخوة لانى اكلم العارفين بالناموس ان الناموس يسود على الانسان مادام حيا فان المرأة التى تحت رجل هى مرتبطة بالناموس بالرجل الحى ولكن ان مات الرجل فقد تحررت من ناموس الرجل فاذا مادام الرجل حيا تدعى زانية ان صارت لرجل آخر ولكن ان مات الرجل فهى حرة من الناموس حتى انها ليست زانية ان صارت لرجل آخر (رو ٧: ١-٣).

وقد قضى جل شانه ان يدوم الاقتران بدوام الزوجين ولا ينفك الا بموت احدهما حتى يكون ذلك الاقتران اتحادا شرعيا واتحادا فى المحبة والمقاصد والاعمال واللذات والأفراح والاحزان. فيطلب كل من الزوجين سعادة الآخر ويسعى فى تحصيلها كما يطلبها ويسعى فى تحصيلها لنفسه.

هذا فضلا عن ان انفصال الزيجة فى الواقع ليس اختياريا لان النسبة بين الزوجين لا يمكن نزعها باسهل من نزع النسبة بين الوالد وولده والأخ وأخيه. لا بل أن الارتباط والاختلاط الزوجى لا

يمكن ان يعادله اختلاط وارتباط بين اثنين فى هذه الحياة على الاطلاق. وما تكون المراة الاولى من ضلع الرجل الاول الا دليلا معنويا على هذه النسبة وهى ان الرجل متى تزوج من امراة اتحد معها اتحادا طبيعيا وصار كلاهما جسدا واحدا وروحا واحدا وارتبطت حياتهما الادبية ومصالحهما المادية ارتباطا طبيعيا لا ينتهى الا بانتهاء الحياة.

نعم أن موسى لما وجد الاسرائيليين بعد سكناهم في مصر قد صاروا قساة القلوب وتعودوا الطلاق كثيرا استحسن كحاكم سياسى ان لا يمنع الطلاق مطلقا بل أن يضع له حدودا شرحها في سفر التثنية بقوله: اذا أخذ رجل امراة وتزوج بها فان لم تجد نعمة في عينيه لانه وجد فيها عيب شئ وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها واطلقها من بيته ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر فان ابغضها الرجل الاخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها واطلقها من بيته او اذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الاول الذى طلقها ان يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد ان تنجست لان ذلك رجس لدى الرب فلا تجلب خطية على الارض التى يعطيك الرب الهك نصيبا (تث ٢٤: ١-٤).

غير انه لما أتى ربنا يسوع المسيح واضع سنة الكمال ارجع الشريعة الى اصلها وهى لا تزال شريعة الله الوحيدة التى تصون راحة العائلة والآداب العمومية والاعتبار الواجب للمراة والتربية الحسنة للأولاد.

ومن ثم أجاب جماعة الفريسيين الذين سألوه هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب بقوله : أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا اذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان. قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق قال لهم ان موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا (مت ١٩: ٣-١٠).

على أن ربنا له المجد وان كان نهى عن الطلاق لما فيه من الأذى الباطل والمخالفة للانصاف والمنافاة للمروءة والاستحقاق للذم والتأنيب الا أنه رأى من الغدر وعدم الصواب أن يحكم ببقاء صلة الزواج مرتبطة ولم يقض بحلها اذا خان أحد الزوجين شريكه ونقض شروط العقد التى تكفل الاثنان بمراعاتها والمحافظة عليها. ومن ثم سمح بانحلال الرابطة الزوجية لهذه العلة وحدها وهى زنى أحد الزوجين (مت ٥: ٣٢) حيث تقرر أن ليس للمرأة أن تبذل جسدها لغير زوجها وأن ليس لزوجها أن يبذل جسده لغيرها. أما اذا خان أحدهما صاحبه فى حقه فيحق للمخون أن ينكر على الخائن حقه، قال القديس إمبروسيوس (لا يجوز لك وزوجتك حية أن تقترن بغيرها لان اقترانك بزوجة ثانية وأنت مقيد بزوجة لهو زنى حقيقى.

قد يزعم البعض ان الطلاق يساعد على حل الاشكال الزوجية ولهذا أسرفت فيه المجالس الملية اسرافا غير محمود مع أنه

ثبت بالاختبار أن الطلاق يزيد تلك الاشكال ارتباكا وتعقيدا لانه وان افاد الافراد بعض الفائدة فقد يضر المجموع الضرر كله. وليس من الحكمة فى شئ أن يضحى بمصلحة المجموع فى سبيل راحة الفرد لاسيما وأن الشرائع عامة لا يراعى فى وضعها مصلحة الافراد بل مصلحة الجماعات قبل كل شئ.

ودونك ماقاله قاضى الطلاق فى امريكا عن اضرار الطلاق وما تجره على الهيئة الاجتماعية من الخراب وفساد الاخلاق.

(ان الزواج فى هذه البلاد (أمريكا) صائر الى حالة توجب الاسف. فان لم نفتح عيوننا للحقائق ونصرح بها غير متهيبين ونعمل على تغيير مانفهمه من علائق الجنسين تصبح الاباحة فى الحب والفوضى فى الزواج والتطرف فى حسبان الطلاق من ضروريات المعيشة الهنيئة شيئا سهلا وواجبا وان كان مخالفا لما قررته الاديان وأوجبته قوانين الهيئة الاجتماعية.

فالزواج عندنا اصبح العوبة أو مهزلة بحيث لا يختلف عن شركة تجارية يعقدها شخصان ويبقيان فيها متعاونين ما بقيت رابحة وما اتفق ذوقاهما وينفصلان عندما يشعران بالخسارة أو بالنفور المتبادل.

ولا ريب أن البواعث الطارئة على تمدننا فى هذا الزمان تعمل على تقويض اركان التوازن الدينى وتشويه آداب المجتمع وتمهد السبل الطبيعية البشرية الميالة الى الشر فى طغيانها فتتمادى فيه بلا وازع من الدين ولا رادع من القانون. والقاضى الذى تبدو له هذه المساوىء فى القضايا المختلفة لا يرى سوى

علاج واحد ناجح وهو أن تستعين الهيئة الاجتماعية بالدين والعلم والتهذيب على استئصال ما طرأ في هذا العصر من التطورات الغريبة العاملة على خراب الحياة الزوجية وفساد أخلاق الناشئة.

وقد يحسبني بعضهم من المفكرين المتفوقين في هذا الباب بالنظر الى كثرة عدد الذين افلتوا من قيود الزواج في محكمتي. فانا على الرغم مما يقال من تساهلي في حل ماعقده الشرع من أشد الناس تمسكا بزي الزواج القديم القائل ببقاء الاثنين جسدا واحدا الى أن يفرقها الموت. ولا يحل هذا المشكل الا العمل بهذه القاعدة. واعتقد أن اجدادنا كانوا اسعد حالا واهنأ عيشا من حيث الوجهة الزوجية مما نحن عليه الآن).

الفصل السابع

في

تفضيل العزوبة ذات العفاف على الزواج

ان الزواج وإن كان مكرما مقدسا والمضجع غير دنس (عب ١٣:٤) الا أن فضيلة العفاف أكثر منه قداسة وكرامة (١ كو ٧:٣٨).

نعم أن بولس الرسول مدح الزواج بقوله: ليكن الزواج مكرما عند كلّ احد والمضجع غير نجس (عب ١٣:٤) غير أنه فضل العزوبة ذات العفاف عليه بقوله: ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا ولكن ان لم يضبطوا انفسهم فليتزوجوا لان التزوج اصلح من التحرق ... فاريد أن تكونوا بلا هم غير المتزوج يهتم في ماللرب كيف يرضي الرب. وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته أن بين الزوجة والعذراء فرقا غير المتزوجة تهتم في ماللرب لتكون مقدسة جسدا وروحا وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها (١ كو ٧:٥-٢٤).

وزاد الرسول على هذا الشرح الفياض بأن تمنى أن يشاركه جميع الناس في العزوبة الطاهرة بقوله في صراحة كاملة: اني اريد أن يكون جميع الناس كما أنا (١ كو ٧:٧) لو صح ذلك وأمكن.

وفوق ماذكر فان العزوبة تفضل على الزواج بعلتين أخريين (احداهم) لكونها هبة من السماء (وثانيتهما) لمكافاتها الجليلة من الله.

اما عن العلة الاولى فقد قال ربنا له المجد (ليس الجميع يقبلون هذا الكلام "اى عدم الزواج" بل الذين أعطى لهم) وبذلك اثبت ان ليس كل انسان يقدر ان يقاوم الشهوات ويكون بلا زوجة الا اذا وهبه الله ذلك واعانه عليه.

اما عن العلة الثانية فقال جل شانه على فم أشعياء النبي: ولا يقل الخصي ها أنا شجرة يابسة لانه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويختارون مايسرني ويتمسكون بعهدي انى اعطيهم في بيتي وفي اسواري نصبا واسما أفضل من البنين والبنات اعطيهم اسما ابديا لا ينقطع (اش ٥٦:٣).

قال القديس ايرونيموس (يسرني أولئك الذين صاروا خصيانا بارادتهم غير مجبرين. انى بملء الرضى اقبل في احضاني أولئك الذين امتنعوا عن الزواج لاجل ملكوت الله. أولئك الذين لم يريدوا ان يكونوا كما ولدوا مخصين ذواتهم لعبادة الله. إيمانهم عظيم وفضيلتهم سامية لانهم صاروا هيكل الله النقى لانهم قدموا ذواتهم بكليتها ضحية للرب).

غير ان العزوبة وإن كانت مفضلة على الزواج الا أنها ليست بقانون عام بل مفوضة الى اختيار المختار لأنها اعلى من الطبيعة وفائقة عليها. ومن ثم قال ربنا له المجد: من استطاع ان يقبل فليقبل (مت ١٩:١٣) اى له الحرية المطلقة فيما يختاره لنفسه من جهة الزواج وعدمه.

ولا يؤخذ من قولنا ان العزوبة اعلى من الطبيعة انها غير ممكنة كما قال لوثر (ان الحياة دون امراة غير ممكنة كما انها غير ممكنة دون اكل وشرب) لانه متى استملت العلاجات

الواقية من نار الشهوة كانت العزوبة سهلة متيسرة بنعمة الله . والا كان قوله تعالى (من استطاع أن يقبل فليقبل) عبثا ولا طائل تحته .

اما تلك العلاجات فكثيرة وأشهرها الصوم والصلاة والاحتراس والتأمل الروحى والقرآة والتشاغل الدائم مع ترك البطالة وتجنب المقابلات والمجالسات والاحاديث الخطرة وكل ما من شانه ان يضر بالطهارة .

واذا اعترض أحد بقوله ان العزوبة مناقضة لقوله تعالى عن آدم : ليس جيدا أن يكون آدم وحده (تك ٢:١٨) قلنا ان الله قال هكذا لتكثير البشر وقتئذ . اما وان العالم قد امتلأ الآن فالذين يعيشون بلا زواج لا يؤثرون على المجموع فى شئ ما لانهم نفر قليل لا يحول دون تكاثر النسل . ومن ثم لا تعتبر العزوبة الآن مناقضة لذلك القول الالهى مطلقا ولا سيما اذا علمنا ان آدم حينذاك كان وحيدا فى وسط ذلك الكون العظيم فكان جديرا بمعينه من نوعه تساعده على انجاب النسل وتعمير العالم ومشاطرة نعائم الحياة واتعابها .

الفصل الثامن

فى

(١) على يد من يتم سر الزواج

(٢) اين يحتفل باتمام سر الزواج

(١) على يد من يتم سر الزواج

لقد ثبت من الفصول السابقة امران جوهريان (أحدهما) أن الزواج سر من أسرار الشريعة الجديدة السبعة (اف ٥:٣٢) و(ثانيهما) انه يتم بواسطة الله نفسه (مت ١٩:٦).

وحيث أن الكاهن هو وكيل الله كما اثبت ذلك بولس الرسول بقوله: هكذا فليحسبنا الانسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله (١ كو ٤:١) فاصبح لزاما على المؤمنين أن يعقدوا زواجهم على يد الكاهن الشرعى دون سواه لانه هكذا اعتادت الكنيسة منذ نشاتها ان تنيط اتمام هذا السر برعاتها الكهنة دون غيرهم.

قال العلامة ترتليانوس (كيف يمكننا إن نعبر عن سعادة الزيجة التى تعقدها الكنيسة ويثبتها القربان وتختمها البركة).

(٢) أين يحتفل باتمام سر الزواج

بما ان سر الزواج هو أحد اسرار الكنيسة السبعة فيجب أن يحتفل باتمامه فى الكنيسة نفسها. قال صاحب المجموع الصفوى صحيفة ٤٤١ (أما ماسوى ذلك من الزواج فمباح بشرط تكليل الكاهن لهما ظاهرا فى الكنيسة بمحضر جماعة ويقربهما وقت الاكليل).

ولقد كان الاقباط عامة فى القرون الاولى يحتفلون بأعراسهم فى الكنائس دون البيوت كما هو ثابت من أوثق المصادر التاريخية. وأن آثار هذه العادة الحسنة الباقية عند بعض الاقباط حتى الآن لهى اصدق دليل على صحتها. قال المستر (بوتلر) فى كتابه الثانى صحيفة ٣٢٣ مايؤيد رأينا هذا وهو (فى اليوم المعين ياتى كل من العروسين أحدهما بعد الآخر يحيط بكل منهما لفيف من القوم ورجال الموسيقى يطوفون الشوارع الى الكنيسة وعندما يصل العريس الى الباب يقابله الشمامسة حاملين مشاعل ودفوف والكهنة يرتلون أومانا (مبارك الآتى باسم الرب) ويذهبون به داخل الكنيسة حيث صفوف الشمامسة وبالمثل عند مجئ العروس يقابلونها بترتيلة (مريم وحواء) ويذهبون بها الى المحل المخصص للسيدات.

ويلبس الكهنة فى هذه الحفلة ملابس بيضاء واذا كان البطريرك هو الذى يباشر صيغة العقد ياتى به رجال الدين فى زفة كذلك ثم ترتل المزامير ويحرق البخور ويقرا الانجيل باللغة القبطية والعربية ويبارك الكاهن الذى يتولى العقد العروسين الواحد بعد الآخر.

وفى الكنيسة يلبس العريس برنسا من حرير ابيض يصل الى القدمين ثم يتمنطق بحزام فى وسطه وزيادة على ذلك يلبسه الكاهن الذى يباشر العقد خاتما فى يده اليمنى ويتلو عليه صيغة التبريك ثم يذهب معه الى محل العروس ويطلب القس من العريس ان يعطيها الخاتم فاذا قبلت الخاتم تكون رضيت ان تصير زوجة له فيضع الرئيس الدينى ايديهما فى بعضهما ويتجهان

الى باب الهيكل حيث يوجد المرتلون وتقف العروس الى يمين العريس وحالما يقفان يغطيهما القسيس بوشاح من حرير ابيض رمزا على الارتباط النفسى المقدس. ثم تتلى الصلوات وترتل التراتيل ويحرق البخور ويتخلل ذلك قراءة بعض فصول من الانجيل ... ثم يدهن(١) القسيس بزيت مصلى عليه وجه العروسين ومعصميهما ويبارك التاجين ويضعهما على راسيهما، ثم يتلو القس التحليل والوصايا وتختم الحفلة بزفة العريس والعروس فى الكنيسة. اهـ).

فيا حبذا لو اقتفى كل الاقباط آثار آبائهم الراحلين وكللوا لابنائهم فى بيوت العبادة لرجعت تقاليد كنيستهم ونظمها الى حالها الأولى التى تسلمتها من الرسل انفسهم.

---

(١) كل دهن سواء اكان بالزيت او بالميرون يجب ان يكون مقرونا برسم الصليب المكرم. لاننا بهذا الرسم الذى هو سمة ربنا نعرف اننا عبيده لانه كما أن الدينار يرسم بعلامة الملك ليعرف بشهادة الرسم انه له. هكذا نحن نرسم بعلامة مليكنا يسوع المسيح لنعرف بهذا الرسم اننا له. وكما ان الدينار لا يقبل فى مملكة الملك إن لم يكن موسوما بعلامته فكذلك نحن غير ممكن ان نقبل بمملكة سيدنا يسوع المسيح ان لم نكن موسومين بعلامته وهى ارتسامنا الصليب المكرم.

(٧) سر الكهنوت

تمهيد: انه لمن أبرز الأمور التى يراها المؤمن ماثلة أمام عينيه فى كتاب الله ولا سيما العهد الجديد هى تعيين فئة خاصة من بنى البشر ليوزعوا على المؤمنين فوائد الكفارة إما بواسطة التعليم والتبشير أو بواسطة افعال ذات معنى كالاسرار المقدسة. وتعرف هذه الفئة بالرعاة أو الكهنة. قال بولس الرسول مخاطبا اهل رومية: ولكن باكثر جسارة كتبت اليكم جزئيا أيها الاخوة كمذكر لكم بسبب النعمة التى وهبت لى من الله حتى اكون خادما ليسوع المسيح لاجل الامم مباشرا لانجيل الله ككاهن ليكون قربان الامم مقبولا مقدسا بالروح القدس (رو ١٥:١٥) وقال ايضا مخاطبا قسوس كنيسة افسس: احترزوا اذا لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه (اع ٢٠:٢٨) وعليه حد بعض العلماء سر الكهنوت بأنه عمل مقدس به يضع الاسقف يده على رأس الشخص المنتخب ويطلب من أجله فتنسكب عليه النعمة الآلهية التى ترفعه الى احدى درجات الكهنوت وتساعده على اتمام واجباته الكهنوتية او الرعوية.

الفصل الاول

فى

اختصاص رتبة الكهنوت بفئة معينة فى الكنيسة

يعتقد الخارجون عن الكنائس الرسولية أن السيد المسيح له المجد لم يقم للوظيفة الكهنوتية افرادا معينين بل أن جميع المؤمنين كهنة على السواء وأن لكل منهم الحق فى تادية الوظيفة الكهنوتية.

وذلك اعتقاد فاسد ومضاد لتعليم الكتاب الذى يعلن بمنتهى الصراحة ان السيد له المجد انتخب افرادا معينين وخولهم حق اتمام الوظيفة الكهنوتية ومنع عامة المؤمنين ممارستها وذلك يتضح ممايلى:

(١) قال لوقا الانجيلى: وفى تلك الأيام خرج الى الجبل ليصلى وقضى الليل كله فى الصلاة لله ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر الذين سماهم أيضا رسلا (لو ٦: ١٢) ومن هذا النص يتضح أن ربنا لم يخول سلطان الرسولية لسائر تابعيه وقتئذ بل انتخب منهم اثنى عشر شخصا فقط ومنحهم ذلك السلطان. فلو كانت هذه الوظيفة مشتركة بين جميع المؤمنين ولم ينحصر سلطانها فى أشخاص معينين لما كان هناك حاجة لهذا الاختيار بل كان أعطى للجميع على السواء (راجع ايضا مت ١٠: ١-١٥).

ثم انه بعد ان انتخب الاثنى عشر رسولا وانتخب سبعين آخرين

ايضا (لو ١٠:١-٤) خص هؤلاء واولئك دون غيرهم بالحقوق والقوة ليس فى الكرازة والتبشير فقط بل وفى تتميم الأسرار المقدسة ايضا كالتعميد وتقديس القربان وغفران الخطايا وغيرها من الخدم الكهنوتية المتنوعة .حيث قال لهم عن التعليم والتعميد: دفع الى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به (مت ٢٨:١٨) وقال لهم عن تقديس القربان الطاهر والحلة الكهنوتية: اصنعوا هذا لذكرى (لو ٢٢:١٩) اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت (يو ٢٠:٢١).

ولم تكن هذه المواهب قاصرة على الرسل فقط بل تقلدها منهم خلفاؤهم من بعدهم. ومن خلفائهم الى الذين بعدهم حتى الوقت الحاضر وستدوم هذه الخلافة الى المنتهى اعتمادا على الوعد الالهى الخاص بذلك وهو: ها أنا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر (مت ٢٨: ٢٠).

ولقد حفظ الرسل لأنفسهم هذه الحقوق حيث أقاموا لهم خلفاء فى سائر الكنائس ومنحوهم حق اقامة الخدم الكهنوتية اذ قال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس: لا تهمل الموهبة التى فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدى المشيخة (١ تى ٤:١٤) ثم انهم أوصوا الأساقفة الذين انتخبوهم أن يمنحوا هذا السلطان اناسا ذوى أهلية ولياقة لهذه الخدم المقدسة ليدوم هذا النظام محفوظا مصونا حتى المنتهى بقوله لتيطس أسقف كريت: من أجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل الأمور الناقصة وتقيم فى كل

مدينة قوسا كما اوصيتك (تي ١:٥) وقوله لأسقف افسس: وما سمعته منى بشهود كثيرين اودعه اناسا امناء يكونون أكفاء ان يعلموا آخرين ايضا (٢ تي ٢:٢).

(٢) وفضلا عما تقدم من النصوص الآلهية الدالة على اختصاص الرتب الكهنوتية بفئة معينة في الكنيسة فان ماجاء في اشهر التواريخ وأصدقها يزيدها بيانا وايضاحا ويدل على أن الكنيسة تسلمت هذا النظام عينه من ربها وعلى موجبه سلكت.

قال موسهيم المؤرخ البرتستانتى (لا ريب بانه كان للكنيسة خدام عامة وشمامسة منذ اول تاسيسها لانه لا يمكن أن يقوم اجتماع بدون خدامه ولا سيما كتلك الاجتماعات التي كانت في الكنائس المسيحية الاولى ... واقتدى بمثال كنيسة أورشليم كل الكنائس اطاعة لاوامر الرسل. ومن العلوم انهم عينوا كذلك شمامسة (١ تي ٨:٣) وكان ايضا في كنائس كثيرة ولا سيما في كنائس آسيا خادمات عامة وشماسات ... وحينما اتسعت الكنائس وازداد عدد الشيوخ والشمامسة والواجبات المطلوبة اقتضى أن يكون لمجمع الشيوخ رئيس مشهور برزانته وذكائه يوزع على رفقائه أشغالهم المتنوعة ويكون كمركز لكل الجماعة وهذا كان يسمى ملاكا (رؤ ٢ و٣) ثم سمى بعدئذ أسقفا وهي كلمة يونانية تدل على شغله الاصلي ... فمع هذا كله لم تطل المدة الا وازدادت الاسقفية اتساعا وسطوة لان الاساقفة الذين سكنوا المدن إما بأتعابهم وإما بأتعاب قسوسهم استحدثوا كنائس في القرى والمزارع المجاورة. وهذه الكنائس استمرت تحت حماية ومناظرة

الاساقفة الذين بخدمتهم او عن جدهم قبلت الديانة المسيحية ورويدا رويدا نشات ولايات كنائسية سماها اليونانيون بعدئذ ابروشيات. والذين سلمهم أساقفة المدن سياسة وتعليم كنائس القرى والمزارع دعوا (تس خورى ابسكوبى) أى أساقفة المسارح والحقول وكانوا فى الرتبة الوسطى بين الاساقفة والقسوس فكانوا دون الأساقفة لانهم يخضعون لهم وفوق القسوس لانهم تصرفوا بحكمتهم وتباعتهم وعملوا كل واجبات الأساقفة. موسهيم ك ١ قرن ١ قسم ٢ فصل ٢.

وقال أيضا (ان نظام سياسة الكنيسة الذي ابتدا فى القرن السابق (الاول) تقرر وتثبت فى هذا القرن باكثر همة ونشاط فى كل أجزائه فكان رئيس واحد او اسقف يتنصب على كل كنيسة من الكنائس وتنصبه عليها باستدعاء عام من كل الشعب وكان عليه ان يسهر على مصالح الكنيسة مع الشيوخ الذين لم تتعين كميتهم ويفرض لكل منهم مركزه وكان تحت رئاسة الاسقف والشيوخ أيضا الشمامسة أو الخدام الذين انقسموا الى رتب اذ لا يمكن ان يقوم شخص واحد بكل مصالح الكنيسة المطلوبة) ك ١ قرن ٢ قسم ٢ فصل ٢.

(٣) قال القس ناصر عودة التابع للكنيسة الانجليزية فى موعظته التى ألقاها سنة ١٨٨٩ عن الكهنوت المسيحى مايؤيد الذى نحن بصدده (علينا أخيرا أن نرى هل كان للرسل سلطانا أن يسلموا اجراء هذه الخدمة لغيرهم فان لم يكن لهم سلطان على ذلك فحينئذ يكون أولئك المسيحيون فقط الذين عاصروهم

وعاشروهم قد تعمدوا وتناولوا العشاء الربانى وحملوا على الحل. لانه لا يجب أن ننسى ان التفويض الأصلى بالكرازة والمعمودية واجراء خدمة العشاء الربانى وسلطان الربط والحل لم يعط الا للرسل وحدهم لانهم هم وحدهم كانوا حاضرين كما يذكر الانجيل حين اعطاء ذلك التفويض. وفضلا عن هذا يوجد كلمات معلومة فى سفر الأعمال يستنتج منها ان ذلك التفويض كان محصورا فى الرسل فقط (اع ١:٢) بالمقابلة مع (مت ٢٨:١٦ و١٨ و١٩ ومر ١٦:١٤ و١٥ ويو ٢٠:١٩-٢٧ واع ١٠:٤٠-٤٢) فلو أراد الرب يسوع المسيح أن يفوض كافة المسيحيين اجراء هذه الخدمة لكان على الأقل جمع كل التلاميذ عند اعطائه التفويض أو اعطاه فى وقت اجتماع المئة والعشرين والخمسمائة ولكنه لم يشأ ذلك بل اراد أن يكون كهنوت مسيحى خصوصى فى كنيسة العهد الجديد كما كان فى كنيسة العهد القديم كهنوت خصوصى بالامتياز عن كهنوت المسيحيين العام ولذلك الى وقت صعود المسيح كان الرسل وحدهم خدمة الدين الذين فوضوا ليخدموا فى كنيسته).

اما الذين يعترضون على ذلك بأن الكتاب يدعو كل المؤمنين كهنة بقوله: كونوا انتم ايضا مبنيين كحجارة حية بيتا روحيا كهنوتا مقدسا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح (١ بط ٢:٥) وبقوله ايضا: واما انتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى امة مقدسة (١ بط ٢:٩) فاعتراضهم هذا باطل لأن تسمية الرسول عامة المؤمنين كهنة انما هو من باب المجاز فقط ويتبين ذلك من تسميته لهم هياكل وحجارة ولا يخفى أن هذا من باب المجاز. ثم انه دعاهم ملوكا ايضا ودعوته هذه كما هو

معلوم ليست عامة لجميعهم بل اراد فئة مخصوصة منهم لا سيما وأن هذا النص قيل اولا عن بني اسرائيل ولم يكونوا كلهم كهنة بل ان الكهنة كانوا فئة مخصوصة وهم سبط لاوى. قال فم الذهب (ان كون جميع المسيحيين كهنة هو ككونهم ملوكا. والحال ان كونهم ملوكا ليس هو حقيقيا بل سريا لكونهم كهنة كذلك اى سريا لا حقيقيا).

واما الذين ينكرون الكهنوت مرة واحدة لزعمهم ان الكهنوت زال بزوال النظام الموسوى فاعترافهم هذا اشد بطلانا وسخافه من الاعتراض السابق لانهم لو تاملوا فى كلام الكتاب القائل: لنا رئيس كهنة (عب ٨:١) لنبذوا وايهم هذا واستنكروه اشد استنكار لانه لا يمكن أن يكون رئيس بلا مرؤسين.

الفصل الثاني

في

درجات الكهنوت(١)

ان درجات الكهنوت ثلاث وهي (١) الاسقفية (٢) القسيسية (٣) الشماسية. أما عن الأسقفية فقال بولس الرسول: يجب أن يكون الاسقف بلا لوم كوكيل الله (تي ١:٧). أما عن القسيسية فقال صاحب أعمال الرسل: وانتخبا لهم قسوسا في كل كنيسة ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به (اع ١٤:٢٣).

وأما عن الشماسية فقال بولس الرسول: يجب ان يكون الشمامسة ذوي وقار لا ذوي لسانين غير مولعين بالخمر الكثير ولا طامعين بالربح القبيح (١ تي ٣:٨).

وفضلا عن نصوص الكتاب المريحة عن هذه الدرجات الثلاث واعتقاد سائر الكنائس الرسولية فيها فانه جاء في كتاب الصلاة العامة للكنيسة الانجليزية مايزيدها بيانا وايضاحا حيث قيل (جميع الذين يطالعون الكتاب المقدس ومؤلفات الأقدمين باعتناء يتبين لهم أن درجات الخدام هذه كانت في كنيسة المسيح من عهد الرسل وهي الاساقفة والقسيسون والشمامسة. وكانت هذه الوظائف تعتبر موقرة دائما. فلم يكن أحد يجترىء على اجراء احداها إلا

---

(١) الكهنوت من كهن اي قضى بالغيب واخبر بحوادث مستقبلة. والكاهن عند المسيحيين هو من باشر عمل الاسرار وسائر الخدم الدينية باسم المسيح على انه قائم مقامه.

اذا دعـى أولا وأمتحـن وفحص وعلم بانه يتصف بالصفات المطلوبة فكـانوا يستصوبونه ويقبلونه بالصلاة الجمهورية مع وضع الأيدى بسلطان شرعى).

(١) الاسقف: ومعناه الرقيب أو الناظر او المحافظ (اع ٢٠: ١٧ - ٢٨) ويمتـاز عـن القس بكونـه (١) له الحق فى اقامة القسوس والشمامسة. قال بولس الرسول لاسقف كريت: من اجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الامور الناقصة وتقيم فى كل مدينة شيوخا كما اوصيتك (تى ١-٥) (٢) يحاكم القسوس ويوبخهم ويكافاهم قال بولس الرسول لأسقف أفسس: لاتقبل شكاية على شيخ إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود. الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع لكى يكون عند الباقين خوف (١ تى ٥: ١-١٩) وقـال لـه أيضـا: أمـا الشيوخ المدبـرون حسنـا فليحسبوا أهلا لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم (١ تى ٥: ١٧-١٩).

وقد ورد فى قانون ١٥ من قوانين الرسل عن ذلك مانصه (كل قس أو شماس او أحد المعدودين من الاكليروسيين السكنى الدائمة بـدون رأى اسقفه نامر بان يقطع خصوصا اذا استدعاه أسقفه ولم يطع).

وجـاء أيضـا فـى قانون ٣١ (كل قس احتقر أسقفه واقام الصلاة منفصلا عنه وبنى مذبحا آخر من دون ان يثبت على الأسقف شيئا لا يوافق الايمان والبر فليقطع اذ هو محب الرئاسة).

قال القديس ابيفانيوس أسقف قبرص (انه لا يمكن ان يكون القس والاسقف متساويين وقد علم الكتاب الآلهى ماهو الاسقف وماهو القس بقوله لتيموثاوس (لا تزجر شيخا) وفى محل آخر لا تقبل

شكوى عن قس الا بشهادة اثنين أو ثلاثة).

قال القديس اكلمنضس ند   طرس الرسول (لأن رئيس الكهنة اعطيت له خدم خصوصية والكهنة تعبر لهم مكان خصوصى واللاويين (أى الشمامسة) لهم خدم خصوصية).

(٢) القس: ومعناه الشيخ وهى كلمة   ية معربة أصلها (قاشينشو) وللقس ان يتمم كل الأسرار المقدسة من تعميد وتقديم الذبيحة الآلهية وحل خطايا التائبين ماعدا وضع اليد.

اما قول بولس الرسول لأسقف أفسس: لا تهمل الموهبة التى فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع ايدى المشيخة (١ تى ٤:١٤) فلا يؤخذ منه أن للقسوس الحق فى وضع اليد لأن كلمة شيخ فى العهد الأول كانت مشتركة بين أسقف وكاهن ومن ثم دعا بطرس نفسه شيخا (١ بط ٥:١) وهو من عظماء الرسل.

قال يوحنا فم الذهب (على ٢ تى مقالة ١:١٠) (ان الاساقفة يسمون عن القسوس بالشرطونية فقط (أى وضع اليد) وبها وحدها يفوقون أنهم يمتازون عنهم). وقال القديس ايرونيموس (ماذا يعمل الاسقف ولا يعمله القس خلا الشرطونية). رسالة ٨٥ .

وقال القديس ابيفانيوس (ان درجة الاساقفة تمتاز بنوع خصوصى بأنهم يلدون آباء. لأن تكثير الآباء فى كنيسة المسيح يختص بالاساقفة. واما الرتبة الثانية (أى الكهنة) فلا يمكنها أن تلد آباء ومعلمين وكيف يمكن أن يشرطن كاهن كاهنا آخر وليس له سلطة الشرطونية). هرطقة ٤:٧٥

ولقد جاء ايضا فى النشرة التى اذاعها اساقفة انكلترا سنة ١٨٩١ عن ذلك ماياتى (بعض البروتستانت يتفقون مع الكنيسة

الاسقفية أن راعى كنيسة الله الحقيقى يلزم ان يتعين ويرسل بواسطة وضع الايدى من الذين ارسلوا من خلفاء الرسل انفسهم ويقولون ان الدرجة الثانية من الاكليروس اعنى القسوس او المشايخ لهم الحق فى وضع الايدى والتكريس مثل الاساقفة ويبنون على ذلك وجود الخلافة الرسولية عندهم وذلك لأن بعض القسوس أو الشيوخ هم الذين اسسوا الكنيسة البروتستانتية . فيوجد ثلاثة أجوبة على هذا الادعاء .

(١) انه لم يحصل فى الكنيسة فى مدة ألف وخمسمائة سنة أن واحدا من الاكليروس أقل من درجة الاسقف منح رتبة القسوسية أو الشماسية . وغاية ماهناك كان القسوس يحضرون فى أثناء التكريس علامة على الرضى العام .

(٢) ولو انه من الامكان التوضيح بأن الشيوخ فى الكنيسة القديمة كانوا قادرين على التكريس ولكن المحقق انه فى مدة الف وستمائة سنة تقريبا قد فقدوا هذه القوة حيث الكنيسة قاطبة الغتها بنوع ما والحالة هذه لا يمكنهم استرجاعها لانفسهم الا بسماح الكنيسة المذكورة .

(٣) ان أكبر كنيسة بروتستانتية فى اسكوتلاندا وهى تعتبر أصل الكنائس البروتستانتية الانكليزية والايرلندية والامريكانية وتاسست فى سنة ١٥٦٠ مسيحية بطريقة الاستقلال بمعرفة شخص يدعى حنا نوكس بدون تعيين قسوس ولا رعاة بواسطة وضع الايدى ولم يحصل ذلك الا بعد مدة من السنين ولم توضع الايدى على اول من انتخبوا لوظيفة القسوسية الذين كان معظمهم من العلمانيين وكان يندر وجود قسوس من الكنيسة القديمة

بينهم وحتى لما فهموا ضرورة وأهمية التكريس بواسطة وضع اليد - فكان أغلب لا بل جميع الذين كانوا قسوسا فى الكنيسة القديمة ماتوا وهكذا كان المكرسون ممن لم توضع عليهم الايدى ولم يتكرسوا أنفسهم. وبناء على ذلك حتى لو صدقنا على ادعاء البروتستانت أن القسوس لهم حق فى التكريس فلا يمكنهم بواسطة ذلك المدافعة عن قسوسهم لان الذين كرسوهم علمانيين وليسوا قسوسا كما سبق القول.

(٣) شماس: شماس لفظة سريانية معناها خادم. ووظيفة الشماس أقل من وظيفة الاسقف والكاهن أيضا. وتنحصر فى معاونة القس او الاسقف فى اداء الخدم الدينية كتقديم الذبيحة الآلهية وحفظ مايجمع من الصدقات وتوزيعه على المؤمنين. ثم تعاطى أمور الكنيسة الخارجية على ما يكلفه الكهنة والاساقفة. وأخص وظيفة الشماس التعليم والتبشير غير انه لا حق له فى اقامة الاسرار والخدم الآلهية. وقد جاء فى قانون ١٨ من قوانين المجمع المسكونى مانصه (ليلبث الشمامسة ضمن حدودهم عالمين أنهم خدام للاسقف واقل من القسوس).

على أن درجات الكهنوت وان كانت ثلاثا لا غير كما عرفنا مما سبق الا أن كلا من الدرجات تشمل عدة وظائف لها قيمتها فى تدبير شؤون الكنيسة وسياستها الروحية. فدرجة الاسقفية تشمل وظائف البطريرك والمطران والأسقف. ودرجة القسيسية تشمل وظائف الخوريبسكوبوس والايغومانوس والقس. أما درجة الشماسية فتشمل الابودياكن (اى معين الشماس) والاغنسطس (أى القارىء) والابصلتس (اى المرتل).

الفصل الثالث

في

(١) علامة الكهنوت المنظورة (٢) نعمة الكهنوت الغير المنظورة (٣) عدم اعادة الكهنوت (٤) خادم سر الكهنوت

(١) علامة الكهنوت المنظورة

ان علامة الكهنوت المنظورة هى (١) وضع اليد (٢) الصلاة.

ان وضع اليد لابد منه لكل من الوظائف الثلاث لأنه يدل على ان الذى وضعت عليه الايدى اخذ سلطانا من الواضعين على ممارسة الخدمة الدينية. ولهذا لم يذكر فى الكتاب المقدس على الاطلاق شخص واحد حصل على الدرجة الكهنوتية بغير وضع اليد. فقيل عن استفانوس واخوته انهم: اقاموا أمام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الايادى (اع ٦:٦) وقيل عن برنابا وشاول وضعوا عليهما الايادى ثم اطلقوهما (اع ١٣:٣) وقال بولس الرسول لتيموثاوس: لا تضع يدا على احد بالعجلة ولا تشترك فى خطايا الآخرين (اتى ٥:٢٢) كذلك أيضا سائر القوانين الرسولية تقرر وضع اليد وتحتمه حيث جاء فى تلك القوانين مانصه (أيها الاسقف عندما تشرطن قسا ضع يدك على راسه) وقال يوحنا فم الذهب (توضع اليد على راس الرجل والله يفعل كل شئ ويده هى التى تمس راس المشرطن اذا شرطن كما يجب) "مقالة ١٤:٣ على سفر الاعمال" وقال الدكتور وليم ادى الامريكانى فى شرحه حادثة وضع اليد على استفانوس واخوته (اع ٦:٦) (والمراد بذلك الوضع فى

الرسامة بيان أن الذى وضعت الايدى عليه أخذ سلطانا من الواضعين على ممارسة الخدمة الدينية . والشمامسة المذكورون هنا مختارون من الشعب لكنهم اخذوا سلطان الممارسة من الرسل. وهذه الاشارة بقيت للكنيسة من أول عهدها مع المعمودية والعشاء الربانى).

(٢) نعمة الكهنوت الغير المنظورة

ان نعمة الكهنوت الغير المنظورة اى الداخلية هى ثابتة الصحة من الكتاب المقدس ايضا حيث قال بولس الرسول لتيموثاوس: فلهذا السبب اذكرك أن تضرم أيضا موهبة الله التى فيك بوضع يدى (٢ تى ١:٦) وقال يوحنا فم الذهب فى شرحه لهذا النص (انى اذكرك ان تذكى (اى تضرم) موهبة الله التى فيك بوضع يدي. يعنى هنا نعمة الروح القدس التى نالها لرياسة الكنيسه وللآيات ولكل العبادة فانها فى يدكم ان تطفئوها او تذكوها).

وقال القديس اغريغوريوس (ان قوة الكلمة عينها تجعل الكاهن وقورا ومكرما بالبركة الجديدة اذ ينفصل عن الشعب لانه أمس وقبل كان واحدا من الكثيرين ومن الشعب فصار حالا دفعة واحدة متقدما ورئيسا ومعلما للايمان وكاتما للاسرار الخفية وهذا كله يصنعه من دون ان يتغير شئ فى جسده او هيئته بل وهو لم يزل فى الظاهر كما كان. تتغير نفسه غير المنظورة في ماهو أفضل بقوة ونعمة غير منظورتين).

قال القديس امبروسيوس (من يمنح نعمة الأسقفية الله أم الانسان ! انكم بلا شك تجيبونى الله لكن الله يمنح النعمة

بخدمة بشرية . فالانسان يضع الأيدى والله يسكب النعمة . الكاهن يضع يده الدنيئة والله يبارك بيده القادرة على كل شئ).

(٣) عدم اعادة سر الكهنوت

انه لما كان سر الكهنوت يرسم فى نفس المنتخب رسما من النعمة الآلهية لا يمحى أثره كسرى المعمودية والميرون فمن ثم لا يعاد هذا السر مرة أخرى. ولقد جاء فى قانون ٦٨ من قوانين الرسل ما يقرر ذلك (كل أسقف او قس أو شماس ينال الشرطونية ثانية من أحد يقطع هو والذى شرطنه).

(٤) خادم سر الكهنوت

أما خادم سر الكهنوت فهو الأسقف وحده لانه هو الذى له حق وضع اليد كما هو ثابت من الكتاب المقدس والقوانين الكنسية .

قال بولس الرسول لتيطس أسقف كريت: من اجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل الامور الناقصة وتقيم فى كل مدينة شيوخا كما أوصيتك (تى ١:٥).

وقال أيضا لتيموثاوس أسقف أفسس: لا تضع يدك على أحد بالعجلة ولا تشترك فى خطايا الآخرين (١ تى ٥:٢٢).

وقد ورد فى قانون ١ من قوانين الرسل مانصه الاسقف يشرطن من اسقفين أو ثلاثة).

وجاء فى قانون ٢ (القس والشماس وسائر الاكليروس يشرطنون من أسقف واحد).

الفصل الرابع

فى

الصفات والاعمال والشروط التى يجب ان تتوافر فى من ينتخبون للرتبة الكهنوتية

لقد افاض بولس الرسول فى شرح الصفات والاعمال والشروط التى يجب أن تتوافر فى طلاب الوظائف الكهنوتية فى رسائله الى تيموثاوس وتيطس وفلبى فقال عن:

الاسقف والقس: يجب أن يكون كل منهما بلا لوم فى إيمانه وسلوكه. فاضلا كاملا. مثالا للمؤمنين فى الكلام والتصرف. ملما بمعرفة الكتب الآلهية والقوانين الكنسية. غير حديث الايمان. خاليا من العيوب كالكبرياء والحقد والسكر والتهافت على الضرب وطلب الربح القبيح. (راجع ماجاء عن ذلك فى ١ تى ٣:١-٧ وتى ١:٥-٧).

وقال عن الشمامسة: يجب أن يكونوا أطهارا أعفاء لا ذوى لسانين غير كذابين ولا ماكرين ولا متقلبين فى كلامهم وأحاديثهم متمسكين بعقائد الايمان وأسرار الديانة (راجع ماجاء عن ذلك فى ١ تى ٣:٨).

وحسبنا ان نختم كلامنا عن هذا السر العظيم بقول ربنا له المجد لرسله وخلفائهم الكهنة: انتم ملح الارض. انتم نور العالم. لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل (مت ٥:١٣-١٥) وبهذا القول أوضح أن أخص واجبات الكهنة هى ان يصلحوا خصال

اهل العالم وينيروهم بنور التعليم والسيرة الانجيلية. كما انه قد ابان لهم أيضا أن اعين الجميع متجهة اليهم وأن كل كاهن نظير مدينة مبنية على جبل وسراج على منارة فلا يختفى على احد. فان باشر وظيفته الكهنوتية كما ينبغى جذب الكثيرين الى المسيح وتمجد الآب السمائى بواسطته. اما اذا تكاسل واهمل هلك الكثيرون بسببه وفقد هو اجرته ومكافئته وعرض نفسه لدينونة رهيبة.

قال القديس غريغوريوس (يجب أن نكون اطهارا لكى نطهر غيرنا. وان نتعلم لكى نعلم وان نكون أنوارا لننير. وأن نقترب الى الله لنحمل غيرنا على الاقتراب منه. وأن نقدس أنفسنا لنقدسهم).

وقال يوحنا فم الذهب فى مقالته العاشرة على رسالة تيموثاوس الاولى (يجب ان يكون الكاهن من لا عيب فى تصرفاته ليمكنه أن يكون قدوة فضل للناظرين فانه تعالى أصطفانا لنكون بمنزلة مصابيح ومعلمين للغير وكملائكة يترددون فى الارض).

ولرئيس الرعاة الأعظم ربنا يسوع المسيح المجد فى كنيسته الى اباد الدهور كلها آمين.

تنبيه

لقد أفردنا للبابين الخامس والسادس وهما بابان الاختلافات العقيدية بين سائر الكنائس المسيحية ودساتيرها واعترافاتها الرسمية جزءا خاصا حرصا على أن لا يجاوز هذا المجلد حد المألوف في الضخامة لو ضم هذان البابان اليه وسيصدر هذا الجزء بمشيئة الله قريبا.

الفهرس

لقد تم بتوفيقه تعالى المجلد الثانى المحتوى الكلام على لاهوت الروح القدس والملائكة والقيامة والكنيسة واسرارها.

وسيليه الثالث بمشيئته تعالى فله المنه والفضل دوما.

